

صحيفة الألسن

العدد الأول

ذو القعدة ١٣٩٢
ديسمبر ١٩٧٢

بسم الله الرحمن الرحيم

مطبعة اطلس
١٠ ش سوق التوفيقية - القاهرة

رقم الايداع بدار الكتب
١٩٧٣/١٣٤

وافق مجلس مدرسة الألسن بجلسته

فى يوم الاثنين الموافق ٧/٦/١٩٧٢ على

تشكيل هيئة تحرير صحيفة الألسن على

الوجه الآتى :

الأستاذ الدكتور عبد السميع محمد أحمد

عميد الألسن ـ رئيس التحرير المسئول

السادة أعضاء مجلس المدرسة أعضاء

أعضاء هيئة التحرير

١٣ ـ الأستاذ الدكتور ايلين ابراهيم جرجس
أستاذ بقسم اللغة الفرنسية

١٤ ـ الأستاذ زينب محمد منيب
أستاذ بقسم اللغة الفرنسية

١٥ ـ الأستاذ الدكتور عليه ابراهيم العناني
أستاذ مساعد ورئيس قسم اللغة الأسبانية

١٦ ـ الأستاذ الدكتور سمية محمد موسى عفيفي
أستاذ مساعد ورئيس قسم اللغة الروسية

١٧ ـ الأستاذ الدكتور مصطفى ماهر راغب
أستاذ مساعد ورئيس قسم اللغة الالمانية

أشرف على إعداد هذا العدد

الدكتور عبد السلام احمد عواد

المدرس بقسم اللغة العربية

فى هذا العدد

صفحة

تقديم

بقلم الدكتور
عبد السميع محمد أحمد
عميد الألسن

تشهد مصر فى عصرنا الحاضر نهضة علمية وادبية يعود بعض اسبابها الى ما فى طبيعة شعبها من دأب وسعى عرف بهما على مدى تاريخه الطويل المجيد ، ويعود بعضها الآخر الى اتصاله بغيره من الشعوب بوسائل عديدة مر بها أو زاولها . وفى جميع آونة هذا الاتصال لعبت « اللغة » الدور الهام ، وقامت بمهمة الوسيط بينه وبين سائر الشعوب ، وأعانت فى نقل الأفكار وترجمة الخواطر ، وسجلت ما توصل اليه الانسان من نتاج عقله ويده ، وتركت جميع ذلك تتوارثه الأجيال جيلا بعد جيل .

ومنذ القرن التاسع عشر توجهت عناية مصر الى دعم هذا الاتصال ،ورأت أن ارسال المصريين فى بعوث علمية الى الخارج يسهم إسهاما فعالا فى اعداد رواد مصريين يحملون لواء وصل الثقافة العربية بثقافات العالم الخارجى ، ويوقف المتحدثين بالعربية على معالم النهضة المتجددة فى سائر الاقطار التى لا يتاح للعرب أن يتصلوا بها عن قرب .

وكانت بعثة رائد النهضة الحديثة « المغفور له الشيخ رفاعة رافع الطهطاوى » (١٢١٦ ـ ١٢٩٠ هـ ـ ١٨٠١ ـ ١٨٧٣ م) أول صورة على الطريق ، فقد ضمت أربعة وأربعين دارسا لمختلف التخصصات ، عادوا الى بلادهم وفى جعبتهم علم وفكر جديدان ، وفى صدورهم ايمان وعهد أن يفيدوا بلادهم ، وأن يقودوا النهضة العربية العلمية والأدبية الى غاياتها المرجوة .

وخطا الشيخ رفاعة خطوة أخرى موفقة جليلة ، حين سعى الى انشاء « مدرسة الألسن » ، وحين احتفل بافتتاحها عام ١٨٣٥ للميلاد ، وحين عمل هو وحواريوه تلاميذ هذه المدرسة فى انارة طريق الدارسين أمام ثقافات

أوربا ، وفى نقل ثقافات العرب الى دارسى أوربا • وحقق هذا العمل المجيد كلمات الشيخ رفاعة : « اننا بالبعثة ننقل المصريين الى أوربا ، وبهذه المدرسة ننقل علم أوربا الى مصر » •

وعصفت أعاصير الجهل بكثير من المؤسسات التى وضعت أسسا سليمة لحضارة معاصرة ، وكانت مدرسة الألسن احدى هـــذه المؤسسات • غير أن ما أثرى به تلاميذ هذه المدرسة المكتبة العربية هيأ لها من المصلحين من بعثها قوية ، نشيطة الى أداء رسالتها ، مضطلعـــة بتخريج المتعمقين فى اللغـات وآدابها ، القادرين على الوفاء بحاجات العصر •

وتعهدت « الثورة » هذه المؤسسة العلمية الفريدة فى الشرق الاوسط ، وأعانت فى تمكين قدراتها ، وارساء قواعدها ، ومدها بمـــا تريد من أجهزة علمية تفيد فائدة جليلة من يتدفقون عليها من شباب مصر والبلاد العربيـــة والأمم الصديقة للتعبد فى محرابها ، والافادة من جهود أساتذتها •

وأظهر أبنـاء الألسن نبوغا وتفوقا ، ونشرت لهم بحـوث ومؤلفـــات ومترجمات ، وأصبحت الحاجة ماسة الى أن يكون للألسن صحيفة علمية يتاح فيها لأعضاء هيئة التدريس والنابهين من أبنائها أن يشاركوا بأعمالهم اللغوية والأدبية فى موكب العلم والايمان •

* * *

وانه ليسعدنى أن أقدم اليوم العدد الأول من « صحيفة الألسن » ، فى اطار من القيود المادية التى سمحت بنشر بعض قليل مما قـــدمه الزمـــلاء للمطبعة ، مقـــدما لسائر الزملاء الذين لم يتسع هذا العدد لبحوثهم صـــادق الاعتذار ، راجيا أن يسمح ما نطمع فيه من يسر قريب ، ان شاء الله ، بتوالى صدور الصحيفة ، تحمل مع كل عدد جديد مزيدا من عمـــل ، وبشـــيرا من أمل •

ووفق الله •

عبد السميع محمد احمد
عميد الألسن

يوم الخميس ـ الثانى من شهر ذى القعدة سنة ١٣٩٢

السابع من شهر ديسمبر سنة ١٩٧٢

فردريش ريكرت
عاشق الأدب العربي

بقلم الدكتور محمد عونى عبد الرءوف

In Osten steht das Licht, ich steh im west,
ein Berg an dessen Haupt der Schein sich bricht,
ich bin der Schönheitssonne blasser Mond,
Shau weg von mir der Sonn ins Angesicht

Rückert

بالشرق نور غزالة لـــكن نورى مغـــربى
أبدو كطـــود فى ذراه النـــور يغرى معجبى
بدر أنا لـــولا ذكاء وجـــدتنى فى الغيهب
فاترك ضيائى واغترف ·· من الشمس لا من مشربى(١)

(١) مجزوء الكامل ·

« اذا ما أوحت الي ربة الشعر بما يثير الشعور
فان ما أفعله باللغات ، لا يلتفت اليه العلماء »

ريكرت

مقدمة :

ليس من شك في أن القرن التاسع عشر لم يكن مستعدا لقبول عبقرية الشاعر المستشرق ريكرت فقد كان متعدد المواهب واسع الأفق ، نسيج وحده سواء في ميدان الاستشراق أم في ميدان الابداع الفني . فهو شاعر غنائي ومترجم مثالي يسعى للمحافظة على صياغة وتركيب ما يقوم بترجمته فينقل بذلك صورة شرقية غريبة على القارىء الأوربي الذي نشأ في تقاليد مخالفة للتقاليد الشرقية ومن ثم يصعب عليه أن يألف طرز الغزل الفارسي أو المقامة أو الشعر العربي بعروضه وقافيته .

زاوج ريكرت بين الابداع الفني والاستشراق ، فبعد عن رفقاء الأدب والشعر بما أتى من محاكاته للقوالب الأدبية الشرقية الغريبة بالنسبة لهم وباغراقه في الاقبال على كتب الشرقيين وترجمته لها وتأثره بها . ويعد في الوقت نفسه من المستشرقين الجادين الباحثين بتناوله للاستشراق تناولا أدبيا وعدم اقباله عليه اقبال العالم المدقق المتفحص . وهو في كلا الميدانين أقرب الى الميدان الآخر منه الى الميدان الذي يؤلف أو يبدع فيه . فهو عند الأدباء ومؤرخي الأدب مستشرق على حين نجده عند المستشرقين ومؤرخي حركة الاستشراق شاعرا وأديبا . رجل نسيج وحده ، عاش حياته مقبلا على الشعر والاستشراق والترجمة آخذا نفسه بالجدة والصرامة في كل ما يقوم به من عمل ، وان لم يلق في حياته ما يستحقه من تقدير أو تشجيع ، بالرغم من اعجاب هردر Herder وهمان Hamann به واحتفائهم بعبقريته ، وبالرغم من تقريظ دي ساسي De Sacy وهمر بورجشتل Hammer Purgstall وبلاتن Platon لأعماله وترجماته وتزكية جوته Goethe لديوانه ورود شرقية Orientalische Rosen

كان ريكرت مستشرقا شاعرا ، أو شاعرا مستشرقا اذا . جمع كل ما عرف في عصره عن الشعر الشرقي وأعاد صياغته وكتابته في شعر ألماني

بكل سهولة ويسر • الأمر الذى لم يتأت لشاعر قبله أو بعده • فقد حافظ الى درجة الابداع على الصياغة الشرقية والنغم والرنين فى اللفظ والعبارة • بل ان قدرته الابداعية لتتجلى أبدع ما يكون فى تغير أسلوبه بتغير النص الذى يقوم بترجمته سواء أكان النص اسلاميا أم كان هنديا(١) ولقد اتضحت مهارة ريكرت فى التعبير بأصعب الصيغ فى القافية قبل اشتغاله باللغات الشرقية ، ومن ثم وجد فى هذه اللغات أمله المنشود • وكان لولعه هذا فى تصيد القوافى والابداع فى الاتيان بها يطلق عليه معجم آدمى للقوافى(٢) وقال بلاتن عنه ذات مرة « بعد أن كان الناس يتحدثون عن فقر اللغة الألمانية فى القافية لم يبق الا أن يتحدثوا الآن عن الافتقار لشاعر (أى مثل ريكرت) »(٣) كان شاعرا موهوبا • وكانت موهبته تقارب موهبة الشعراء الشرقيين فى قدرتهم على اللعب باللفظ • وهو يعى ما يفعل فيقول « فى البدء كانت اللغة لعبا بالكلمات والمعانى فدعنا نلعب أيضا » وكان فى الوقت نفسه مستشرقا ممتازا خلف لنا الكثير من التراث العربى المترجم الى الألمانية •

كثيرا ما عانى ريكرت نفسه من ازدواج العبقرية لديه فنجده يقول :

اذا ما أوحت الى ربة الشعر بما يثير الشعور

فان ما أفعله باللغات ، لا يلتفت اليه العلماء(٤)

حركة الاستشراق فى ألمانيا وتأثر ريكرت بها :

لعل الأستاذة أنا ماريا شيمل لم تتعد الصواب حينما عدت يوم السادس من شهر نوفمبر سنة ١٦٣٣ يوما مشهودا فى تاريخ العلاقات الألمانية الشرقية ، حين أرسل الدوق فريدريش الثالث « دون شليز فيغ وهولشتين وجوتورب »(١) أثناء حرب الثلاثين بمجموعة مكونة من أربعة وثلاثين رجلا الى فارس وروسيا كى تتحالف مع الامبراطور بفارس ضد

---

(١) راجع مقدمة شيمل فى أشعار شرقية — ص ٣٣ •

(٢) Personifiziertes Reimlexikon

(٣) مقدمة شيمل ص ٤١ •

مقدمة شيمل ص ٣٤ •

(٤) Kaum hat, was die Mus eingab, die gemüter berühret
Was in Sprachen ich tat, kaum die Gelehrten bewegt

الأتراك(٢) ودامت الرحلة خمسة أعوام ، ولكنهـــا لم تحقق الغرض المرجو منها ، وان أتت بثمرة ما كان الدوق يهدف اليها ، فقـــد كان من أهم نتائج الرحلة كتاب آدم أولبريس (١٦٠٣ ـ ١٦٧١) « وصف الرحلة الشرقية »(٣) الذى سرعان ما ترجم الى لغات أوروبية كثيرة • كما كان لترجمته لجلستان السعدى (سنة ١٦٥٤) أثر كبـير على الأدب الألمـانى(٤) كمـا صنف معجم اللغات الثلاث (العربية والتركية والفارسية) وان كان لم يطبـــع • وكان أوليريس قد حث صـــديقه الشـــاعر باول فليمنــج (١٦٠٩ ـ ١٦٤٠) على الذهاب معه ، فكان أن وصف الرحلة في أغان وأشعار وطنية • كما كان لرفيق أوليريس طوال السنوات الخمس حكوفيدى Hakovidi نصيب فى المجموعة Persianisches Rosenthal (صدرت ١٦٥٤) التى ترجم فيها شعر عربى وفارسى الى اللغة الألمانية (وكان معظمهـــا عن السعدى) وحكم لقمان والأمثال •

تأثر بكتب أوليريس هـــذه الكثيرون من الشعراء والمستشرقين نذكر منهم هـاجى دورن (١٧٠٨ ـ ١٧٥٤) Friedrich v. Hagedorn الذى لم يقلد الشعراء قبله فيكتب شعرا تقليـــديا أو تعليميا ، وانما كتب ـ متأثرا فى ذلك بما قرأه لأوليريس ـ مقطوعات منظومة قصيرة مثل « محاولات فى فن كتابة الخرافة والأقصوصة » كتبها نظما(١) وهو فى شعره يكثر من اللعب بالألفاظ واستخدام الصور البلاغية والألفاظ الرنانة (راجع تاريخ الشـــعر الألمانى جـ ٥ ص ٤٦٧) •

كما كتب مجموعة أشعار أخرى جاعلا عنوانها « أشعار أخـــلاقية »(٢) (ط ١٧٥٠) متأثرا فى ذلك بالحكم والأمثال التى نقلت عن الشرق •

وبهذا عبد طريقا جديدا للشعر سار عليه رابينر (١٧١٤ـ١٧٧١)(٣)

---

(٢) راجع مقدمة أنا ماريا شيمل فى كتاب Orientalische Dichtung ص ٥ • وقد ورد بتاريخ الأدب الألمانى جـ ٥ ص ١٩١ ان الرحلة كانت لافتتاح أسواق تجارية فى فارس وروسيا •

(٣) Adam Olearias : Die Orientalische Reisebeschreibung

(٤) راجع تاريخ الأدب الألمانى فى مجلد ص ١٢٨ Die deutsche Literatur in einem Band

(١) Versuch in Poetischen Fabeln und Erzählungen..

(٢) Moralische Gedichte.

(٣) تاريخ الأدب الألمانى فى مجلد ص ١٦١ •

Rabener بقصصه الساخر ، وجيللرت (١٧١٥ ــ ٧٦٩) Gellert
ولسنج (١٧٢٩ ــ ١٧٨١) Lessing بالخرافات التى نشراها(١) .

وفضلا عن هؤلاء تأثر به أيضـــا الشـــاعر هردر (١٧٤٤ ــ ١٨٠٣) Herder تأثره بأستاذه همان (١٧٣٠ ــ ١٧٨٨) Hamann الذى كان يحلم بزيارة البلاد العربية السعيدة واصل الحضارة فى الشرق وبالحروف الصليبية (كما كان يقول) ومن ثم نجد هردر يقوم بدراسة العهد القديم ويقدم دراسة عنه بعنوان « من روح الشعر العبرى » (صدر فى ١٧٨٣/٨٢)(٢) .

كذلك قام بدراسة عن أصل اللغة (سنة ١٧٧١)(٣) فبين فيها كيف تتكون اللغات السامية المختلفة وتنفصل مستقلة عن اللغة الأم ، مناديا فى هذه الدراسة بضرورة فهم الشعب ومعرفة طرق حياته وموسيقاه قبل الحـكم عليه ، فيقول « كى نحكم حكما عادلا على شعب من الشعوب يجب أن يعيش المرء فى زمانه وأرضه وفكره واحساسه ويرى كيف يحيا هذا الشعب وكيف نشأ وتربى ؟ بم يتغنى ؟ وأى الأشياء يحب ويهوى ؟ ويتعرف على حال الجـو وأرضه وسمائه ، وكيفية تكوينه ورقصه وغنائه . يجب أن يتعرف المرء على هذا كله ولا ينظر اليه نظرة المتعجب أو المعادى بل نظرة الأخ والمواطن(٤) » ومن ثم بدأ هردر يجمع أصوات الشعوب فى أغانيهم Stimmen der Völkern in Liedern وان كانت صورة الشاعر الشرقى غير واضـــحة تماما فى كتابه هذا لقلة ما ترجم عن العربية والفـــارسية وغيرهما آنذاك . فلم تظهر الأشعار الشرقية لديه الا سنة ١٧٨١ فى مجلته Teutsch Merkur وكانت نتيجة لدراسته للشعر العبرى وهى فى الغـــالب الأعم مأخوذة عن ربابنة العبريين . ثم صدرت له عام ١٧٩٢ دراسته « عبارة وصورة : خاصة عند الشرقيين »(٥) وفيهـــا يضع هردر لأول مرة تصـوره لخصائص الشعر العربى والفـــارسى بجوار الشعر العبرى . وهو يجـــد فى الشعر العربى « انطباعا خالصا للشعب الذى أوجده للغته وطريقة حياته ومعيشته ، ودينه وشعوره . وانه يعبر عنها بصورة مزهوة غنية وقوية وبوصف رائع وجمـــل

---

(١) Gellert; Fabeln und Erzählungen 2 Teile 1746-1748.
Lessing; Fablen 1759.

(٢) Vom Geist der hebraischen Poesie.

(٣) Über den Unsprung der Sprache.

(٤) ص ٦ من مقدمة شيمل لكتاب Orientalische Dichtung.

(٥) Sprach und Bild, Insonderbeit bei den Morgenländern

رنانة(٤) وقد عرف عن ريكرت تأثره الواضح بهردر ، وقــد كان من تأثيره عليه وعلى شليجل أنهما ناديا بتأريخ الميثولوجية (الخرافات) والشعر والفن الابداعى الهندى(١) ٠

كذلك كان جوته (١٧٤٩ ـ ١٨٣٢) Geothe متأثرا بكتابات أوليرى وخاصة بترجمته لجلستان السعدى الذى كان الباعث الهام فى تأليفه للديوان الغربى الشرقى West — Östlicher Divan هذا الى جوار تأثره بغيره من المستشرقين وكتبهم المترجمـــة ، وكان جوته يعتنق مذهب هردر وهمان فى وجوب فهم كل شىء عن الشاعر وبلده كى يتمكن الانسان من فهم شــــعره جيدا ، اذ يقول بالديوان :

من ابتغى فهم الشاعر	Wer den Dichter will verstenen,
رحل الى أرضه	Muss in Dichters Lande gehn,

كما تأثر جوته أيضا بهمر بورجشتل (١٧٤ ـ ١٨٥٦) Hammer Purgstall فقرأ كتبه واهتم بها بالرغم من تحذير مستشاره الشرقى فون ديتز (١٧٥١ ـ ١٨١٧) Prälat von Diez ونصحه له بعدم قراءتها لعدم دقتها ٠ وبهذا كان هردر وبورجشتل صاحبا الفضل فى اقبال جوته عــلى دراسة العهد القديم ودراسة حافظ الشـــيرازى والقرآن العظيم ٠ فكتب عام ١٧٧٢ بضعة أبيات عن القرآن ثم اعتزم كتابة دراما عن حياة محمد ، ولــكن لم يصلنا منها للأسف الا قطعتان شعريتان فقط ، الأولى عن مناجاة الرسول لربه والثانية وهى أغنية محمد ليست الا حديثا بين على (رضه) وفاطمة بنت الرسول (ص) وقد اهتم بدراساته الاستشراقية وخاصة بحافظ الشيرازى أثناء حرب التحرير الألمانية ٠

واهتم المستشرقون الانجليز آنذاك أيضـــا بعد احتـــلال كلكتا عام ١٧٥٧ ، بعلوم الاستشراق اهتماما كبيرا فنشطت حركة الترجمـــة وحركة تحقيق النصوص الاســـلامية والهندية القديمة كى يعرف رجـــال الادارة الانجليزية طبيعة وعقليـــة الشعب الذى يحكمونه ٠ فكان أن أصدر وليـــام جونس (١٧٤٦ ـ ١٧٩٤) William Jones « الذى لا نظير له » كما يقول

---

(٤) مقدمة شيمل ص ٢١ ٠

(١) أنظر جـ ٦ ق ١ ص ٣٥٥ من Geschichte der deutschen Literatur

عنه جوته(١) (Der unvergleichliche Jones) مجموعته عام ١٧٧٤ بعنـــوان Poeseos Asiaticae Commentariorum عن مجموعة من الشعر الآسيوى وشرحه ، وهى التى أعاد المستشرق الألمانى ايشهورن (١٧٥٢ـ١٨٢٧) Gottfried Eichhorn طبعها فى جوتنجن بعد ثلاث سنوات وفيهـــا تحدث جونس للمرة الأولى عن الشعر العربى والفارسى والأسلوب والشاعر وعن حافظ الشيرازى بصفة خاصة وكان جونس يزعم أنه من الممكن أن يملك المرء ناصية أية لغـة بعد دراستها ستة أشهر فقط(٢) ولكنه لم يهتم باللغـة الا كوسيلة لتذوق آداب غريبة عليه ٠ وقد جعله حبه للشرق ذلك الحب الذى أزكاه قراءته لألف ليلة وليلة يقبل على تعلم العربية والفارسية والتركية دون أدنى مساعدة من أى انســـان ٠ وفى ســـنة ١٧٧٢ ترجم بتكليف من ملك الدنمارك كرستيان الســابع Christian VII تاريخ نادر شـــاه عن مخطوطة فارسية الى الفرنسية التى كتبها مهدى جان مؤرخ البلاط(٣) فلم يعن فى الترجمة كثيرا بالجانب التاريخى ، اذ لم يكن تسلسل الحوادث الحربية يعنيه كثيرا ، بالرغم من أنها كانت تشد أوروبا كلها آنذاك ، بل كان يعنى أشد عناية بأسلوب النثر الفنى الشرقى ٠ كذلك أصـــدر جونس فى نفس السنة أى ١٧٧٢ كتابه عن قواعـد الفارسية التى ترجمت الى الفرنسية فى نفس العام ، وفى ١٨٤٥ أيضا قام بترجمته كارسين دى تاس Carcein de Tassy وكان يرغب فى تقريب جمال الشرق الشاعرى للقراء الأوروبيين فتحدث عن الأدب الصينى والشعر الحبشى ، كما تحدث عن العروض العربى وبحوره وعن القصيدة وطرز الغزل ٠ وأورد الحديث عن بعض الشعراء العرب والأتراك والفرس ، وتحدث أخيرا عن الأسلوب وجمـــاله مستشهدا فى ذلك كله بالشعر العربى والفارسى فى المقام الأول ، وان استشهد أحيانا بالشعر التركى ، ومستدلا على جمال الأسلوب والقدرة على التعبير بآيات من القرآن والكتاب المقدس ، كما حاول أيضا ادخال أوزان الشعر العربى فى الشـعر اللاتينى فنجده يقول فى البحر الطويل(١) :

Aamter / Puellarum / miser Sae / pe Fallitur
Ocellis / nigris, labris / odoris / nigris comis.

---

(١) راجع مؤلفات جوته ط هامبورج جـ ١٢ ص ٣٠١ ٠

(٢) راجع فيك ص ١٣٠ ـ ١٣١ ٠

(٣) The history and life of Nader Chah, Histoire de Nader Chah, Geschichte des Nader Schah.

(١) راجع فيك ص ١٣٢ ٠

وفى عام ١٧٨٢ قام بترجمة المعلقات •

كذلك كان ليوسف فون همر بورجشتل Joseph von Hammer-Purgstall (١٧٧٤ ـ ١٨٥٦) بأعماله فى ميدان الاستشراق بالرغم من أخطائه الكثيرة وضعفه فى اللغات الشرقية تأثير لا يغفل على تاريخ الفكر الألمانى • وقد عاش بورجشتل حياة عريضة متنقلا بين الشرق والغرب عرف تركيا وعاش فى مصر وتجول فى سوريا وفلسطين ولبنان وايران وكان يحسن الكتابة بعشر لغات • وألف الكثير من الكتب عن الشرق وترجم الكثير من كتب الشرقيين الى الألمانية ، كما ترجم عن الألمانية الى الفارسية • ألف تاريخ شعراء العثمانيين فى مجلدات أربعة ، وتاريخ آداب اللغة العربية فى سبعة مجلدات ولم يتمه • وحسبه أن المستشرق بروكلمن Brockelmann نسج على منواله فى كتابه « تاريخ الأدب العربى » كذلك نجد له أبحاثا فى تاريخ الأتراك وتاريخ الاسماعيلية • ويمكن أن تعد دائرة المعارف التى ألفها من أهم كتبه فهى تشمل الحديث عن آداب الشرق وتاريخه(١) • وفضلا عن مؤلفاته العديدة نجده يكثر من الترجمة فترجم « أطواق الذهب » للزمخشرى وتائية ابن الفارض(٢) وأيها الولد للغزالى ، كما ترجم ديوان المتنبى بالألمانية ترجمة منظومة ، وترجم مقدمة ابن خلدون عن التركية وسيرة عنترة بن شداد ، وما لم يكن قد ترجم بعد من قصص ألف ليلة وليلة ، والبردة للبوصيرى • كذلك ساهم فى اصدار مجلة كنوز الشرق (من سنة ١٨٠٩ الى سنة ١٨١٨)(٣) وجعل الآية القرآنية : « قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء الى صراط مستقيم »(٤) (آية ١٤٢ من سورة البقرة) شعارا لها •

وقد كان لهمر بورجشتل تأثير كبير على المستشرقين والأدباء الألمان الذين أعجبوا به وبما قدمه لهم من كنوز أيما اعجاب ، فظل هو المؤثر الهام على الحياة الأدبية وعلى الاستشراق بصفة عامة • وعلى الرغم من هذا كله ومن كتبه التى تربو على السبعين عدا ، فاننا نجد أن الاستشراق الحقيقى ـ كما تقول الأستاذة أنا ماريا شيمل بحق(٥) ـ لا يدين له بالكثير ، وان كان قد أثر كثيرا فى الحياة الأدبية • فهو الباعث الأول لاهتمام جوته بالآداب الشرقية

---

(١) راجع فيك ص ١٥٨ ـ ١٦٦ •

(٢) « سقتنى حميا الحب راحة مقلتى »

(٣) Fundgruben des Orients

(٤) Gottes ist der Osten und Gottes ist der Westen, er leitet wen er will den rechten Pfad.

(٥) مقدمة أشعار شرقية ص ٢٦ •

وبمعرفة حافظ الشيرازى ٠ وهو الذى جعل ريكرت وبلاتون (١٧٩٦ـ١٨٣٥) Platon يقبلان على المحاكاة الابداعية للشعر الشرقى ولطرز الغزل ٠

تأثر به جوته بالرغم من رأى مستشاره الشرقى ديتز Prälat von Diez فيه وفى عمله ، كما تأثر به ريكرت فاتجه بعد مقابلته له فى فينا عند عودته من رحلته بايطاليا الى دراسة الاستشراق دراسة جادة ٠

ولا ينبغى لنا أن نترك الحديث هنا عن سيلفستر دى ساسى (١٧٥٠ ـ ١٨٣٨) Silvester de Sacy أول من أنشأ الدراسات العربية الجادة فى أوروبا ، والذى تتلمذ على يديه الكثير من المستشرقين الأوربيين ٠ فقد كان ساسى عالما باللغات الغربية والشرقية وان كان توفر على دراسة العربية والفارسية ، فألف فى النحو العربى كتابا من مجلدين(١) وصنف كتاب قراءة جمع فيه منتخبات من كتب العرب سماه « الانس المفيد للطالب المستفيد » (ط باريس ١٨٢٧)(٢) ٠ وألف فى تاريخ العرب قبل الاسلام ٠ كما نشر كليلة ودمنة ومقامات الحريرى ، ورحلة عبد اللطيف البغدادى ، وألفية ابن مالك الى غير ذلك من أمهات الكتب ، وبفضله أصبحت باريس مركزا للدراسات العربية يؤمها التلاميذ من كل بلد أوروبى نذكر منهم فرايتاج (١٧٨٨ ـ ١٨٦١) Freytag الذى حقق ديوان الحماسة وصنف معجما للغتين العربية واللاتينية(٣) وجوستاف فليجل (١٨٠٢ـ١٨٧٠) Flügel الذى نشر طبعة للقرآن الكريم و « نجوم الفرقان فى أطراف القرآن » وهو فهرس للقرآن على غير ما هو مألوف فى لغة العرب وآدابهم ٠ وكتابا عن نحويى البصرة والكوفة (ليبسج ١٨٦٢) ، وحقق كشف الظنون لحاجى خليفة فى سبعة مجلدات مع ترجمتها الى اللاتينية ٠

حيـــاته :

ولد فى ١٦ من مايو سنة ١٧٨٨ لأب محامى فى شفين فورت Schwin furt وعاش بها حياة متواضعة حتى حصل على الشهادة الثانوية فالتحق بجامعة فيرتسبورج حيث درس الحقوق وفقه اللغة ٠ وفى سنة ١٨٠٨ تركها الى جامعة هيدلبرج ثم حاول عام ١٨٠٩ الالتحاق بالجيش النمساوى ليحارب ضد نابليون دون جدوى ٠ وفى سنة ١٨١١ (٣٠ من مارس) حصل

---

(١) Grammaire arabe.

(٢) Chrestomathie arabe.

(٣) Lexicon Arabico-Latinum.

على درجة الدكتوراه المؤهلة للتدريس بالجامعة (دكتور هاييل) وكانت رسالته فى اللغات القديمة وفلسفة اللغة ·

وقام بتدريس التراجيديا اليونانية والعروض والأساطير اليونانية والشرقية ولكنه لم يبق طويلا بالجامعة فقد مل العمل كمدرس جامعى وان كان قد شارك فى الكتابة فى الصحف عن حرب التحرير الألمانية واشتهر بالسوناته المشهورة Geharnischte Sonette كما قدم أعمالا درامية اعتمد فيها على مادة شرقية مثل التركية والمتماوت(١) · وفى سنة ١٨١٢ عمل مدرسا ثانويا فى مدينة هاناو · ثم عاش كاتبا حرا سنة ١٨١٣ـ١٨١٤ فى مدينة فبرتسبورج وبتنبورج وفى سنة ١٨١٥ـ١٨١٧ اشتغل محررا فى جريدة كوتا الصباحية ·

وكعادة الأدباء فى هذا العصر رحل الى ايطاليا سنة ١٨١٧ حيث قضى بها عاما تقريبا ، رجع بعده دون أن يعجب كثيرا بهذا البلد الذى طالما جذب مواطنيه واستحوذ على اعجابهم وحبهم · وفى رحلة العودة نزل بمدينة فينا (١٨١٨) حيث قابل المستشرق همر بورجشتل وكان قد أصدر فى نفس العام كتابه تاريخ البلاغة الفارسية Geschichte der Schönen Redekunst Persiens ففتح بورجشتل أمامه عالم الشرق وأطلعه على كنوزه ، فعرفه بدنيا العرب والفرس وحمله كتبا فى الاستشراق منها كتاب عن تاريخ الأدب الفارسى مهديا إليه خاتما منقوشا بعد أن تعلم على يديه العربية والفارسية وبعد أن بقى عدة أسابيع فرحل الى كوبورج Coburg حيث عاش كاتبا حرا بعيدا عن جو الاستشراق ، منتهزا هذه الفرصة فنسخ جميع الكتب التى وصلته وعلق عليها ·

وفى سنة ١٨٢٢ عمل محررا لكتاب الجيب النسائى Frauen Taschenbuch التى يصدرها فوكيه · وتعرف على بلاتن Platen وتوثقت بينهما عرى الصداقة خاصة وانه قد جمع بينهما حبهما المشترك لحافظ الشيرازى والشعر الشرقى ، حتى ان كلا منهما حاول دون علم الآخر ، ودون علم بما يفعل زميله صياغة عروض طرز الغزل باللغة الألمانية ·

ولم يكن دخل ريكرت ككاتب حر أو محرر فى كتاب الجيب النسائى يكفيه للانفاق على نفسه وعلى أسرته ، خاصة وانه كان قد تزوج سنة ١٨٢١ ، فبدأ يبحث عن وظيفة مستشرق وان كانت صورة المدرس الجامعى وطريقة

---

(١) Die Türkin. Der Scheintod

حياته تفزعه وتخيفه ، فنقرأ له من خطاب الى شوبرت الموسيقار (١٧٩٧ ـ ١٨٩٨) Frans Schubert وعندها (أى عندما فكر فى العودة للتدريس بالجامعة) اسودت الدنيا فى عينى ، ومؤكد انك تعلم عنى ذلك منذ أيامنا فى ينا (جامعة ينا) فليس هذا بالعمل الملائم لى[١] وهو يصرح فى مجال آخر انه اضطر للعمل كأستاذ للاستشراق اذ أن الشاعر لا يمكن أن يكسب قوته وقوت أسرته فيكتب لأحد أصدقائه المقربين سنة ١٨٣١ « اننى فى الحق لم أصبح مستشرقا الا لأن الشاعر لا يستطيع أن يطعم أسرته[٢] » • كتب لأصدقائه همر بورجشتل وبلاتون وشيلنج وغيرهم يرجوهم تزكيته عند أصدقائهم ومعارفهم ليتمكن من الحصول على وظيفة استشراق أو حتى وظيفة مدرس فى مدرسة ثانوية مبديا استعداده لتأليف اى كتاب فى أية لغة أو تقديم أى بحث يطلب منه مؤكدا أنه يعرف الفارسية والعربية معرفة جيدة تمكنه من شغل أى وظيفة للتدريس • وكيف انه يحتاج لمثل هذه الوظيفة للافادة من معرفته اللغوية أولا وليتمكن من الانفاق على أسرته الكبيرة اذ أن كل إيراده الثابت انما يقتصر على ما يأخذه من كتاب الجيب النسائى[٣] فكان أن زكاه همر بورجشتل لدى الأكاديمية البافارية لتعيينه Bayerische Akademie أو تقدم له يد المساعدة • كذلك يرسل الى شيلنج (١٧٧٥ ـ ١٨٥٤) Friedrich Wilhelm Josef Schelling الفيلسوف عن طريق بلاتن يسأله النصيحة مبديا استعداده لارسال مخطوطة كتابه عن العروض ليتعرف السادة أصحاب الأمر على نموذج من معرفته وعلمه[٤] •

بل انه يرسل الى الناشر كوتتا Cotta أيضا فى يناير سنة ١٨٢٤ يرجوه أن يذكره كمستشرق لدى معارفه وأصدقائه مرسلا له عينة من ترجمته لنص نثرى عربى لتنشر فى جريدة الصباح Morgenblatt التى يصدرها[١] كما يرسل فى ٤/١/١٨٢٤ الى وانجن هيم (١٧٧٣ـ١٨٥٠) Wangenheim الوزير السابق يحدثه عن انشغاله بتربية الأطفال وبدراسة اللغات الشرقية منذ عودته من رحلة ايطاليا ، تلك الدراسة التى تقدم كنوزا للعالم وتسبب له نفقات باهظة ، ولذلك فهو يرجوه أن

---

(١) مقدمة شيمل للأشعار الشرقية ص ٤٧ •

(٢) مقدمة شيمل ص ٣٤ •

(٣) من خطاب له الى همر بورجشتل فى ٢٣ من ديسمبر سنة ١٨٢٣ ـ راجع برانج Prang ص ١٠٨ •

(٤) من خطاب له الى بلاتن فى ديسمبر ١٨٢٣ ـ راجع برانج Prang ص ١٠٩ •

(١) المصدر السابق •

يتحدث الى أصدقائه بمعرفته الواسعة باللغات الشرقية راجيا اياه ألا يشير الى شعره لأن ذلك ليس فى صالحه عند علماء اللغة والرجال الجادين فهـــذا يسىء اليه عندهم أكثر مما ينفعه ويكون حسنة تذكر له ٠

ويضيق بالشعر ويرى انه سبب فقره وبلائه فيكتب الى صديقه الشاعر جورج فون رينبيك (١٧٦٧ ـ ١٨٤٩) George v. Reinbeck معبرا عن ذلك « انني حين أقص عليك من حياتي وعملي فانني أعلن لك انني على استعداد لأن ألقى بسيف الشعر الخشبى بكل ارتياح وبابتسامة عريضة وأعلقه مـع اللعب المهجورة فوق المسمار حالما أحصل على وظيفة عامة فى تخصصى(١) » ٠

وفى عام ١٨٢٤ يترك العمـــل بكتاب الجيب النســـائى وينهمك فى دراساته للغات الشرقيـــة ، وأصبحت خطاباته الى همر بورجشتل وبلاتون بعد أن كانت الى المحررين والناشرين ـ وكلها تحوى مشاكل لغوية صادفته فى دراسته اللغات الشرقية أو ترجمته لما يقرأ ٠ وكان نقد همر بورجشتل اللغوى له يضايقه ٠

وفى هذا العام أيضا توفى أستاذ اللغات الشرقية فى ايرلنجن يوحنـا ارنولد كانى (١٧٧٣ ـ ١٨٢٤) Johann Arnold Kanne فخلا مكانه وطلب ريكرت من أستاذ اللاهوت بالجامعـــة انجلهارت (١٧٩١ ـ ١٨٥٥) Voit Engelhardt فكتب الى وزير الداخلية البافارية مزكيا اياه ٠ كمـــا كتب ريكرت نفسه فى ٢٨ من ابريل سنة ١٨٢٥ الى ملك بافاريا مكسمليان الأول Maximilian I راجيا اياه أن ينشر له ترجمته لمقـــامات الحريرى مذكرا جلالته بحديث همر بورجشتل معه فى شأنه (أى شـــأن ريكرت) وسأله فى نفس الخطاب أن يعينه بوظيفة التدريس الخالية بجامعة ايرلانجن ٠

أجيب طلب ريكرت ورشح لوظيفـــة أســـتاذ الاستشراق وطلب من المستشرق شيرر Scherer مدير أكاديمية للعلوم ومن سكرتيرها العام كايتان فون فيلر (١٧٦٢ ـ ١٨٢٦) Kajetan v. Weiller أن يكتبا تقريرا عن ريكرت ٠ فقرر الرجلان أنهما يجهلان معرفة ريكرت باللغـــات السامية ولكن ثقتهما فى عبقريته وشعوره بالمسئولية تجعلهما يثقان فى أنه قادر على مواجهة هذه الأعباء ٠

ولكن أحد المسئولين فى وزارة الداخلية ـ وكان واسع النفوذ ويدعى ميـــج Mieg ـ اعترض عـــلى تعيينه مســـتندا الى أن محاكاة ريكرت

---

(١) المصدر السابق ص ١١٠ ٠

الابداعية لمقامات الحريرى ليست عملا علميا يستحق عليه شرف التعيين فى جامعة صاحب الجلالة وبين فى تقريره الذى رفعه للملك فى ٢٦ من مايو ١٨٢٥ ان المفروض أن يعين بجامعة ايرلانجن ـ بكلية اللاهوت أستاذ يتقن اللغات التى تساعد على تفسير الكتاب المقدس وليس اللغتين العربية والفارسية ، بل العبرية والسريانية والكلدية • واستند فى رفضه لتعيين ريكرت الى أن ميزانية الجامعة صغيرة لا تسمح بتعيين أساتذة للغويات وللخيال الجميل المترف(١) •

ولم ينته الأمر بهذا التقرير بل كتب المسئولين الى جامعة ايرلانجن لابداء الرأى فى تعيين ريكرت بكرسى اللغات الشرقية بكلية الفلسفة • فكتب وكيل الجامعة انجل هارت Engelhart تقريرا قصيرا رحب فيه بتعيين ريكرت بهذا الكرسى ، وبين انه مكسب للجامعة • أما كلية اللاهوت المهتمة بهذا الكرسى أيضا فقد أبدت اعتراضها لعدم معرفة ريكرت بالمعلومات اللاهوتية الدينية اللازمة لشغل هذا الكرسى وأن لم تنكر عليه معرفته العبرية •

وفى محاولة جادة لاقناع المسئولين بكليتى الفلسفة واللاهوت بقدرته وعلمه أرسل لهم ريكرت فى ٤ من يوليو سنة ١٩٢٥ مقامة مترجمة الى اللاتينية مع بعض التعليقات عن طبعته لمقامات الحريرى مبديا استعداده لجعل أول محاضرات له بالجامعة ـ عند اختياره لشغل هذه الوظيفة ـ عن المشاكل اللغوية فى السريانية والكلدية ليرد بذلك على التساؤلات والشكوك فى معرفته باللغتين •

لم يكن ريكرت متأكدا تماما من امكانية حصوله على كرسى الاستشراق هذا بالجامعة • لذا نجده يحاول الحصول على وظيفة مدرس فى مدرسة كوبرج الثانوية ولكن المشرف العام على المدرسة ويدعى جسلر Gesler رفض الموافقة على تعيينه بالرغم من تزكية الوزير السابق فانجن هيم (١٧٧٣ ـ ١٨٥٠) Wangenheim له ، مستندا الى أن الشاعر ، أى شاعر ، فى رأيه ـ لا يستطيع أن يستمر فى اهتمامه بالتدريس • كذلك رفض طلبه للتعيين بجامعة ايرلانجن بالرغم من أن كليتى الفلسفة واللاهوت بالجامعة قدمتا تزكية الى ادارة الجامعة بذلك فى ٢٥ من يوليو ١٨٢٥ ، اذ أنه سيفيد الجامعة بمعرفته التامة بالعربية والسنسكرينية التى لا يوجد من يعلمها بالجامعة •

---

(١) راجع برانج ص ١١٣ •

وان كانت كلية اللاهوت تتمنى أن يكون أيضا على نفس المعرفة بالعهد القديم وبما يتطلبه ذلك من معرفة خاصة بالدين . وهذا أمر لا يمكن أن تنكره على كلية اللاهوت بالنسبة لمستشرق لم تثبت معرفته التامة بالعبرية أو باللاهوت ينتظر أن يتتلمذ عليه طلبة اللاهوت .

رفض طلب ريكرت بالجامعة اذا ، وانصرفت الجامعة الى البحث عن أحد المستشرقين العارفين بالعبرية ، فحاولت فى أغسطس ١٨٢٥ أن تكتسب أكثر المتخصصين معرفة بل وأعلمهم بدقائقهـا الأسـتاذ المستشرق جزنيوس (١٧٨٦ – ١٨٤٢) Wilhelm Gesenius وكان حجة فى العبرية ونشر نصوصها وما زال معجمه العبرى الكبير مرجعا من أهم المراجع فى عبرية العهد القديم ويدل على معرفة واسعة باللغات السامية جميعا ، ولذلك أعيد طبعه عدة مرات بعد تنقيحه والاضـافة اليه حتى أعاد المستشرق بيل Buhl (١٨٥٠ – ١٩٣٢) طبعته الرابعة عشر سنة ١٨٩٥ ثم ظهرت طبعته السابعة عشر فى سنة ١٩١٥ وأعيد طبعه مرارا آخرها – فيما أعلم – طبعة سنة ١٩٦٢ المصورة . ولكن جزينيوس بقى فى هالى Halle حتى توفى فى ١٨٤٢ .

وفى محاولة يائسة يرسل ريكرت نسخة من كتابه « مقامات الحريرى » الى الملك لودفج الأول الذى خلف مكسمليان الأول وكان هذا الملك قد رفض أن يشغل منصب الاستشراق فى جامعة ايرلانجن رجل من غير رجال الدين(١) فقوبلت ببرود وأرسل اليه الديوان الملكى خطاب شكر فاتر اللهجـة ينسب فيه المقامات للأدب الهندى .

وأخيرا عين ريكرت عام ١٨٢٦ بجامعـة ايرلانجن بمرتب بسيط (الف وتسعمائة ماركا سنويا) لم يزد الا عام ١٨٣٣ حين رفض أن يذهب الى جامعة زيورخ التى طلبته للعمل بها . ولم يعمق ريكرت فى ايرلانجن معلوماته فى اللغات السامية والفارسية فحسب بل قام بتـدريس السنسكريتية أيضا . وكانت أول محاضرة لريكرت بجامعة ايرلانجن عن نصوص مختارة من المزامير وأخرى من ديوان الحماسة شرح عن طريقها مشاكل العروض العربى . وفى عام ١٨٤٠ دعاه الملك فريدريش فيلهلم الرابع Friedrich Wilheln IV ملك البروسيين فى السنة الأولى من حكمه الى العمل بجامعة برلين . وكانت فترة عمله بجامعة برلين (من ١٨٤١ – ١٨٤٨) من أسعد سنى حياته ، فلم يشتغل هناك الا بالعربية وبعض الفارسية . ولكنه ما لبث أن اعتزل العمل

---

(١) من خطاب ريكرت الى الناشر كوتتا فى ٧ من يناير ١٨٢٦ . راجع برانج ص ١٨ .

سنة ١٨٤٨ واعتكف فى مزرعة امتلكتهـــا زوجته بالميراث فى نوى سس Neusess بجوار كوبرج وبقى هناك حتى توفى عام ١٨٦٦ ٠

رأى معاصريه فى أعماله :

حينما سئل المستشرق الكبير الذى يعـــد باعث الاستشراق فى أوروبا وأستاذ الكثيرين من المستشرقين سيلفتر دى ساسى De Sasy من هـو أعظم مستشرق فى أوروبا ، عد ريكرت فى المرتبة الثانية وهو الذى أرسل اليه مهنئا بظهور ترجمته للمقامات « سيشكر لك كل من يعرف الألمـــانية ويريد أن يتعرف على ما يوجد فى الشرق من أعمال أدبية دون أن يحتاج الى دراسة العربية »(١) ٠

كما قدم همر بروجشتل Hammer Purgstall كتابه فى مجلة كتب فينا الأدبية السنوية Wiener Jahrbücher für Literatur بالعددين ١١٨ ، ١١٩ (سنة ١٨٤٧) ووصف المقامات بأنها « طفل عمـلاق أنجبه الاجتهاد الاستشراقى من ربة الشعر الألمانية » ٠

وقال عنه بن فاى Benfey « لو أن اللغة لم تكن موجودة فعلا لكان لريكرت بلا ريب دور كبير فى بنائها »(٢) كذلك حينما أرسل الى جوته فى ١٢ من نوفمبر ١٨٢٢ خطابا مع نسخة من ديوانه (ورود شرقية) يعبر فيه عن تقديره العميق له ٠ قام جوته بتزكيتها لدى كافة الموســـيقيين ليقوموا بتلحين بعض قصــائدها فتستاف بزوائح وورود وأزهار ونرجس ٠ وهــو يوصى بها أيضا صديقه أكرمان Ackermann الذى يكتب ملاحظا أنها من الشاعر الذى يقدره جوته ويبدو أنه يتوقع منه الكثير(١) ٠ وحين يبعث الى فانجن هيم (ديسمبر ١٨٢٤) فى درســـدن بنماذج من المقامات المترجمـة ليعرضها على لودفيج تيك (١٧٧٣ ــ ١٨٣٧) Ludwig Tieck لاهتمامه بسماع رأى تيك فى ترجمته اذ كان يعد بعد جوته آنذاك صاحب أعظم نفوذ فى ميدان الشعر والنقد ، اضطر لانتظار هذا الرأى شهور طويلة حين أخبره فانجن هيم فى مدينة كوبرج (يوم ٢٩ من ابريل سنة ١٨٢٥) بالاستحسان الذى لقيته نماذج المقامات فى درسدن وكيف أن تيك امتدحها كثيرا ٠

---

(١) أشعار شرقية ص ٢١٧ ٠

(٢) مقدمة شيمل ص ٤٤ ٠

(١) برانج ص ١٠١ ٠

وفي ١٤ من مايو سنة ١٨٢٧ تلقى ريكرت خطابا من ستة من كبار الرجال المرموقين في فرانكفورت يثنون فيه على عبقريته وقدرته على فهم الشرق ونقل آثاره اليهم وانهم كانوا على استعداد لتحمل نفقات نشر المقامات ، ولكن لما لم يكن ثمة داع لذلك بعد أن نشرت فعلا فانهم يرسلون له كأسا من الفضة ٠

كان يطلق على ريكرت لبراعته في القافية والقدرة على استخدامها في الشعر لقب معجم القوافي الآدمي Personfiziertes Reimlexikon وقال بلاتن Platen « بعد أن كان الناس يتحدثون عن فقر اللغة الألمانية في القافية لم يبق الآن الا الحديث عن الافتقار لشاعر (أى مثل ريكرت) » ٠وان كان بلاتن يعترف بأن وروده الشرقية خيبت أمله فيما كان يأمله منها وانه يفتقد فيها الصور الفنية والمعاني الوافرة(١) ، بل كانت شهرته كمترجم سببا في أن يزور الشاعر الناقد المترجم الامريكي بيارد تيلور (١٦٨٥ ـ ١٧٣١) Bayard Taylor في نوفمبر ١٨٥٦ ليتعرف على آرائه في الترجمة وذلك قبل رحلته الى لابلاند Lappland وكان ريكرت اذ ذاك في الثانية والخمسين من عمره(٢) ثم عاد الى زيارته مرة أخرى في تولس في فبراير سنة ١٨٦١(٣) وقد حاولت أن أصل الى معرفة ما خرج به تيلور من زيارته فلم أستطع لعدم تمكني من الوصول الى مؤلفاته أو الى ما كتب عنه ٠ وتكتفي دائرة المعارف البريطانية بالحديث عن حياته ورحلته الى وسط افريقيا والشمال وعن مؤلفاته ومنها ترجمة فاوست (٧٠ ـ ١٨٧١) The translation of Faust التي ترجمها في نفس الوزن الأصلي كما ان أهم شعره هو الذى كتبه عن الشرق (١٨٥٤) Poems Of The Orient ويمكننا من هذا ـ على الأقل ـ أن نتبين كيف جمعت الاهتمامات المشتركة بين الشاعرين ٠ فتيلور مترجم أيضا وهو يترجم في نفس الوزن الذى أبدع فيه جوته فاوست كما انه يقول شعرا عن الشرق ٠

ريكرت واللغة :

« لو ان اللغة لم تكن موجودة فعلا
لكان لريكرت بلا ريب دور كبير في
بنائها » ٠

(بن فاي)

(١) برانج ص ١٠١ ٠

(٢) برانج ص ٢٩١ ٠

(٣) برانج ص ٣٠٢ ٠

فى أول حياته العلمية قدم ريكرت فى ٣٠ مارس ١٨١١ رسالة فى ستة وثمانين صفحة نال فيها الدكتوراه من جامعة ينا Jenna وكانت فى اللغات القديمة وفلسفة اللغة كتبها فى لغة لاتينية رصينة وأسلوب قوى مشوق حاول أن يثبت بها ان اللغة اليونانية لا تمثل أكثر من مرحلة لغوية تتطور بعدها الى لغة عالمية حقيقية مثالية تصلح للتعبير عن كافة الانفعالات والأفكار . كما حاول فيها أن يبرهن على ان اللغة الألمانية تشتمل على امكانيات سائر اللغات كلها . ومن ثم فهى اللغة العالمية المثالية التى يمكنها أن تجمع خصائص كافة اللغات . وكان هذا الرأى جديدا مثيرا لمناقشات عنيفة بين الممتحنين وان كانوا سلموا معه بفكرة ان اللغة الألمانية لغة مثالية تصلح لترجمة ما فى اللغات الأخرى(١) .

وقد أصر ريكرت طوال حياته على رأيه هذا . وكان يمثل اللغة الألمانية بالمرآة البللورية التى تتقبل الألوان والأشكال بلا تفريق فتعكسها عكسا تاما بينما تبقى بلورا صافيا .

وهذا القول لا يختلف كثيرا عن قول جوته الذى خاطب به كارلايل فى سنة ١٨٢٧ حين قال « يجب أن يتعرف المرء على خصائص كل شعب ليعرفه بها ويتعامل معه بناء عليها اذ أن خصائص كل أمة مثل نوع لغتها وعملتها تسهل التعامل معها وتجعله على أتم وجه . وان أصدق التفهم لها بصفة عامة انما يتحقق بالضرورة اذا ما تمكن المرء من معرفة خصائص كل فرد وخصائص كل شعب . والتزم بها فى الترجمة مميزا بذلك ما يستحق التقدير حقيقة ليكون ملكا للانسانية جمعاء . ولمثل هذه الوساطة والتقدير المتبادل ، ساهم الألمان منذ زمن بعيد فى هذا . وان من يفهم الألمانية ويدرسها ليجد نفسه فى سوق تعرض أمامه فيه كل أمة بضاعتها فيقوم بمهمة المترجم الفورى لنفسه حين يتزود منها(٢) .

ونحن اذا قارنا بينه وبين همر بورجشتل من ناحية الاهتمام بالدراسة نجد بورجشتل يهتم بالمسائل العلمية الكلية كما تتبين من مؤلفاته (التى تكلمنا عنها فى فصل تأثر ريكرت بحركة الاستشراق فى ألمانيا) أما ريكرت فانه كان يهتم باللغويات الدقيقة الفرعية وهو يدرك طبيعة اهتمامه ويعبر عنها فى خطابه الى بورجشتل فى ١٥ من فبراير ١٨٢٤ بقوله : « واذا كان

---

(١) مقدمة شيمل ص ٣٥ .

(٢) مقدمة شيمل ص ٤٥ ، ٤٦ .

الأمر يتعلق بالمعرفة التامة بالشرق فانني أقف على قدم ثابتة في المسائل اللغوية . ولعله من المستحسن أن يتناول المرء هذه الدراسات من الجانب اللغوي بصفة خاصة ، اذ أن معظم علمائنا في هذا الفرع ليسوا الا علماء متخصصين في فرع دراستهم ولا يأخذون اللفظ مأخذ الجد » .

ولعل اهتمام ريكرت باللغة وبتعلم اللغات هو الذى جعله يحاول أن يقارن بين اللغات السامية والاندوجرمانية وهى وان كانت بالنسبة لريكرت شطحة من شطحات الخيال الرومانتيكى الا أن بعض علماء اللغة قد حاول ذلك أيضا . يقول نولدكه Nöldeke (ت ١٩٣٠) « وقد أجريت أبحاث مختلفة ، بطريقة علمية في بعضها وغير علمية فى بعضها الآخر ، لمحاولة اثبات وجود القرابة بين اللغات السامية واللغات الهندوأوروبية ... ولكن هذه المحاولة باءت بالفشل تماما . الا انه يظل من المرجح بالطبع أن اللغات ـ ليس فقط السامية والهندوأوروبية بل كذلك لغات المجموعات الانسانية الأخرى ـ انحدرت كلها من لغة واحدة عامة »(١) كذلك نجد موسكاتى Sabatino Moscati يتحدث عن امكانية المقارنة بين اللغة السامية الأم وبين اللغة الهندوأوروبية الأم كما يتحدث عن وجود أوجه شبه ـ مصادفة ـ بين لغات المجموعتين(٢) .

وفى مراجعه (ص ١٧٥ ، ١٧٦) يذكر موسكاتى الكتب التى تتحدث عن هذه النظرية فنجد كتابين لكونى Cuny وآخر لهيلمان Heilmann هذا بالرغم من سخرية نلدكه وبروكلمان من هذه النظرية لوجود فروق جوهرية تميز اللغات السامية عن الهند أوربية ، لا مجال لذكرها هنا .

وكثيرا ما نشأت النظريات أو الافتراضات اللغوية فى ذهن المشتغلين اهتمامهم المفرط بجانب من جوانب اللغة أو بلغة بذاتها يتعصبون لها . ولا ننس أن ليبنز (١٦٤٦ ـ ١٧١٦) Leibniz يعتبر أول من حارب فكرة أن على أن اللغات من أصل واحد ، وان من عرف الكثير منها يمكنه امتلاك قلوب باللغة ودافعوا عنها قبل أن تثبت صحتها علميا . وهذا انما يعبر عن العبرية هى أم اللغات وأصلها .

ولم يكن هدف ريكرت من ذلك هدفا علميا وانما كان يريد أن يبرهن على أن اللغات من أصل واحد وان من عرف الكثير منها يمكنه امتلاك قلوب الناس جميعا ، ويستطيع ادراك وحدة البشر الأصلية الكامنة وراء اللغات فى

---

(١) اللغات السامية ترجمة د. رمضان عبد التواب ـ ص ١٨ .

(٢) An Introduction to the comparative Grammer of the Semitic Languages Harrassowitz — Wiesbaden 1964. ص ١٦ ، ١٧

صورها المختلفة · كان يعتقد أن اللغات انما تعبر عن الذات الالهيـــة التى تنعكس فيها على مثلث لغـــوى : ضلعه الأول اللغـــات الســـامية والثانى الأندوجرمانية والثالث ما تبقى من لغات البشر جميعا ·

ولم تكن هذه الفكرة على سذاجتها من شطحات ريكرت وبنات أفكـاره ولكنها كانت فكرة سائدة فى عصره فى ألمانيا· وان دل اعتناقه لها على شىء ، فانما يدل على انه فى اعتقاده أن اللغات ترجع الى أصل واحد فانه يتصور أن الاحساس الانسانى الذى تعبر عنه أيضا وهو ما يهتم به أكثر ـ هو هو لدى الناس جميعا فى أى بلد كانوا وبأية لغة عبروا ، ولذا يقول فى شعره :

ان الشعر فى اللغات جميعا(١)

ليس الا لغة واحدة لدى العارفين

وقد أحب اللغات فى حد ذاتها وأعجب بكل لغة كلغة ، وكان على الرغم من تعمقه فى دراسة اللغات الشرقية عالما باللغة الألمانية شغـوفا بها ملما بأدق خصائصها حتى قال عنه بنفاى Benfay (ت ١٨٨١) عنه « لو لم تكن اللغة موجودة قبل وجوده ، لكان له (أى ريكرت) الفضل الأول فى ايجـــادها وتشكيلها »(٢) ·

كان يعتبر اللغة نوعا من اللعب اللاواعى باللفظ وكأن مولعـا باللعب باللفظ فمكنه ميله هذا من الاحســـاس بالاشتقاق اللغوى الـذى تتميز به العربية ، والسنسكريتية فاستطاع أن يأتى بالمعنى للفظ المشتق ويترجمـه على أدق ما تكون الترجمة دون أن يعـــرف عـلى التحـــديد المعنى المعجمى للكلمة ·

تعلم الكثير عن اللغات وتوفر على تحصيلها · وقد حكى أحد أبنائه أن ريكرت تعلم خمسين لغة تقريبا · وكان اذا ما أراد أن يدرس لغة كرس لهـا وقته ستة أو ثمانية أسابيع لا يشتغل بغيرها حتى يفهمها فيمكنـه تعليمهـا والترجمة عنها أيضا · وهذا انما يذكرنا بالمستشرق الانجليـــزى جـونس Jones الذى وصفه جوته بأنه لا يبارى(٣) فقد كان يزعم أن المرء يمكنه أن

---

(١) Die Poesie in allen ihren Zunge
ist dem geweihten eine Sprache nur

(٢) مقدمة شيمل ص ٤٤ ·

(٣) راجع ما كتب عنه بفصيل حركة الاستشراق فى ألمانيا ·

يملك ناحية أية لغة بعد دراستها ستة أشهر فقط(١) ٠

ويقص علينا أحد أبنائه ان أحد القساوسة المبشرين جاءه في شهر يوليو يرجوه أن يعلمه اللغة التأملية (وهي احدى لغات جنوبي الهند القليلة الانتشار) ٠ وكان ريكرت يجهلها تماما ٠ وبالرغم من ذلك وعد الرجل أن يعلمه اياها بالفصل الشتوي الذي يبدأ في نوفمبر ٠ ولم يعثر في هذه اللغة الا على ترجمة للانجيل الى هذه اللغة وكتاب في نحوها كتبه المبشر برجو لومبوس سنة ١٧١٦(٢) . Bartholomaus ويصف لنا ريكرت في شعره كيف بدأ بدراسة هذه اللغة فقد بحث عن اسم الجلالة (الله) في الانجيل ومن ثم سهل عليه بعد ذلك فهم كل ما حوله من المتن من (السموات والارض) ، وتعلم التأملية ٠ واستطاع أن يفي بوعده فيعلمها للقس في الفصل الجامعي الشتوي ليذهب بعد ذلك للتبشير في هذه المنطقة ٠ وتذكرنا هذه القصة بقصة جروتفند (ت ١٨٥٢) Grotenfend في اكتشاف الكتابة السماوية وشامبليون (ت ١٨٣٧) في اكتشاف الهيروغليفية أي أنه لجأ الى طريقة معروفة في عصره لاكتشاف اللغات القديمة، ولكن هذا يدل ولا شك على ذكائه وعبقريته اللغوية التي مكنته من الوصول الى تعلم اللغة التأملية عن هذا الطريق ٠

كانت مكتبة ريكرت تشمل كتبا في لغات كثيرة ، يعدها الشاعر بنفسه وهي اليونانية والالمانية اللاتينية والصقلبية والرومانية والفارسية والسنسكريتية والتركية والعربية ٠ وفضلا عن ذلك وجدت كتب أخرى باللغة العبرية والكردية والارمنية والبشتو والفارسية القديمة ولغات جنوبي الهند مثل التأمل والملايا والبربرية والارناوتية والفنلندية والسريانية والارامية والحبشية والقبطية ٠

ولعلنا نعجب اذا عرفنا أن ريكرت بالرغم من دراسته الواسعة للغات الشرقية لم يسافر قط الى أي بلد شرقي ، بل انه لم يشاهد أي رجل عربي أو فارسي أو هندي طوال حياته ٠ وكان تعلمه قاصرا على الكتب وحدها ٠

---

(١) وما ذكر عن الصحابي زيد بن ثابت أجل وأعظم ، فقد ورد عنه « قال رسول الله (صلعم) : انه يأتيني كتب عن أناس لا أحب أن يقرأها أحد فهل تستطيع أن تعلم كتاب العبرانيين أو قال السريانية ؟ فقلت : نعم ! قال فتعلمتها في سبع عشرة ليلة » وفي رواية أخرى يقول « لما قال (هكذا) رسول الله (صلعم) المدينة قال لي : تعلم كتاب اليهود فاني والله على كتابي ، قال : فتعلمته في أقل من نصف شهر ٠

(راجع طبقات ابن سعد ط ٠ التحرير جـ ٢ ص ١١٥ س ٧ ــ ١٤)

(٢) Grammatical Damulica- Ziegenblag

ولذلك تجده لا يعنى بأشكال الكلمات كما ينبغى • وكان يلحن عند التلفظ بها • بل لقد نسى النطق الصحيح للكثير من الكلمات فى شيخوخته مع أنه كان يحفظها عن ظهر قلب فى شبابه •

وهو لا يقلع عن فكرته طوال حياته فنجده بعد أن اعتزل التدريس بالجامعة واعتكافه بضيعته التى ورثتها زوجته فى نويزس ، Neusess فينشبفل بمقارنة اللغات مؤملا أن يكتب نحوا مقارنا للغات السامية وغيرها من اللغات • وفى هذا دلالة على تطلعه لتحقيق نظريته من أن اللغات ظواهر للغة فكر عالمى يجب أن نسعى لايجادها وتحقيقها • وهى نفس النظرية التى بدأها أول حياته الجامعية برسالته الدكتوراة وحاول أن يدافع عنها طوال حياته •

ريكرت الشاعر :

« بعد أن كان الناس يتحدثون عن فقر اللغة الألمانية فى القافية لم يبق الآن الا الحديث عن الافتقار لشاعر »•
(بلاتن)

ليس من السهل اليسير التمكن من حصر جميع ما أبدعه الشاعر ريكرت من أشعاره فقد كان حقا غزير الانتاج نظم الآلاف من الأبيات التى تعبر عن تجاربه الذاتية وتصف ما يحيط به من آدميين ومخلوقات • نظم كل ما مرت به أسرته من أحداث شعرا ، بل ان له أكثر من مائة قصيدة رثاء فى طفلين من أبنائه والعديد من القصائد فى وصف بستانه الذى كان مفتونا به • ولسهولة قصائده التى نظمها أول حياته ، أقبل الناس عليها فى القرن التاسع عشر ورددوها ، واشتهرت منها بعض الأغانى التى ما زالت منتشرة حتى الآن(١) ومنها تلك التى لحنها له الموسيقار الألمانى المشهور شوبرت •

كذلك له الكثير من الأغانى التى تنشد فى أعياد الميلاد • وبالرغم من هذا فان كل ما يذكره مؤلف تاريخ الأدب الالمانى الاستاذ د • هانس يورجن Prof. Dr Hans Jurgen Geordts.
جيردز من أعماله السوناته المعروفة gehatnischte Sonette
التى أخذت من مجموعة أشعار ألمانية Deutsche Gedichte التى صدرت عام ١٨١٤ وبعض الاشعار الوطنية الاخرى التى تتميز بقوالبها المصقولة وان

---

(١) Kinderlied von den grünen Sommervögeln, Der Alte Barbarossa Vom Bäumelein, das andre Blätter hat gewollt, Aus der Jugendzeit.

لم تحظ بالشعبية بين قراء الألمانية ويستطرد جيردز قائلا : ثم مال ريكرت بعد ذلك الى الاكثار من نظم الشعر الغنائى الذى عنى فيه بالصياغة والقالب ، وان جاء فقيرا فى المضمون والفحوى ولم يبق منه سوى بعض القصائد الغنائية مثل Du bist die Ruh كما بقيت أيضا ترجمته التى يقلـد فيها الأدب الشرقى تقليدا ابداعيا(١) وليس هذا هو رأى جيرتى وحـده وانما هو رأى معظم مؤرخى الأدب الألمانى أيضا الذين ينسبونه الى الاستشراق(٢) ...

ولا ننسى أن نشير هنا الى ديوانه Liebes Frubling الذى أهداه لزوجته والذى كانت معظم العائلات الالمانية تحتفظ به فى مكاتبها المنزلية والى القصائد التى نظمها داعيا فيها قومه لمقاومة نابليون ، كما قام فى تلك الفترة أيضا (أى فترة الاحتلال الفرنسى وكان آنذاك بمدينة ييا الجامعية) بتأليف مسرحيات استمد مادتها من الاساطير الشرقية وحكايات ألف ليلة وليلة وان كان لا يجيد على الاطلاق تأليف الروايات التمثيلية فكانت تبدو باردة خالية من الحياة بعيدة عن الفنية والجمال .

كذلك نجد ريكرت ينشر قصائد وقصص منظومة استمد موضوعاتها من كتب التاريخ الشرقى وخاصـة التاريخ الاسـلامى ، ثم جمعهـا فى كتابين(٣) .

كان قول الشـعر بالنسبة له حـاجة وضرورة وهو يعبر عن ذلك بقوله :(٤)

Mir Ist Verse zu machen, und Künstliche Vers, ein Bedürfins

ولم يكن يهدف من قوله الشعر أحيانا التعبير عن فكرة معينة بل كان قول الشعر نفسه هو الفكرة . لذا نجده ينظم فى أبسط أحداث حياته وحياة أسرته كوصف بستان منزله ووصف سقوط الثلج فى شهر ابريل وهو أمر غير عادى بألمانيا ويكثر من الوصف حتى تبلغ قصائده فى سـقوط الثلج ثمانى وعشرين قصيدة عدا .

وطبيعى أن يكون فى شعره الكثير من الأبيات التى لا قيمة لها . وكان يقول « ان الدنيا تنعكس فى مرآة الشعر وتسر به » ولم تكن فنون الشعر فى اعتقاده الا لعبا روحيا فيقول :

---

(١) تاريخ الأدب الألمانى فى مجلد ص ١٩٢
Deutche Literaturgeschichte in einem Band/Berlin 1928.

(٢) Gero von Wilpert Deutsches Dichterlexikon ص ٤٩٥ .

(٣) Sieben Bücher morgenländischer Sagen und Geschichten
Erbauliches und Beshauliches aus dem Morgonlande.

(١) مقدمة شيمل ص ٤٢ .

الشاعر مثله مثل البهلوان

يمشى على حبـــال الكلام

ريكرت المستشرق :

« اننى على استعداد لأن ألقى بسيف الشعر الخشبى بكـــل ارتياح وبابتسامة عريضة وأعلقه مع اللعب المهجورة فوق المسمار حالما أحصـــل على وظيفة عامة فى تخصصى باللغات الشرقيـــة وأعنى بذلك العربيـــة والفارسية »(١) .

يعد المستشرقون ريكرت شاعرا مبدعاً فنجد الاســـتاذ فيك Fück يقول عنه فى كتابه الدراسات العربية فى أوروبا (ص ١٦٧) « وقد اهتم كثيرا بدراسة الشعر الشرقى وفهمه بحاسة الرومانتيكى الحـــر فتمكن من ترجمته الى الألمانية شعرا بقدرة لغوية منقطعة النظـــير . وتعتبر ترجمتـــه للحماسة التى حققها فريتاج (١٧٨٨ ــ ١٨٦١) ومحاكاته الابداعية لمقامات الحريرى باللغة الألمانية تعد بحق من الأدب الألمانى »(٢) .

ويتحدث عنه الاستاذ باريت Rudi Paret فيقول « اذا أردنا أن ننسب شاعرا ألمانيا الى الاستشراق فالأمثل أن نذكر فريدريش ريكرت (١٧٨٨ ــ ١٨٦٦) ــ الذى كان يجيد القوافى الألمانية بسهولة فائقة والذى ترجم تحت اسم Verwandlungen des Abu Seid von Sorug مقامات الحريرى ترجمة أدبية أمينة أمانة تعطى للقارىء الألمانى انطباعا مقابلا لما يعطيه الأصل العربى من انطباع لهذا فان Verwandlungen des Abu Seid von Sorug يعتبر بحق عينة من الأدب الألمانى الذى بلغ الكمال فى شكله ويعتبر الى هذا عملا من أعمال الاستشراق(٣) وفى هذا ــ ولا شك ــ انصاف لريكرت فقد عده الأستاذ بارت شاعرا ومستشرقا أيضا .

---

(١) ريكرت فى خطاب له الى صديقه جورج فون ريديك (برانج ص ١٠٩) .

(٢) ص ١٦٧ Die arabische Studien in Europa

(٣) الدراسات العربية الاسلامية ص ١٦ (ترجمة د. مصطفى ماهر)

بدأت صلة ريكرت الحقيقية بالشرق عند عودته من رحلته الى ايطاليا وتوقفه فى مدينة فينا سنة ١٨١٨ وتعرفه على المستشرق يوسف فون هامر بورجشتل بعد أن تطلع طوال عمره لدراسة اللغات الشرقية بل لقد سعى وهو فى التاسعة عشرة من عمره الى الالتحاق بالاكاديمية الاستشراقية فى فينا ، ولكن طلبه رفض آنذاك لتجاوزه سن القبول • تعرف بهمربورجشتل اذا فى مروره على فينا حيث بقى بها بضعة أسابيع تعلم فيها على يديه أصول العربية والفارسية • وأهداه عمر بورجشتل بعدها بعض الكتب وخاتما منقوشا ، أهداه ضمن ما أهداه كتابه فى تاريخ البلاغة الفارسية(١) وفتح بذلك عالم الشرق وأطلعه على كنوزه وعرفه بدنيا العرب والفرس فرجع ريكرت الى بلده كوبرج بكتبه المهداة وقام بنسخ جميع الكتب التى وصلته من كتب الاستشراق وعلق عليها وصححها وأضاف اليها ما عن له من اضافات ، كما ترجم ما كان يستحببنه من كل ما قرأ • وكان ريكرت يهتم بعد ذلك بالدراسات الشرقية والعربية الى حد آنه كان يكثر من ارسال الخطابات الى صديقه المستشرق بلاتون ، والى الناشر شراج والى صديقه القديم فون شتوكمار الذى كان له صلة وثيقة بانجلترا حيث كان يقضى شهورا من السنة أحيانا يرجوهم ارسال بعض الكتب العربية أو الشرقية اليه ، اما اعارة واما تشترى لحسابه • كما اهتم اهتماما خاصا بالنحو العربى فدرسه دراسة تفصيلية فى كتب دى ساسى De Sacy وكان اهتمامه بالاستشراق اهتمام العالم الفنان ولم يكن يبتغى أن يتخذه وسيلة للبحث عن وظيفة حتى اضطر الى ذلك بعد أن أصبح دخله كشاعر وعالم مستقل ومحرر فى كتاب الجيب النسائى Frauentaschenbuch لا يكفى لسد نفقاته ونفقات أسرته فقد اضطر للبحث عن وظيفة مدرس فى مدرسة أو جامعة وهو يصرح بهذا اذ يقول : انني لم أصبح مستشرقا الا لأن الشاعر لا يستطيع أن يطعم عائلة ما »(٢) •

ومن ثم بدأ يرسل الى أصدقائه يرجوهم تزكيته لدى الجامعات أو المدارس فيكتب لهمربورجشتل فى سنة ١٨٢٤ يرجوه أن يزكيه فى الحصول على وظيفة الأستاذية فى جامعة ايرلنجن ويبين كيف درس العبرية والسريانية وهو فى الثامنة عشر من عمره مدة عامين • ويستطرد قائلا « واذا كان الأمر يتعلق بالمعرفة التامة بالشرق فانني أقف على قدم ثابتة فى المسائل اللغوية • ولعل من المستحسن أن يتناول المرء هذه الدراسات من الجانب

---

(١) Geschichte der Schönen Redekunst Persiens

(٢) من خطاب له الى أحد أصدقائه المقربين فى سنة ١٨٣١ – راجع مقدمة شيمل ص ٣٤ •

اللغوى بصفة خاصة ، اذ أن معظم علمائنا فى هـــذا الفرع ليسوا الا علماء متخصصين فى فرع دراستهم ، ولا يأخذون اللفظ مأخذ الجد » .

ولهذا نجده لا يهتم فى اهتمامه باللغات الشرقية بكتابة تاريخ لآدابهـا بل أنه لم يهتم بتاريخ آدبهابذاته وانما بالأدب فقط لأنه مظهر من مظاهر اللغة الجميلة التى يحسن استعمال اللفظ فيها وتتبين براعته فلم يكن التاريخ الا كمادة للشعر . هذا بالرغم من أنه فى تعليقه على الحماسة والمقـامات أورد تفصيلات تاريخية كثيرة نقلها عن شولين Scholien كما نقل ما وصله عن زمن سعدى فى ترجماته له . ويدل على ذلك مجموعتاه «الأساطير» و « الحكايات الشرقية » وهى عن العظات والتأملات الشرقية(١) التى جمع فيها كل ما وصله من نوادر عربية وأبواب شعر ، معتنيا بصفة خاصة بنظم ما يعجبه منها . وهى مع ذلك نافعـــة جدا كمدخل لدراسة العربيـــة الفصحى والروايـات التاريخية الاسلامية .

لم يهتم ريكرت بالتاريخ الأدبى اذا للأدب الشرقى كما لم يهتم أيضـا بالديانات الشرقية فلم يستطع تفهمها وتفهم ما تدعو اليه ، لذلك لم يكن له صلة حقيقية بالاسلام أو بالديانات الهندية .

---

(١) Morgenländische Sagen u. Geschichten

Erbauliches und Beschauliches aus dem Morgenlande

ريكرت الأستاذ الجامعى

« انك تدرك ولا شك منذ كنا معا فى يتنا اننى لم أخلق لهذا العمل (التدريس) » ٠

من خطاب لريكرت الى شوبرت

بالرغم من عبقريته وقدرته على تعلم اللغـــات ، الا أنه لم يكن معلما ناجحا أو موهوبا فلم يستطع أن يوضح المشاكل الدراسية لتلاميذه بطريقـة تمكنهم من فهم هذه المشـــاكل أو تصـــورها فتلميـــذه المستشرق لاجارد Lagarde (ت ١٩٨١) الذى كان تلميـــــذا له فى برلـــين (١٨٤١ ـ ١٨٤٨) ، وقد صار بعد ذلك من أشهر المستشرقين الألمان ، وما زال منزلـه كعبة للعلم بمدينة جوتنجن ـ يبين لنا انه لم يكن يدرس على الطريقة المعروفة التى توضح المسائل لغويا ونحويا ، كما لم يهتم بعلم اللغة اهتماما مستقلا ، ولم يلقن تلاميذه القواعد النحوية والصرفية كما يجب وانما كان يعلمهم اللغة كما تعلم لصغار الأطفال عند بدء تعليمهم اللغة ، ثم يعرفهم بأسرار هـــذه اللغة ويطلعهم على توافق العبارات وتشابك الكلمـــات فيها ٠ بل انه كان يترجم لهم الشعر العربى والفارسى ترجمة فورية منظومة ٠ كذلك كان يمنع تلاميذه من الذهاب الى مستشرق آخر للسؤال عن تفاصيل اللغة أو المشاكل النحوية فقد كان يمنـع لاجارد نفســـه من الذهـــاب الى المستشرق فليشر Fleischer (١٨٠١ ـ ١٨٨٨)

يقول لاجارد « لم يكن درسا لغويا بل كان وصفا لحياة الفرس والعرب٠ لم يتحدث عن القواعد ولم يشرح شيئا ولكنه كان يعرض الأمر أمام سمعى وبصرى » ٠ لم يكن يعبأ كثيرا بعملية التعليم الجامعى أو يهتم بها٠ بل انه كان يكره التدريس أساسا ويدل على ذلك تركه للتدريس بالمدينة الجامعية ينـا بعد حصوله على الدكتوراه بزمن قليل ويفضل أن يعيش كاتبا حرا فى مدينة كوبرج ٠ ولم يسع الى العودة لمهنة التدريس الا بعد أن أصبح دخله ككاتب حر لا يكفى لسد نفقاته ونفقات أسرته كمـــا كتب الى الموسيقى شـــوبرت بذلك ٠

ومع ذلك نجده يسر كثيرا حين يترك كرسى الأستاذية الذى سعى اليها ووسط الكثيرين من أصدقائه ومعارفه وبعد أن أصـــبح معروفا كمستشرق تسعى اليه جامعة زيورخ ويطلبه الملك فريد ريش فيلهلم الرابع للتـــدريس

بجامعة برلين حيث بقى من سنة ١٨٤١ الى ١٨٤٨ ، نجده بعد ذلك يسر حين يعتزل التدريس بعد بلوغه سن الستين ليتمكن من التفرغ لقراءاته وترجماته فى الضيعة التى ورثتها زوجته فى نوى زس Neusess بجوار كوبورج فى بافاريا ·

كما نجده يسعى الى الحد من عدد محاضراته (هـــذا ان لم يتمكن من الاعتذار عنها فى فصل دراسى جامعى أو أكثر) ما استطاع ذلك · فتصبح أحيانا أربع محاضرات أو محاضرتين · وفضلا عن ذلك يتعمد أن يجعلهـا فى السادسة صباحا متمنيا أن يتكاسل عنها الطلاب فيمتنعون عن الحضور فى هذا الموعد المبكر ــ وخاصة لبرودة الجو القارصة ·

ولما كان ريكرت لم يحظ برؤية أى شرقى فى حيـــاته قط كما انه لم يرحل اطلاقا الى أى بلد شرقى ، فانه كثيرا ما كان يلحن فى كلامه ، كما كان يهمل فى نطق الكلمات ولا يهتم بطريقة نطقه · وكان زمـــلاؤه المستشرقون يعيبون عليه ذلك · بل ان هذا أدى الى مقاطعة همربورجشتل له · ثم انه لم يستطع حين تقدم به السن الا الاحتفاظ برسم الكلمة فقط بالرغم من انه كان يحفظ الآلاف من الالفاظ عن ظهر قلب فى شبابه ·

ولكننا نعرف من تلاميذه عالمين جليلين ذاع صيتهما بعد ذلك وكان لهما فى عالم الاستشراق واللاهوت مجهودات عظيمة هما لاجارد الذى نقلنا عنـه وماكس ميللر Max Müller الذى عمل بجامعـة اكســفور فأسس علم الدراسات الدينية هناك ·

ريكرت والترجمة

« آمل أن يأتى اليوم الذى
تترجم فيه المؤلفات الشرقية العظيمة
ترجمة أمينة الى لغتنا » .

ريكرت

يتضح احساس ريكرت الفنان المستشرق بثقافة الشعوب الشرقية وولعها بالتحلية والمحسنات البديعية ايما اتضاح فى ترجمته للشعر العربى والفارسى ، بيد انه لا يصح أن ننسى مطلقا أن شعر الباروك والرومانتك كان يعنى أيضا عناية فائقة بالصياغة الفنية وان اختلفت الدرجة والطريقة الأمر الذى كان له صدى مسموعا فى ألمانيا كلها كما كان حافزا لريكرت فى الاقبال فى نهم على طريقة الصياغة الشرقية . وتحت هذا يندرج استعماله للقافية والنظم العروضى واللعب بالالفاظ والصيغ البديعية .

افتتن ريكرت بهذا كله فأقبل عليه واحتفل به وتشاغل به عن أسلوبه الخاص فى التعبير . وفى ظل هذا يمكن أن نفهم أعمال ريكرت حتى غير المترجم منها مثل ديوان ورود شرقية (Östliche Rosen) وان كنا نأخذ عليه نحن أيضا أسرافه فى استعمال الألفاظ الرنانة والصور البلاغية والقافية ، بالرغم من طبيعتنا الشرقية وبالرغم من دراستنا العربية ، اذ أن هذا لا يتساوى بالضرورة وطبيعة العمل الذى يقوم به ، وانما أراد فقط أن يدلل على حذقه ومهارته فى استعمال الصور البلاغية .

لم يكن ريكرت متأثرا بالطريقة الذاتية فى التعبير التى سادت منذ أيام كلوبشتوك Klopstock (ت ١٨٠٣) وجوته Goethe (ت ١٨٣٢) والتى يكثر فيها الشاعر من الحديث عن النفس والتعبير عن الشعوروالاحساس الشخصى . ولم يقلد طريقة الشاعر هينريش هينى Heinrich Heine (ت ١٨٥٦) العاطفية ذات النغمة الحزينة الجذابة ، أو أسلوب ليناو Lenau (ت ١٨٥٠) الذى يجأر بالشكوى المريرة وانما كان يتميز فى ترجمته للأشعار الشرقية هذه ــ كما قلنا ــ باخفائه لكل مشاعره الشخصية خلف متعته فى التمسك بترجمة الأسلوب الشرقى ذاته بغنائيته وولعه بالصياغة ، وانتقاء الألفاظ ، واللعب بها وهى ظاهرة لا يتميز بها الشعر الشرقى فقط ، وانما عرفها أيضا الشعر الأوربى المسيحى فى عصوره المتقدمة وكذا الشعر الغنائى الحديث كما قلنا .

ومن الملاحظ الغريب أيضا أن ريكرت لم يترجم ترجمة منثورة ، فقد كانت ترجماته كلها شعرا منظوما فهو لم ينس قط انه شاعر بل انه يعتبر التعبير أو الترجمة شعرا حاجة وضرورة بالنسبة له(١) .

والكتاب الوحيد الذى ترجمه الشاعر نثرا هو كتاب « هفت قلزم » أى البحور السبعة أو الدفتر السابع فى البلاغة الفارسية . وكان يترجم كل ما يقع تحت عينيه من نصوص شرقية بل انه أحيانا يترجم الأبيات التى قام بترجمتها من قبل وقد يتنبه الى ذلك أحيانا فيقول فى احدى المناسبات :

« كانت الترجمة تسيل من ريشتى
حتى ليمكننى أن أزعم أننى ترجمت
هذا الكلام من قبل . ولكن كيف كان
ذلك ؟ »(٢)

وهو فى ترجمته للشعر يحرص على أن تكون الترجمة شعرا فحسب ، بل انه يحرص أن تكون شعرا مقفى مثل الأصل العربى أو الفارسى على غرابة ذلك فى اللغة الألمانية . فالشعر الألمانى أقرب الى الموشح أو المربع أو المسدس وتاتى القافية فيه بتكرير مقطع أو كلمة أو عدة كلمات . أما الشعر ذو القافية الواحدة فلم يكن معروفا لديهم . فلما حاول زيكرت (بصفة خاصة) تقليد القافية العربية جاءت حلوة الوقع رشيقة الجرس وخاصة حينما استعمل طرز « الغزل » وحيد القافية الذى استعمله بلاتن أيضا . وأخذت عنهما فانتشرت فى أوروبا بالنصف الثانى من القرن التاسع عشر . بل ان ريكرت ذهب الى أبعد من هذا فأدخل البحور العربية فى الألمانية ونظم فيها ترجمته فنظم فى الطويل ونظم فى البسيط كما نظم فى غيرها .

وأكثر ما يحافظ عليه ريكرت فى ترجمته هو الجمال اللفظى وروح اللغة وهو يدرك هذا حقا ، اذ يقول ـ واعيا ـ حين يكتب لناشر كتبه كوتتا(١)
« ان من استوعب الروح الموجودة فى أشعار جوته والشكل الظاهرى فى مؤلفى هذا وأضاف الى هذين الجوهرين فهمه للمضمون (الكتلة الجسمانية)

Mir is Verse zu machen, und Künstliche Verse, ein Bedürfnis

(١) مقدمة شيمل ص ٤٢ .

(٢) مقدمة شيمل ص ٤٤

(١) برانج ص ٨٣ .

كما توجد فى آثار هامر بورجشتل أمكنه دون أن يعرف الفارسية أن يعرف كنه الشعر الفارسى بصفة عامة » .

ويقول الأستاذ الجامعى الناقد اميل شتايجر Emil Staiger عنه « شاعر غنائى ومترجم مثالى فى المحافظة على تركيب وصياغة ما يقوم بترجمته »(١) .

كان يعرف العديد من اللغات وكان يترجم عنها كلها بل انه ترجم كل ما عرف من نصوص شرقية فى عصره . وكانت ترجمته تشهد بعلو قدره ليس فى الشعر فقط بل فى اللغة أيضا . ويدل على قدرته فى الترجمة والصياغة قوله :

حاول أن تتسقط حديث الأرواح فى خفة مثلما

تبدل الأرواح هائمة ثياب اللفظ فى خفية .

Du aber Suche fein die Geister zu belauschen
Wie, wandelnd unsichtbar, sie Wortgewande tauschen

ولعل حبه للترجمة نشأ متساوقا مع حبه للفظ واللعب باللفظ . ويدل على ذلك ترجمته لهومير حينما كان فى الرابعة عشر من عمره تلك الترجمة التي كتبها بين السطور كما تدل عليه أيضا نماذج الترجمات العديدة التى كتبها بين سطور كتبه الخاصة أو بجوار النص فى مخطوطات الكتب التى نسخها لنفسه أو مراجعاته وملحوظاته التى علق بها على نص الفردوس أو مختارات المستشرق كوزى جارتن Kosegarten (١٧٩٢ – ١٨٥٠) :(٢)

فى مهارة أكروباتية (ان صح هذا التعبير بالنسبة للترجمة واللعب بالالفاظ) . ولاعتداده بترجمته نجده يطلب من الناشر ميروك هاوس أن ينشر ترجمته لديوان جامي جنبا الى جنب مع النص الفارسي(٣) وهذا نوع من أنواع الترجمة الحرفية الذى لا تتجاوز الحرية فيه السطر أو البيت الذى تكتب أمامه(٤) وهو فى ترجمته كلها اذا ، لم يكن أكثر من واسطة لنقل التراث الشرقى — سواء أكان يهدف واعيا الى ذلك أم لا — الى الألمانية بينما كان جوته

---

(١) فى كتابه عن جوته جـ ٣ ص ٨ Goeth III
(٢) مقدمة شيمل ص ٤١ G. Mounin, Die übersetzung
(٣) برانج ص ٢٢٨ .
(٤) راجع ص ١٨ Rezeptivität

وشيللر يبالغان في الاستقلال بشخصيتهما حتى ولو كانا يترجمـان فلم يحافظا على أمانة الترجمة وأصالة النص المترجم · أما ريكـرت فقد وهب طبيعة التقبل الانصياعى الانثوى كما تقول الاستاذة شيمل(٣) فيتقبل النص الأجنبى وينصاع له ويؤديه كما هو بترجمته الى الألمانية بأدق تفاصيله فى أمانة تامة ·

فقد حاول جوته فى الديوان الغربى الشرقى(٤) أن يلبث الفكر والحس الغربيين ثيابا وصياغة شرقية ، أما ريكرت فقد اجتهد فى ديوانه ورود شرقية Östliche Rosen فى تقريب الفكر والحس الشرقيين فى ثيابهمـا وصياغتهما الشرقية الى الروح والذوق الالمانى · ومن ثم تجد أن جوته يعبر عن ذلك فى أواخر حياته وكأنه يعبر عن تجارب شخصية وخبرات خاصة به وان كانت القوة الابداعية الشرقية تبدو من خلال أشعاره · أما ريكرت فانه يريد أن يقدم للقارىء الالمانى نماذج فنية انسانية غريبة عليه ، وان كانت فى الواقع مقبولة لديه أثيرة عنده · لذلك لا يمكن أساسا أن نقوم بالمقارنة بين الديوانين · وفى هذا يقول شلاير ماخر Schlaier Macher « ان الترجمة حركة تؤدى فى اتجاهين متضادين · فاما أن ينقل المؤلف الى لغة القارىء أو ينقل القارىء الى لغة المؤلف الأصلية »(٥) ·

ويتحدث جوته عن حريته مع الأدب الشرقى ومقاومته للانصـياع له فيقول فى كلمة دونها بيومياته عام ١٨١٥ « كان لزاما عـلى أن أقف موقف المنتج لأنى ان لم أفعل ، ما كنت أستطيع أن أصمد أمامه ، أى أمام هذه الظاهرة القوية ، ولقد كان تأثيرها فى نفسى شديدا حيا ، شدة وحيـوية بالغتين · كانت الترجمة الالمانية بين يدى ، وكان على أن أجد فيها دافعـا يدفعنى الى المشاركة فيها · وانطلق من وجدانى كل ما كان كامنا أو معتملا فيه أشـياء تشبه المادة والمعانى التى اطلعت عليها ، انطلق بدرجة من العنف ، شـديدة جعلتنى أحس فى نفسى حاجة ملحة الى أقصى حد تدفعنى الى الهرب من العالم الواقعى الذى يتهدد ذاته سرا وجهرا ، الهرب الى عالم خيالى يترك لرغبتى وقدرتى وارادتى مهمة الاشتراك السعيد فيه · »

ويعلق الاستاذ بارت على هذا بقوله « وكانت ثمرة هذا اللقاء ما نجده بين دفتى (الديوان الغربى الشرقى) · هذا الكتاب الذى أحبه الكثيرون من

---

(٣) مقدمة شيمل ص ٤٤

(٤) West — östlicher Divan

(٥) راجع معجم فيشر ص ٥٨١ — ٥٨٧ ·

مبجلى الشاعر العظيم ، واعتبروه ثمرة من أعظم وأثمن الثمار التى جادت به قريحته المنوعة الجوانب . والمرء اذا اطلع على الجزء الثالث الذى ألحقه جوته بالديوان وأسماه (مذكرات ومقالات) تبين كيف جمع جوته بهمة كل ما نما الى خبرته من معلومات عن عالم الشرق ، وكيف ناقشها ومحصها بقوة . أما أن الديوان الغربى الشرقى (يصح أن يسمى بالعهد الأعظم لبحوث الشرق) كما قال هانس هاينريش شيدر (١٨٩٦ – ١٩٥٧) فى كتابه Goethes Erlebnis des Ostens مصطلحا عبارة بلاغية ، فأمر لا يوجد بالديوان ما يمكن من استنتاجه . كان الدافع الى ابداع الديوان هو النموذج الفارسى المتمثل فى الشاعر حافظ ، ولكن الديوان رغم تسميته بهذا الاسم الشرقى ، لا يزيد ولا ينقص عن أن يكون حوارا شعريا لجوته مع نفسه ، وليس له فى اسبابه علاقة بالاستشراق »(١) .

ويقدم لنا جوته فى الديوان الغربى الشرقى فكرة واضحة عن تمثله لأنواع الترجمة وفهمه وتصنيفه لها فهو يميز فى الفصل المكتوب عن الترجمات(٢) بين ثلاثة أنواع من الترجمة :

الأول هو الذى يعطى الحصيلة الفكرية للنص الأصلى نثرا فى أمانة وتهمل فيه كل خصائص الشعر الأجنبى وأسلوبه الفنى وتحيل الحماس الشعرى الى سلاسة النثر مثل ترجمة مارتن لوتر (١٤٨٣ – ١٥٤٦) Martin Luther للكتاب المقدس وهذا النوع الذى يذكره جوته هو فى الواقع النوع التقليدى الاكاديمى والذى يمارس فى دوائر المعارف وما شاكلها .

والنوع الثانى للترجمة يسميه جوته ترجمة حرة Paraphrastisch أو الترجمة الجزئية او التكميلية Suppletorisch أو التقليد الشعرى Parodistisch وهو النوع الذى يتمكن فيه المترجم من التعرف على المعانى الأجنبية الا انه يستعير لنفسه معانى غريبة عنه ويجتهد فى التعبير عنها وصياغتها وكأنها معانيه الخاصة وأفكاره هو . وضرب لهذا النوع من الترجمة مثلا بترجمات فيلاند (١٧٣٣ – ١٨١٣) Christoph Martin Wieland مادحا اياه كثيرا . وهو يشير الى أن الفرنسيين مارسوا هذا النوع من الترجمة ومعنى ذلك انه يعنى بهذا النوع من الترجمة ، الترجمة غير الأمينة Bèlles infidéles التى عرفت خاصة فى فرنسا فى العصر

---

(١) الدراسات العربية والاسلامية فى الجامعات الألمانية – الترجمة (د. مصطفى ماهر)
(٢) اعمال جوته ط هامبورج ج ٢ ص ٢٥٥ – ٢٥٨ Goethes Werke II

الكلاسيكى • ويبدو من الوصف الذى ينعت جوته به هذا النوع من الترجمة انه لم يكن بقدره كثيرا(١) كذلك نجده يقول بامكانية ممارسة النوعين الاول والثالث ولكن ليس الثانى • أما النوع الثالث فهو النوع المثالى عند جوته وهو الترجمة التامة المثلى التى لا تعطى المعنى فقط بل تعطى العناصر البلاغية والاتساق النغمى أيضا الذى يتميز به النص الاجنبي مع خلع رداء اللغة الألمانية عليها بحيث لا تكون الترجمة بدلا من الأصل ولكن فى منزلة الأصل نفسه • ويضرب مثلا لذلك بترجمات فوس (١٧٥١-١٨٢٦) Joh. Hein. Voss

الذى لم يحظ برضاء الجمهور الا بعد تمكن القارىء من الاقتراب من فهمه والارتياح اليه تدريجيا كما عد من هذا النوع ترجمات شليجل وجويس وفى المرتبة الرابعة ترجمات همر بورجشتل التى يحرص فيها على الصياغة الشعرية للأصل الشرقى مثلما فعل عند ترجمة الفردوسى (الشاهنامه) • وكانت هذه هى المرة الأولى التى يذكر فيها مستشرقا فى هذا الفصل •

أما ريكرت فهو يكتب فى تواضع الى الناشر كوتا Cotta فى ١٦ يوليو ١٨١٩(١) « ان ما قمت به من عمل لا يمكن أن يسمى ترجمة كما لا يمكن أن يسمى تقليدا لما جاء به جوته فى ديوانه الذى لم أحظ بعد بمعرفته للأسف •• اذ أن الاهتمام فى ديوان جوته انما ينصب على الروح وهو لدى يتركز على العناية بالصياغة ولذلك فان من استوعب الروح الموجودة فى أشعار جوته والصياغة الظاهرة عندى كليهما وأضاف اليهما فهمه للمضمون (الكتلة الجسدية) كما يتضح فى ترجمة همربورجشتل لحافظ ومختاراته الشعرية الفارسية أمكنه دون أن يعرف الفارسية أن يدرك كنه الشعر الفارسى بصفة عامة » •

والحق أننا لو نظرنا الى ما جاء به جوته من وصف للنوع الثالث من الترجمة لوجدناه مساويا لما جاء به ريكرت أى أن المترجم الجيد يجب أن يجمع بين مهارات الشعراء الثلاثة : أن يكون فى قدرة جوته فى احساسه بروح الشاعر الأجنبى (الشرقى هنا) وفى مهارة ريكرت فى محافظته على قالب

---

(١) (أى فيما بين عام ١٦٣٦ وبين عام ١٨١٥) اذ آثر الذوق الفرنسى هذا النوع من الترجمة وان كانت تتطلب من المترجم أن يكون نفسه شاعرا أو أديبا مطبوعا • راجع كتاب الترجمة لمونين ص ٣٥ ـ ٤١ Mounin : die Übersetzung.

(٢) وفوس هذا الذى يعنيه جوته هو الذى ترجم ألف ليلة وليلة واشتهر بترجمته لهومير ترجمة تميزت بالعناية بالمحافظة على الوزن واللفظ والمعنى فى النص الأصلى •

(١) راجع براتج ص ٨٣ (Prang).

الشعر والصياغة الأجنبية ، كما يجب أن يكون فى علم الشاعر المستشرق همر يروجشتل وفهمه العميق للأدب والشعر الاجنبى (الشرقى) • وليس أروع من هذا مثلا على دقة احساس ريكرت وتواضعه وتعبيره دون أن يدرى بما كتبه جوته فى الديوان الغربى الشرقى الذى ظهر بعد ذلك فى أواخر تقش العام (١٨١٩) ويتضح تواضعه فى انه جعل وصف عمله بالعناية بالصياغة فقط •

بل انه يصرح بقـوله « ان عملى ليس ترجمة ولكن محـاكاة وآمل أن يأتى اليوم الذى تترجم فيه الأعمال الشرقية العظيمة ترجمة أمينـة الى لغتنا(١) •

كما كان ريكرت واعيا للصعوبات التى ستصادفه عنـد ظهور محاكاته الابداعية لطرز الغزل حتى تجد مكانها الى جوار السوناته الألمانية(٢) والغريب أن جوته لم يتعرض للحديث عن ريكرت اطلاقا سواء عند الحديث عن الترجمة أو الاستشراق وان كان قد مدح ديوانه ورود شرقية وزكاه ، وبالرغم من انه عد ترجمة هر بورجشتل ضمن النوع الذى فضله كما سبق أن ذكرنا ، الا أنه عاد ـ ويفضل خصومة مستشاره الاستشراقى ديز(٣) لهر بورجشتل وعـدم رضائه عن أعماله (أى رضاء Deiz) فصرف النظر عن اعجابه به والاشادة بترجمته • اذ أنه رأى ـ بعد أن كان يقبل على ترجمته ويستشهد بها فى كتبه ـ أن ترجمته ترتفع الى مستوى الجودة • فقد كان ديتز يرى أن ترجمة الشـعر الشرقى يحسن أن تكون ترجمة أمينة نثرية وانه لا يرى أن تكون شعرا فى أوزان معقدة ، أما همر يورجشتل فكان يرى انه يجب أن يخلع عليها ثـوب الأوزان الفخمة حتى يقترب القارىء الأوروبى من الشعر الشرقى ولـذلك استعمل الوزن المحبب فى العصر الكـلاسيكى الاول ((Distichon)) • وكان جوته يتقبله ويمتدحه وان كان يرى أن الأفضـل أن يستعمل أوزانا سهلة (مثل : (Hexameter أو Pentameter)) ولكنه وجد فيما بعد أن استعمال هذه الأوزان الكلاسيكية غير جدير بالعصـور المتقدمة مثل القرن الثامن عشر حين ترجمت الأشعار الشرقية الى اللاتينية غالبا ، بل انه لم يكن راضيا تماما عن ترجمة جونس للشعر الشرقى فى مثل هذه الأوزان • لذلك

---

(١) من مقدمة ريكرت للمقامات •

(٢) برانج ص ٨٥ •

(٣) راجع كتاب كتارينا مومزن جوته وديتز ص ٢٥ ـ ٢٤ Katarina Mommson : Goethe u. Diez.

أثر المستشرق كوزجارتن (١٧٩٢ – ١٨٥٠) Kosegarten الذى كان جوته يلجأ اليه فى أمور الاستشراق لجوءه الى ديتز — أن يستعمل الوزن السهل Blankvers لعلمه برأى جوته كما يصرح بذلك ولقرب هذا الوزن من النثر • وحينما أراد جوته أن يأتى بأمثلة للترجمة الجيدة اختار ثلاث كتب باللغة الفارسية الجديدة ومنها قصيدتان لشاعر البلاط فتح على خان الذى كان يمدح الشاه فتح على شاه (١٧٩٧ – ١٨٣٤)(١) فأخذ جوته الأصل الفارسى من المجلة التى يصدرها همربورجشتل باسم كنوز الشرق ج ٦ ص ٢١٦ (فينا سنة ١٨١٨)(٢) ولكنه لم يأخذ عنه ترجمته الواردة بنفس العدد وانما أخذ ترجمة كوزى جارتن فى الوزن السهل كما علق على الترجمة هو وكوزى جارتن وبين دون اشارة الى همربورجشتل الأخطاء التى وقع فيها فى فهم النص فى بعض أجزائه وفى ترجمته له(٣) فضلا عن أنه بين خطأه فى اختيار الوزن الكلاسيكى الصعب للترجمة فأحنق هذا همربورجشتل وهاجم كوزى جارتن فى مجلته فنصحه ريكرت فى ٦ من يناير ١٨٢٥ أن ينصرف عن مهاجمته فلم ينتصح بل هاجم جوته أيضا فلم يرد عليه •

والواقع أن عدم رضاء جوته عن ترجمة همربورجشتل بعد أن اتصل به ديتز وكوزى جارتن هو فى الوقت نفسه عدم رضاء عن تلميذه ريكرت الذى حاول مثله الترجمة فى أوزان تقارب أوزان الشعر العربى أن لم تكن نفسها •

والأمر يجرنا الى الحديث عن ترجمة ريكرت ورضاء الأدباء عنها أو عدم رضائهم فكل ترجمة حتى ولو كانت ممتازة لا يصح أن نلجأ اليها الا للضرورة • وهى لا يمكن أن تغطى ما يغطيه الأصل تماما • وان كان هذا لا يقلل من أهميتها اطلاقا فى نقل آداب الشعوب وثقافاتها وعلومها الى غيرها • اذ أن التفاهم بين الشعوب لا يقوم أساسا الا على التفاهم بين آدابها • ولذلك نجد أن شوبنهاور Schopenhauer نفسه بعد أن شبه الترجمة بنسخة منسوخة على لوحة أصيلة استعمل فى نسخها (نفاية القهوة) Kaffeesurrogat الا أنه عاد يقول « ان كل ترجمة يجب أن يحتوى الروح فيها جسد جديد(٤) أى أن ثمة نوع من تناسخ الارواح عند الترجمة » •

---

(١) فوق العلم Auf die Fahne
فوق الوشاح Auf das Ordensband

(٢) Fundgruben des Orients

(٣) راجع الجزء الثانى من أعمال جوته ط • هامبورج ص ٢٦٠ – ٢٦٤ ، كاتارينا مومزن جوته وديتز ص ٣٢ – ٤٤ •

(٤) راجع معجم فيشر الأدبى ص ٥٨١ – ٥٨٧ •

وقد جمع ريكرت بين أهم الأسس التي يجب أن تتوافر في المترجم ٠ فهو أولا متعمق فيدراسته للغة الألمانية تعمقا جعله يتغنى بها وينادي بأنها اللغة المثالية التى يمكن أن يستعاض بها عن اللغات الأخرى مثلـــه فى ذلك مثل جوته وهو ثانيا شاعر موهوب متمكن من لغته وله أسلوبه المحبب الى القارىء الألمانى ٠ بل ان له أغانى ما زال الناس وخاصة الأطفال يتغنون بها وما زالت أناشيده الدينية يترنم بها فى الكنائس ٠ وهو ثالثا دارس متخصص للغـات الشرقية التى يترجم عنها ، عارف بأسرارها ، مهتم بها ومتحيز لها الى درجة جعلته يقول بأن الاشتقاق فى العربيـة والسنسكريتية لا يعلوه شيء فى أية لغة أخرى ٠٠ ومما يدلل على معرفته التامة باللغات التى ينقـــل عنهـا تلك التعليقات والملحوظات التى يذيل بها ترجمته فى دراسة جادة واعية وهو رابعا يجتهد محاولا أن يصل الى الايقاع اللغوى للأصل المترجم ليحاكيه فى ترجمته ولذا يختلف أسلوبه باختلاف الأصل ٠ وان كان أحيانا يصرح بأنه لا يمكنه ذلك اذ أن ذلك مستحيل لارتباط النص أحيانا باللغة التى ينقل عنها ارتباطا وثيقا ، فاذا ما فصل النص عنها فقد الكثير من أصالته وروعة اتساقه وقوة جرسه ، فالفكر فيها مرتبط بالنغم اللغوى ٠ وهذا يتمثل فى المقامات كما يتمثل فى شعر فيرلين وبودلير فلا يمكن حينئذ أن تكون الترجمة الا محاكاة ابداعية وخاصة اذا كان النص مليئا بالصور الذهنية الاكروباتية(١) ٠

محمد عونى عبد الرءوف

أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية بالألسن

---

(١) راجع كتاب الترجمة لمونين ومادة ترجمة بمعجم فيشر الأدبي ٠

الإرهاص الثوري
في شعر الأسمر

بقلم : الدكتور محمد عبد الرحمن شعيب

الأسمر شاعر مصرى حديث ٠ عاش أحداث مصر وتجاربها ٠ وأسهم بشعره فى تصوير واقع بلده ٠ وفى رسم الاطار المثالى الذى يجب أن يراها عليه ٠

ولد فى مدينة دمياط فى يوم الثلاثاء ٦ من نوفمبر ١٩٠٠ م وفارق دنيانا فى يوم الثلاثاء ٧ من نوفمبر ١٩٥٦ ٠ وبين هذين الثلاثين ٠ ثلاثاء مولده وثلاثاء وفاته تقلبت به الحال تقلبات شتى ٠

التحق بالكتاب فى طفولته لحفظ القرآن الكريم ٠ ثم التحق باحدى المدارس الخاصة المجاورة لبيت أسرته ٠ والتى ما زالت قائمة الى اليوم ٠ وفى تلك المدرسة تعلم الكتابة والقراءة والنحو والحساب ٠ وحفظ الكثير من النصوص الأدبية التى حركت احساسه ووجدانه وخلقت فيه القدرة على نظم الشعر والبراعة فيه ٠

وفى سنة ١٩١٥ التحق الأسمر بمعهد دمياط الدينى ٠ ولبث فيه من العمر خمس سنوات يتلقى على أيدى شيوخه معارفهم وعلومهم حتى أتقنها وبرع فيها ٠ وأتقن معها أسباب الشعر ومقوماته ٠ واتسعت معارفه بحيث استطاع فى تلك الآونة أن يقول الشعر ويبرع فيه ٠

وفى سنة ١٩٢٠ غادر معهد دمياط الى مدرسة القضاء الشرعى بالقاهرة ولكنها ألغيت بعد ثلاث سنوات قضاها بها ٠ فجمع أحماله وأوراقه والتحق بالقسم العالى بالأزهر ٠ حيث تخرج فيه سنة ١٩٣٠ حاصلا على الشهادة العالمية النظامية ٠ ثم انخرط الأسمر بعد تخرجه فى سلك الكتبة بالجامع الأزهر ثم نقل أمينا للمحفوظات فى ادارات مختلفة بالجامع الأزهر ٠ وانتهى به المطاف الى وظيفة أمين مكتبة الأزهر الى أن وافاه أجله وهو يقوم بمهامها وأعبائها ٠

والفترة التى عاشها الأسمر مليئة بالاحداث الجسام عالمية كانت تلك

الأحداث أو وطنية • ففيها اندلعت الحرب العظمى الأولى سنة ١٩١٤ وشبت الحرب العظمى الثانية سنة ١٩٣٩ • وفيها شبت مشكلة فلسطين وأحداثها الدامية سنة ١٩٤٨ وفيها اندلعت فى مصر ثورة ١٩١٩ • وأبرمت معاهدة ١٩٣٦ بين مصر وانجلترا وألغيت تلك المعاهدة من جانب مصر سنة ١٩٥١ • وشبت معارك القناة بين الفدائيين والانجليز عقب ذلك • وفيها وقع العدوان الثلاثى على مصر فى أكتوبر سنة ١٩٥٦ • وسارت جنازة الأسمر بدمياط تحت ازيز الطائرات وقصف المدافع فى أصيل يوم نكد من أيام العدوان • كأنما أبت الدنيا عليه أن يغمض عينيه على هدوء واستقرار بعد أن عاش عمره فى صراع مع الأحداث وثورة مع الأيام •

ذلك هو الأسمر أحد شعراء مصر اللامعين • ولن نتناول هنا الأسمر بالدراسة المتكاملة المفصحة عن فنه ومذهبه وقيمة شعره وشاعريته وآرائه فى مشكلات بلده وأحداث زمنه ومدى ارتباط فنه بنفسه وتصويره لواقعه فتلك الى الدراسة العلمية أميل وهى دراسات فوق طاقة تلك الصفحات التى تكرمت مشكورة علينا بها تلك الصحيفة ولكنا سنحاول الوقوف الى جانب زاوية واحدة من زوايا شعر الأسمر • وهى استشفاف ما فى شعره من امارات الوعى الثورى أو التنبؤ بالثورة قبل وقوعها لتتضح لنا مدى قدرة الشعر على استشفاف الأحداث وتصوير المستقبل • ومقدار قدرة الشعراء على الرؤية الواضحة لصفحات الغد وهى كامنة فى بطن الغيب • حتى ليصح فيهم قول سقراط ان الشعر نوع من النبوغ والالهام • وأن الشعراء كالقديسين والمتنبئين لا يقولون الشعر عن حكمة • ولكن عن وحى والهام •

والحق أن المسألة ليست وحيا ولا الهاما • ولكنها النظرة الثاقبة لعواقب الأمور والنتيجة الطبيعية لمجرى الأحداث والاستنباط السليم لنتائج الوقائع وبذلك تكون النبوءة فى متناول العقل السليم والنفس الصافية والحس الصادق وتلك احدى خصائص الشعراء الخالدين •

ويأخذ الارهاص الثورى لدى الأسمر مظاهر شتى مثل :

١ ــ تنبيه الناس الى واقعهم المؤلم •

٢ ــ تحريضهم على تغيير هذا الواقع •

٣ ــ عرض أمجادهم السالفة على مسامعهم لينفروا من واقعهم المخزى ويتأسوا بأسلافهم •

٤ ـ التنديد بالساسة وكشف مستور حالهم وحيلهم ٠

٥ ـ التنديد بالأغنياء وتحميلهم مسئولية الفساد والانحراف ٠

٦ ـ توقعه قرب يوم الخلاص على يدى مواطن أبى ٠

أما تنبيهه الناس الى واقعهم المؤلم فانه يتمثل فى مصارحته الشعب بجهله بواقعه وعدم فطنته الى حقيقة وضعه السياسى ٠ وقنوعه بمظهر الاستقلال أو رضاه بدعوى الاستقلال دون أن يكون ذلك واقع أمره ٠ اسمعه يقول في قصيدة له بعنوان الاستقلال الزائف :

ويح الأولى ركنوا الى أوهامهم	ومشوا وراء زخارف الأقوال
زعموا البطولة بالبراع وانما	تحت الغبار بطولة الأبطال
حيث الكمى يذب عن أوطانه	ويخوض لج الموت غير مبال
ما ان سمعنا أن أية أمة	نالت مآربها بغير قتال
قالوا استقل النيل قلت كذبتم	يا نيل هل أحسست باستقلال؟
زعموك أنك فى ربوعك مطلق	عجبا فكيف الرسف في الأغلال؟
ما كل شعب مستقل مطلق	بل بعض الاستقلال طيف خيال

ان استقلال بلده كان طيف خيال لأنه لم يشعر به ولم يشعر به النيل ٠٠ أى أنه لم يأت نتيجة قوة وبعد وقفة تتلاحم فيها الجيوش وتصول الكتائب ٠ ولم ينتزع النيل استقلاله من أيدى غاصبيه ولم يجبرهم على الرحيل ولم يستطع أن يملى عليهم ما شاء من الشروط ٠ وما استطاع بقوته أن يرغمهم على الاعتراف بحقه فى الاستقلال ٠ ولكنهم خدعوه بدعوى الاستقلال دون حقيقته ليحولوا بينه وبين الحركة الثورية المحققة للاستقلال أو الحركة العسكرية الحامية للاستقلال وبذلك يكون استقلال النيل استقلالا مزعوما ٠ أو استقلالا على الورق ٠ وهو ما لا يرضى عنه الأسمر ٠

ان الأسمر لا يعترف بالاستقلال الا اذا كان نتيجة لقوة تجلبه وكتائب تحرسه ٠ وبحيث لا يكون منحة من غاصب أو خدعة من مستعمر ٠ اسمعه يقول :

اذا أنت لم تفزع الى السيف والقنا	دهتك ليال نومهن قليل
وما نالت استقلالها قط أمة	وليس لها تحت الغبار خيول
اذا أنت لم تحمل قناة وصارما	فما لك نحو المكرمات سبيل

رأيت صليل السيف أبلغ منطقا ... اذا قام بعض القائلين يقول
اذا أنت لم تدر الطريق الى العلا ... فان الحسام المشرفى دليل
وان أنت راسلت الملوك لحادث ... فما لك غير الدارعين رسول
اذا الملك لم تبن الرماح أساسه ... فبنيانه أرجوحة ستميل

وعلى أساس من هذه الفكرة الواضحة يقرر الأسمر أن الناس فى مصر تعيش فى خدعة كبرى أو تحت طامة كبرى ليس لها من دون اليقظة السياسية والقوة العسكرية كاشفة وكأن الأسمر بهذه الدعوة يحرضهم على نبذ التواكل واتخاذ طريق آخر أدعى الى العزة مما هم عليه حتى يسموا الى مستوى العيش السياسى السليم . كما ينبههم الى الاهتمام بالجيش لأنه الدرع الحامية للأمة المحققة للاستقلال . كما ينبههم الى ملاقاة المحتلين فكرا واحدا وصفا واحدا . فتراه يحرضهم على نبذ الخصومات وترك المهاترات فى قوله الى الأحزاب :

خصام وصلح كل يوم وحالة ... الى عبث الأطفال واللهو أقرب
نعمتم باشعال الخصومة بينكم ... ومصر على نيرانها تتعذب
رياح من الفوضى وعهد قضى به ... لباناته من لم يزل يتقلب
ولوعلمت مصر قصارى جهادها ... اذا ما جرى فيها دم يتصبب
غرسنا بأيدينا العداوة بيننا ... ورحنا الى أعدائنا نتحبب
أقلب طرفى لا أرى غير تاجر ... يفكر فى أسواقه كيف يكسب

***

بنى وطنى ان البرية كلها ... تجد وأحزاب الكنانة تلعب
اذا لم تقرب هذه الحرب بينكم ... فيا ليت شعرى أى شىء يقرب

ولكن الحرب لم تقرب بينهم . بل زادت ما بينهم من خصومة وضراوة . ولو اختصموا فى سبيل مصر لهان الخطب على الأسمر ولكنهم عنها فى شغل شاغل . مما جعلهم الى عبث الأطفال واللهو أقرب . وجعل مصر من وراء لهوهم وعبثهم تزداد ضعفا وخسارة . ان القوم يتصارعون فيما بينهم صراعا يقضى عليهم ويجلب على بلدهم الويل والثبور .

كفى ما كان من فتن غواش ... روائح فى الكنانة أو غواد
لقد كدنا نكون وقود نار ... تطير شواظها ريح العناد

حصدنا بذر هذا الخلف فينــا فكان حصاده شر الحصــاد
فقوموا للضغائن وانزعوهـــا وسيروا بالبلاد الى الرشـــاد

وكما يحرضهم على نبذ التنابذ والخصومات لتغيير واقعهم يحرضهم على التمسك بالوحدة فانها معين لهم على التخلص من واقعهم الأليم ٠

يا قومنا استمسكوا بعروتكم فانها كالحيــاة للجسد

ويستمر الأسمر يضرب على ذلك الوتر وينفخ فى ذلك الناى عل نفخه من نغماته تصيب أذنا واعية أو قلبا متفتحا فيترجمها الى عمل دافق تحيا به تلك الأمة فتهدأ نفسه ويستريح باله ٠

وأحيانا يتخذ نغمة هادئة رزينة هى الى الاقناع والمناقشة أقرب منها الى التحريض والدفع فتراه يعرض عليهم أمجـــاد آبائهم علهم يتأســون بهم ويحاكونهم فى مسلكهم ومنهجهم وقوة شكيمتهـم التى أرغمت الـدهر على الانحناء لهم ٠

وأعدوا ما استطعتم للعـــلا لا ينال المجد الا من أعـــد
واذكروا تاريخ آباء لكم سجد الدهر لهم فيمن سـجد

ويندد الأسمر بساسة بلده لأنهم لم ينهضوا بواجب الحكم ولم يقفوا موقف الحاكم الحريص على سمعة بلده ومجد أمته ٠ ولكنهم كانوا أذلاء ضعفاء فازدادت بهم مصر ضعفا واكتست ذلا ٠

مرضت بكم تلــك البـــلا د وزلتـــم فـأبلت
هـــانت على أيامكـــم لهـــوانكم واستخـذت
ان الذليـــل اذا تحكـــ م فى بـــلاد ذلت

ويعلل الأسمر سبب ضعف الوزراء والحكـــام بأنهم يدورون فى فلك المستعمرين ٠ والمستعمرون قوم مردوا على النفـــاق والخبث والدهـــاء ٠ يستوزرون الوزير ما دام وفق هواهم ٠ فان خالف هواهم عزلوه ٠ فكـأن الوزارة أجر الخيانة لمصر والعبث بالمصريين ٠ وهـــذا سبب تعاقب الوزارات وسبب ضعف الوزراء ٠

وزارات يراح بها ويغــــدى فقل للحـــاملين لهـــا رويدا
دمى خزف وألواح زجـاج وان لاحت حدائد أو أشدا

ويربط بين تعاقب الوزارات وفلسفة المستعمرين فى التعامل مع الشعوب المغلوبة على أمرها فيقول :

فيا أبناء لندن بعض هذا ... كفى عبثا بنا عهدا فعهدا
اذا شدتم هدمتم بعد حين ... فمن أحببتموه فقد تردى
وليس لكم صديق أو عزيز ... ولكن تبتغون الكل عبدا
وقد تستبدلون بذاك هذا ... ولا تخشون من أحد مردا
ولستم ذاكرين لذاك ودا ... ولستم حافظين لذاك عهدا
تدير يداكم كأسا سقيتم ... به من قبل عدليا وسعدا
اذا هيأتم مهدا لقوم ... طويتم فى ثنايا المهد لحدا
فيا وزراء مصر بكل عهد ... أرى عقد الوزارة صار قيدا

ومن يرضى لنفسه أن يعيش فى القيد · ان الحر يأبى القيود ويعاف الأغلال · ولا يرضى أن يتحكم فيه ظالم أو مستبد · وكأن الأسمر بذلك يدفعهم الى اليقظة ويحركهم الى الثورة ان كان فيهم وعى بمقومات الحياة ·

ولم يكن الشعب غافلا عن ملهاة الحكم وعبث الحاكمين · كان يقظا واعيا · ولكنه كأن ضعيف الحيلة مسلوب الارادة · تنخر فى جسمه الأمراض والعلل · ولكنه برغم ذلك التهالك يتهيأ لشىء خطير · ولم يكن ذلك الشىء الخطير بالخافى عن وعى واحساس الأسمر · بل نراه يتوقعه من خلال الأحداث ويراه وسط المواقف ويكاد يشير اليه مصبحا ويشير اليه ممسيا · نراه يتوقع انفجارا من داخل صفوف الشعب وبخاصة من بين المثقفين لأنهم يشعرون بما يراد بهم ويحسون بما يقع عليهم ويعرفون مقدار تجنى الحاكمين وعبث المستعمرين كما يتوقعه من العسكريين لأنهم يملكون أداة الردع ووسيلة تغيير الواقع ·

استمع اليه فى قصيدة له بعنوان « الشعب » نشرتها جريدة « الجمهور المصرى » يوم ٣٠ يوليو ١٩٥١ يقول متوقعا ثورة المثقفين فى مصر :

واذا المثقف عاش غير مكرم ... فهناك شىء لا محالة حاصل
واذا تأخر منه عاجل أمره ... فله انفجار بعد ذلك آجل

ولكن متى يحين ذلك اليوم · انه فى علم الغيب لا فى علم الأسمر · هو فقط يتوقعه ان عاجلا أو آجلا · ويعلم أنه آت لا محالة · ولكنه لا يعرف وقته وموعده ·

ان الأسمر يعد الانفجار الثورى حتميا لمسار الحياة فى مصر وتقلب الظروف فيها ٠ ولكنه يعلم أن أى حركة ثورية مصيرها الفشل ما لم تقم بها القوة الضاربة القادرة على المواجهة والحرب ٠ وكأنه بذلك يحرك الجيش الى الثورة ويدعوه الى العمل للخلاص من أيدى المستعمرين وضعاف الحاكمين ٠

ان الأسمر يتلفت الى الجيش فى أكثر من مرة منبها الى مهمته ودوره فى تحطيم الأغلال وحماية الاستقلال فى قوله :

بالجيش تمتنع البلاد وهل ترى ... من غاية عزت بلا رئبال
فابنوا على الأفعال ما تبنونه ... ودعوا المقال فلات حين مقال

وفى قوله :

أقسمت ما رد البلاد طليقة ... شىء كجيش للبلاد لهام
ماذا لقينا والوعود كثيرة ... الا كلاما جاء بعد كلام
قووا لنا جيش البلاد فانه ... سر الحياة يدب فى الأجسام
لو أن للآرام نابا أصبحت ... وكناسها أجم من الآجام

ان الأسمر كان ملهما صادق الحدس ٠ رأى الأحداث فى مصر تتلاحق ثقيلة الوقع على نفوس الناس ٠ ورأى المستعمر يراوغ فى منح هذا البلد حقه فى الحرية والاستقلال ٠ فاستنبط أن الحياة لا يمكن أن تسير على هذه الوتيرة ٠ أو تبقى على ذلك الوضع ولابد من ثورة تتمخض عنها الحياة بعد أن تتهيأ أسبابها وتحين فرصتها ٠

ولقد كانت تلك النبوءة قبل ثورة سنة ١٩٥٢ فى مصر بسنوات قليلة أو شهور معدودة ثم صدقت الأيام ما ردده الأسمر وبشر به ٠ مما يجعل قوله ارهاصا بالتجديد ومبشرا بالتغيير ، وهكذا يثبت الشعر دائما أنه سباق الى استشفاف النفوس وتعمق الأحداث ومبشرا بما تتمخض عنه الحياة من تغيير وتجديد ٠

محمد عبد الرحمن شعيب
استاذ مساعد بقسم اللغة العربية بالألسن

مخطوطة ثانية للشيخ يوسف المغربي

بقلم الدكتور عبد السلام أحمد عواد

بغية الأريب وغنية الأديب فى الفنون الأدبية والأساليب اللغوية ، مخطوطة(١) ثانية ، للشيخ يوسف بن زكريا بن حرب المصرى(٢) • وقد ولد فى العقد السابع من القرن السادس عشر ، وتلقى علومه فى الأزهر عن جلة من علماء عصره ، منهم الشيخ محمد بن أحمد الغيطى السكندرى(٣) ، والشيخ محمد البكرى(٤) ، وولداه: الشيخ زين العابدين(٥) والشيخ أبو المواهب(٦)، ونور الدين العسيلى(٧) ، ويحيى بن محمد الأصيلى(٨) الذى تخرج المغربى على يديه • وبدر الدين القرافى(٩) ، وعلى بن غانم المقدسى(١٠) • وقد تعشق

(١) فهرس المخطوطات العربية بجوته "BIBLIOTHCA DUCALIS GOTHANA" ج ١ ، ص ١٢٣ مسلسل ١٧٢ رقم ١٨٠٧/٣٠ ، كراتشكوفسكى : المختارات ج ١ ص ٣٧٥ ، بروكلمان : الملحق ج ٢ ص ٤٥٩ ، وفى صفحة ٣٩٥ أن بالكتاب ٤٥ فصلا ، تاريخ آداب اللغة العربية لجرجى زيدان ج ٣ ص ٣٠٦ طبعة الهلال ، تعليق د• شوقى ضيف

(٢) عرفت بهذا المؤلف تعريفا مطولا فى « يوسف المغربى وقاموسه » وهو بحث تقدمت به الى جامعة « لينينجراد » للدرجة العلمية الدكتوراه سنة ١٩٦٤ ، وكذلك فى المقدمة التى صدرت بها كتاب « دفع الاصر عن كلام أهل مصر » وهى المخطوطة الأولى للمؤلف نفسه والذى أصدرته فى دار النشر « العلم » فى سلسلة آثار الآداب الشرقية رقم ٢٣ موسكو ١٩٦٨ •

(٣) لهذا الشيخ ترجمة فى الخطط التوفيقية الجديدة ج ٨ ص ٢٦ •

(٤) تراجع ترجمته فى « سانحات دمى القصر فى مطارحات أهل العصر » مخطوطة بمعهد الشعوب الآسيوية لينينجراد رقم ب ١٠٢ ـ B 102 ، ص ١٣٨ ـ ١٤٢ ب ، وفى الخطط التوفيقية ج ٣ ص ١٢٦ ، وفى بيت السادة الوفائية ص ٨ •

(٥) يراجع ما جاء بخلاصة الأثر ج ٤ ، ص ١٩٩ •

(٦) تراجع ترجمته فى خلاصة الأثر ج ٢ ، ص ١٤٥ ـ ١٤٨ ، تراجم الأعيان من أبناء الزمان للبورينى ج ١ ، ص ٢٥٧ ـ ٢٥٩ •

(٧) ريحانة الألبا للخفاجى ص ٣٠٥ •

(٨) المرجع السابق ص ٢٣٨ ـ ٢٣٩ ، خلاصة الأثر ج ٤ ص ٤٨١ •

(٩) ريحانة الألبا ص ٢٦٦ ، خلاصة الأثر ج ٤ ص ٤٨١ •

(١٠) ريحانة الألبا ص ٢٤٤ ـ ٢٤٦ ، خلاصة الأثر ج ٣ ص ١٨٠ • وقد عرض المغربى على شيخه هذا بعض مؤلفاته مثل : مذهبات الحزن ، فأعجب به شيخه وأعطاه « دراهم كثيرة » كما جاء فى دفع الاصر هامش ص ١٩ ب ، كذلك عرض عليه المغربى نظمه لكتاب « درة الغواص للحريرى » فتناوله شيخه بالتعليق : كما فى « دفع الاصر ص ٣ » •

المغربى الأدب ، وأولع بالنظم ، يدل على ذلك قول الخفاجى « وله مورد من الأدب صفى ، وديوان سماه الذهب اليوسفى[١] ، كذلك ذكر المغربى فى كتابه « دفع الاصر عن كلام أهل مصر » عدة كتب له ، هى :

١ ـ أزهار البستان ترجمة الجلستان[٢] .

٢ ـ الأغانى الصغير[٣] .

٣ ـ الألمعية فى الألفاظ الأدبية[٤] .

٤ ـ البدر المنير نظم أحاديث الجامع الصغير[٥] .

٥ ـ تخميس لأمية ابن الوردى[٦] .

٦ ـ ترجمة المربعات التركية[٧] .

٧ ـ تكملة نظم التاريخ للباعونى[٨] .

٨ ـ المثلثات[٩] .

٩ ـ مذهبات الحزن فى الماء والخضرة والوجه الحسن[١٠] .

---

(١) الريحانة ص ٢٣٥ ، ويقارن هذا بما ذكره حاجى خليفة وهو « الذهب اليوسفى والمورد العذب الصفى ، ديوان شعر ليوسف المغربى بن الحربى المصرى ، ذكره الشهاب ، كشف الظنون جـ ٣ ص ٣٣٧ مسلسل ٥٨٣٤ . فما فى الريحانة يشعر بان الديوان شىء آخر غير ما له من الأدب .

(٢) كان اسم هذا الكتاب ـ أو الترجمة ـ الكلستان العربى كما جاء فى دفع الاصر ص ١٠ و ص ١٣٣ ب . ثم غيره المغربى على هامش ص ١٠٨ . ويراجع ما كتبه كراتشكوفسكى فى « بحوث المجمع العلمى الروسى » ص ١٠١ عدد يناير ـ مارس ١٩٢٤ تحت عنوان « ترجمات الكلستان العربية » ، وبروكلمان الملحق جـ ٢ ص ٣٩٤ ـ ٣٩٥ نقلا عن كراتشكوفسكى فى بحثه السابق .

(٣) دفع الاصر ص ١٦ .

(٤) المرجع السابق ص ٦٠ ب ، ٩١ ب .

(٥) المرجع السابق ص ١٠١ ب ، والجامع الصغير هو للسيوطى .

(٦) المرجع السابق ص ١٨ .

(٧) المرجع السابق ص ٩١ ب .

(٨) المرجع السابق ص ٣٦ ب .

(٩) المرجع السابق ص ١٠١ . وقد ذكر المؤلف فى كتابه واحدا وعشرين نموذجا منه .

(١٠) المرجع السابق ص ٩ ب ، ١٩ ب ، ٤٠ .

١٠ ـ نظم درة الغواص(١) :

وهذه الكتب جميعها نظم ، كما هو واضح من الأمثلة التى ساقها المغربى فى كتابه النثرى اللغوى الفريد ، المسمى « دفع الاصر عن كلام أهل مصر » والذى اليه يرجع الفضل فى معرفة ما تقدم من الكتب السابقة ، بل ان فى هذا الكتاب نحو مائتين وخمسين بيتا من منظومه التقليدى وما يزيد عن مائة بيت من الزجل والمواليا ٠

ومخطوطة « بغية الأريب وغنية الأديب » احدى المنظومات اللغوية التعليمية(٢) التى بقيت للمغربى ، وهى نظم لمختارات من كتاب « أدب الكاتب لابن قتيبة »(٣) ٠

وقبل أن أبدأ العرض والمقارنة أريد الاشارة الى اثبات المخطوطة لمن تنسب اليه وهو المغربى ٠ وليس اثبات ذلك بالعسير ، على الرغم من عدم ذكرها عند الخفاجى أو حاجى خليفة أو المحبى ، ذلك أن الخفاجى قد أجمل قوله ، فى عبارته السابقة وفيها ما يفيد أن للمغربى آثارا أدبية ، ربما خفى عليه اسمها ٠ وربما خفى عليه أمر تاليفها واهدائها الى من أهديت اليه ، أما تابعوه ، وهم حاجى خليفة والمحبى ومن نقل عنهما فلم يكونوا بأكثر منه علما بذلك ، ولم يذكر المغربى هذه المخطوطة ـ فيما ذكر من كتابه دفع الاصر ـ جريا على مألوف عادته ، وهى أنه لم يذكر شيئا مما ذكر الا لمناسبة اقتضته ، ولم يحاول أن يفتعل مناسبة ليذكر اسم شخص أو كتاب أو يستشهد بشعر أو ما الى ذلك ٠

فاذا ما عدنا الى المخطوطة نفسها وجدنا على صفحتها الأولى بعد العنوان « وهي من نظم الفقير يوسف المغربى عفى عنه » ثم فى الصفحة التالية لها :

قاله الفقير المغربى نسبا
الأزهرى موطنا وطلبا

---

(١) دفع الاصر ص ٣ ، ٨ ب ، ٩ وهذا الكتاب ، وسابقه مذهبات الحزن عرضهما المؤلف على أستاذه على المقدسى فأعطاه مكافأة ، وقد قرظ أستاذه نظم الدرة ، وعلق عليه ، كما كتب عليه بعض علماء العصر ، كما قال ص ٣ ٠

(٢) يراجع ما كتبه الأستاذ مصطفى صادق الرافعى فى كتابه « تاريخ آداب العرب » جـ ٣ ص ١٥٥ ، ١٥٩ ، عن هذا اللون من النظم ٠

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن مسلم بن قتيبة ، ولد نحو سنة ٢١٣ وتوفى حوالى ٢٧٦ ، وله مؤلفات عدة ، من أشهرها « أدب الكاتب » وقد سماه الأندلسيون والمغاربة « ادب الكتاب » وقد شرحه البطليوسى الأندلسى وسمى شرحه « الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب » ٠ بغية الوعاة جـ ٢ ص ٦٣ ـ ٦٤ ، والبحث الذى كتبه الدكتور محمد زغلول فى سلسلة نوابغ الفكر العربى٠

سبب تأليف المخطوطة :

ذكر المؤلف سبب تأليف مخطوطته فى المقدمة فقال :

لما أطلت فى النظـــام فكرى ... وغصت فى الأشعار كل بحـر

فكم نظرت فيه من ديـــوان ... وجلت فى السجع مع الأقـران

اخترت جمع نقول تنفع ... يخفضى الجنـــاح فيهـــا ترفع

نظمتها نظما بديعـا أسنى ... وقد حوى مع كل حسن حسنا

وفضلها يعرف عنـــد الفاضل ... فتلك من فيض كريم فاض لى(١)

* * *

فواضح مما تقدم أنه اختار مواد لغوية ، صاغها نظما ، لينتفع بها من يريد ، ولتكون له أثرا باقيا يحمـــل اسمه ، وذلك بعـد أن ظهر تفوقه فى النظم .

أما الذى قدمها اليه فهو كذلك مذكور فى المقدمة ؛ اذ فيها :

جعلتهـــا باسم الامـــام الفرد ... عين الموالى المنتمى للمجـد

مزين المنقول بالمعقـــول ... محسن الفروع بالأصـول

أعنى به مولى لـه البجـــاده ... حســين افندى وهو باشازاده

قبوله لهـــا يرى من خـيره ... لأنها كقطـــرة من بحره

لعلها من نـــوره تقتبس ... ومن سـنا أفضـــاله تلتمس

لأنه المورد للأفاضـــــل ... وعلما الأصل والأمـــاثل

كعبة فضل كـــــل من أم له ... فى أى شئ نـــال ما أملـــه

يحفظـه الله ، كـــذا أولاده ... بفضل جود لا يرى نفـــاده(٢)

وحسين زاده هذا ، يعرف به المحبى فيقول « حســين باشا ابن رستم المعروف بباشا زاده الرومى الأصل ، نزيل مصر ، واحد الدهر على الاطلاق ، المحقق الفهامة ، رأس الفضلاء فى دقة ، رأيت خبوه فى كثير من التحريرات والمجاميع ، وذكره الشيخ مدين القوصونى ، وقـــال فى ترجمتـه ، مولده ببلغراد يوم الاربعاء ثانى عشر شوال — وكان ذلك فى أوائل الخريف — من سنة ثمان وخمسين وتسعمائة ، وقدم الى مصر سنة ٩٨٧ هـ ، وحج منها الى

---

(١) بغية الأديب ص ٢ .

(٢) مقدمة المرجع السابق ص ٢ .

بيت الله الحرام ، ثم رجع الى البلاد الرومية ثم عاد الى مصر مرة أخرى وأقام بها » .

ثم استطرد بعد ذلك ، فتناول ذكر أمه ونسبها ، ثم ذكر أشياخه الذين تلقى عنهم ، ثم عاد يقول « وعزم على الاقامة بمصر ، وطلب من السلطان أن يعين له من بيت المال ما يكفيه هو ومن معه من العيال من الدراهم والغلال ، فعين له ذلك ، ثم قدم الى مصر ، وأقام بها بالعزة والاحترام ، مع الاحسان والشفاعات فى العلوفات والجرايات للخاص والعام ، وأنشأ بيتا متسعا مطلا على بركة الفيل ، جعله محلا للجلوس فيه ، للواردين عليه » ويستمر فى استطراد انه ، فيذكر له نماذج من شعره ، ومقتبسات مما قيل فيه ، ويختم ذلك بقوله « وكانت وفاته بمصر فى آخر يوم الجمعة ثالث رجب سنة ثلاث وعشرين وألف (١٠٢٣ هـ) ودفن يوم السبت بالقرب من قبر القاضى بكار ، رحمه الله »(١) .

وواضح أن حسين زاده كان يميل الى العلم أكثر من ميله للسياسة والحكم ، وكان الأدباء يجدون عنده ما يبغون من مجلس حسن ، وصدر رحيب ، وشفاعة مقبولة ، وحاجة مقضية ، فلا غرو أن قدم له المغربى مؤلفه هذا .

وصف المخطوطة :

جاء فى فهرس المخطوطات العربية بجوته ما يأتى : « بغية الأريب وغنية الأديب ، كتيب جيد ، يحتوى خمسة وخمسين فصلا ، ويضم خلاصة أشياء مختلفة ، الفصل الأول فى السماء والنجوم والأزمان ، والأخير فى أصناف المعانى ومعانى الأصناف ، واسم المؤلف مذكور فى الصفحة الأولى يوسف المغربى ، كتبه لحسين افندى ابن باشا زاده ، وكان الفراغ من تأليفه سنة ١٠٠٢ هـ ، ولكن هذا الكتاب نسخ بعد ذلك بمائة سنةأى سنة ١١٠٢هـ وأوله :

حمدا لك اللهم ذاالهبات   يا عالما بسائر اللغات »(٢)

وأضيف الى ذلك التعريف الموجز ، أن المخطوطة تقع فى احدى وثلاثين ورقة ، وفى كل صفحة أحد عشر سطرا ، وهى مكتوبة بخط النسخ ،

---

(١) خلاصة الأثر جـ ٢ ص ٨٩ — ٩٠ .

(٢) فهرس المخطوطات العربية بجوته ، جـ ١ ، ص ١٢٣ ، مسلسل ١٧٢ .

مضبوطة بالشكل — غالبا — وعلى بعض الهوامش تعليقات للناسخ ، من ذلك ما جاء عند قول الناظم :

« لفظ الخلا اسم لكـــل رطب   وضده الحشيش عند كل العرب »

الظاهر أن فيه زحافا ، الا اذا أسقط منه كل التى قبل العرب ، فربما يتزن ، وهو بخط مؤلفه(١) .

ومنه أيضا ما جاء تعليقا على قول الناظم :

ذل وذل ثم خبط خبــط   حــور وحــور ثم خلف خلف
أكـــل وأكـــل فرقة ينضبط   مرط ومرط ومرط يختلف(٢)

اذ قال الناسخ « أنظر هذا البيت (أى الأول) تجده مختلف القافية ، وكذا البيت الذى يليه ، والذى لاح للفقير فى ذلك أن شطر البيت الأول مع أول الشطر الثانى بيت واحد ، وأن الثانى من الشطر الأول مع الثانى من الشطر الثانى بيت كامل ، والغلط انما وقع فى وضع الخط لا فى القافيـــة والا فمؤلفه ، رحمه الله ، كان علامة خصوصا فى علم العروض والأدب ، حرره محمد الحافظ(٣) .

والمخطوطة ليس بها الا أربعة وخمسون بابا — لا خمسة وخمسون — ذلك : أن المقدمة التى ذكر فيها المؤلف أن منظومته تحوى خمسة وخمسين بابا ، والتى نقل عنها ما جاء بفهرس جوته ، قد سقط منها البـاب السابع عشر ، وهو الباب المعنون « بما يعرف واحده ويشكل جمعه » ثم جـــاء فى المقدمة كذلك أن الباب الحادى والخمسين هو « فى الحيـــة والعقرب » أما فى النظم فان ما جاء فى ذلك الباب هو « فى الأسماء المتقاربة لفظـا ومعنى » . وهذا الباب هو الذى ذكر المؤلف فى المقدمة أنه الباب الثـانى والخمسون ،

---

(١) بغية الأريب — المخطوطة ، ص ١١ ب .

(٢) الذل بكسر الذال ضد الصعوبة ، والذل بالضم ضد العز ، والخبط بسـكون البـاء مصدر خبط وبفتح الباء ما سقط من الشىء المخبوط ، الحور بفتح الحاء وسكون الواو الرجوع عن الشىء ، والحور بالمد ضد النقصان ، والخلف بفتح الخاء وسكون اللام ما يقوم مقام غيره ، والخلف بفتح الخاء وسكون اللام الردىء من القول . الأكل بفتح الكاف المأكول ، وبسكونهما مصدر أكل ، والمرط بفتح الراء ذهاب الشعر ، وبسكونها النتف .

(٣) المخطوطة ص ٣٠ .

ويبدو أن الناسخ ـ عند اعادة كتابة المخطوطة ـ لم ينقل ما كتب عن الحية والعقرب ، وهو الباب الحادى والخمسون ونقل ما كتب عن الأسماء المتقاربة ، فظن ـ عند نهاية كتابة الباب ، أنه كتب الباب الثانى والخمسين ، فانتقل الى الباب الثالث والخمسين ، ولذا فعدة الأبواب أربعة وخمسون بابا ، كما أسلفت . وتختلف أبيات كل باب طولا وقصرا ، فبعض تلك الأبواب يقصر حتى يصير ثلاثة أبيات ، وبعضها يصل الى سبعة وثلاثين بيتا .

وبالمخطوطة بعض الأخطاء التى يصعب ارجاعها الى المؤلف أو الى الناسخ، من ذلك ما جاء بالنظم من قوله :

وقمر يقـال والقمـرا أى أبيض وليلة قمرا[1]

والذى فى أدب الكاتب الأقمر[2] .

ومنه أيضا ما فى البيت التالى :

وقبض الالـه قهرا عصبه جمعه قبضه وجذبه[3]

والذى فى أدب الكاتب « قمقم الاله عصبه أى جمعه وقبضه[4] .

ويبلغ مجموع ما فى المخطوطة من أبيات نحو ستمائة بيت تقريبا ، بما فى ذلك الابيات المذكورة فى المقدمة .

وتحمل المخطوطة تاريخ نسخها ، فقد كتب ناسخها على الصفحة الاخيرة منها ما نصه « وكان الفراغ من كتابة هذه النسخة المباركة فى يوم الثلاثاء تاسع عشر شهر القعدة من شهور سنة ١١٠٢ ألف ومائة واثنتين ، عدد أبياتها نحو ستمائة بيت ، وحسبنا الله ونعم الوكيل » ثم ذكر بعد ذلك « تاريخ اتمام المنظومة لناظمها » .

ان منظـومتى انتهت يسر الله جمعهـا
وفتهـا فيـه أرخـوا يكثر الله نفعهـا
١٠٠٢ سنة ألف واثنتين[5]

(١) المخطوطة ص د .
(٢) أدب الكاتب . باب معرفة ما فى السماء والنجوم والأزمان والرياح ، ص ٨٩ .
(٣) المخطوطة ص ٧ .
(٤) أدب الكاتب ، باب ما يستعمل من الكلام فى الدعاء ص ٤٩ .
(٥) المخطوطة ص ٣١ ب .

هكذا كتب الناسخ ، وهو محمد الحافظ ، الذى كتب اسمه على التعليق الذى ذكرته قبلا · يلى ذلك خاتم مكتبة جوته ·

ذلك هو المغربى ، وتلك هى مخطوطتـه ، فأين هى من كتـــاب أدب الكاتب ؟

ان الناظر فى « أدب الكاتب يجده قد انتظم أربعة كتب هى :

١ ـ كتاب المعرفة ·

٢ ـ كتاب تقويم اليد ·

٣ ـ كتاب تقويم اللسان ·

٤ ـ كتاب الأبنية ·

ولست أريد هنا ذكر ما تضمنه كل كتاب ، ولكن ســـأكتفى بذكر ما نظمه المغربى ، مبينا أصله من أدب الكاتب ، وقد وضعت ذلك فى جداول ، ذكرت فيها رقم الباب ، ثم العنوان الذى وضعه المغربى لذلك الباب ، ثم عدة الأبيات المنظومة ، فرقم الصفحة من المخطوطة ، ثم أصـــــل ذلك من أدب الكاتب ، ثم رقم الصفحة من ذلك الكتاب ، وقد اتخذت من النسخة التى قامت دار صادر ببيروت بطبعها سنة ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٧ م ، نقلا عن النسخة التى حققها العلامة ماكس جرينر MAX GRUNERT وطبعت فى بريل BRILL سنة ١٩٠٠ م ، أصلا رغم ما بها من أجطاء فى الطبع(١) ·

(١) من ذلك ما حدث بصفحتى ٨٦ و ٨٩ اذ وضعت كل منهما مكان الأخرى ·

رقم الباب	عنوانه في المخطوطة	عدد الأبيات	رقم صفحة المخطوطة	أصله من أدب الكاتب	رقم الصفحة
الباب الأول	في السماء والنجوم والأزمان	٢٩	٤ ب – ٥ ب	باب معرفة ما في السماء والنجوم والأزمان والرياح	٨٩
الباب الثاني	فيما جاء مثنى	٧	٦	باب تأويل ما جاء مثنى في مستعمل الكلام	٤٢
الباب الثالث	في تأويل المزدوج من الكلام .	١٩	٦ – ٧	باب تأويل المستعمل من مزدوج الكلام	٤٤
الباب الرابع	الدعاء في الكلام	٧	٧ – ٧ ب	باب ما يستعمل من الدعاء في الكلام	٤٩
الباب الخامس	في تأويل كلام من كلام العرب(١)	٣٧	٧ ب – ٩	باب تأويل كلام من كلام الناس مستعمل	٥١
الباب السادس	في المنسوب	٣	٩ – ٩ ب	باب تأويل كلام من كلام الناس مستعمل	٦٦
الباب السابع	فيمن سمي من الناس بالنبات	٣	٩ ب	المسمون بأسماء النبات	٦٩
الباب الثامن	فيمن سمي من الناس بأسماء الطير	٤	٩ ب	المسمون بأسماء الطير	٧٢

(١) في المقدمة : من كلام الناس

رقم الباب	عنوانه فى المخطوطة	عدد الأبيات	رقم صفحة المخطوطة	أصله من أدب الكاتب	رقم الصفحة
الباب التاسع	فيمن سمى منهم بأسماء السباع	٦	٩ ب – ١٠	المسمون بأسماء السباع	٧٢
الباب العاشر	فيمن تسمى بأسماء الهوام	٣	١٠	المسمون بأسماء الهوام	٧٤
الباب الحادى عشر	فيمن سمى بالصفات	٢٥	١٠ – ١١ ب	المسمون بالصفات وغيرها	٧٥
الباب الثانى عشر	فى بعض صفات الناس	٦	١١ ب	ومن صفات الناس	٨٣
الباب الثالث عشر	فى النبات	١٠	١١ ب–١٢ ب	باب النبات	١٠١
الباب الرابع عشر	فى النخل وثمره	١٠	١٢ ب – ١٣	باب النخل	١٠٥
الباب الخامس عشر	ذكور ما اشتهر فيه الاناث	٨	١٣ – ١٣ ب	باب ذكور ما شهر منه الاناث	١٠٧
الباب السادس عشر	فى اناث الذى اشتهر فيه الذكور	٤	١٣ ب	باب اناث ما شهر منه الذكور	١٠٨
الباب السابع عشر(١)	فيما يعرف واحده ويشكل جمعه	١٢	١٣ ب – ١٤	باب ما يعرف واحده ويشكل جمعه	١٠٩
الباب الثامن عشر	فى جمع الأيام	٤	١٤ – ١٤ ب	باب ما يعرف واحده ويشكل جمعه	١١١

(١) لم يرد لهذا الباب ذكر في المقدمة :

رقم الباب	عنوانه في المخطوطة	عدد الأبيات	رقم صفحة المخطوطة	أصله من أدب الكاتب	رقم الصفحة
الباب التاسع عشر	فى جمع الشهور	٥	١٤ ب	من باب ما يعرف واحده ويشكل جمعه	١١١
الباب العشرون	فى الخيل وما يناسبها(١)	٢٣	١٤ ب ـ ١٥ب	باب معرفة ما فى الخيل وما يستحب من خلقها	١١٤
الباب الحادى والعشرون	فى عيوب الخيل	٥	١٦	باب عيوب الخيل	١٢٧
الباب الثانى والعشرون	فى خلق الفرس(٢)	٣٠	١٦ ـ ١٧ ب	باب خلق الخيل	١٣٩
الباب الثالث والعشرون	فيه(٣) عيوب من خلق الانسان	١٥	١٧ ب ـ ١٨	باب معرفة مافى خلق الانسان من عيوب الخلق	١٤٦
الباب الرابع والعشرون	فى العلل والأدوية	٩	١٨ ـ ١٨ ب	باب معرفة مافى خلق الانسان من عيوب الخلق	١٥١
الباب الخامس والعشرون	فى أنواع خلق الانسان	٢٣	١٨ ب ـ ١٩	أبواب الفروق : فروق فى خلق الانسان	١٥٥
الباب السادس والعشرون	فى الأفواه	٣	١٩ ب ـ ٢٠	فروق فى الأفواه	١٦٦
الباب السابع والعشرون	فى ريش الجناح	٣	٢٠	فروق فى ريش الجناح	١٦٧

(١) فى المقدمة : فى محاسن الخيل .

(٢) فى المقدمة زيادة على ذلك .. وبعض من أسمائها وصفاتها .

(٣) فى المقدمة « فى »

رقم الباب	عنوانه فى المخطوطة	عدد الأبيات	رقم صفحة المخطوطة	أصله من أدب الكاتب	رقم الصفحة
الباب الثامن والعشرون	فى الأطفال	١٩	٢٠ ـ ٢١	فروق فى الأطفال	١٦٧
الباب التاسع والعشرون	فى السفاد	٧	٢١ ـ ٢١ ب	فروق فى السفاد	١٧٠
الباب الثلاثون	فى الحمل	٤	٢١ ب	فروق فى الحمل	١٧٢
الباب الحادى والثلاثون	فى الولادة	٧	٢١ ب ـ ٢٢	فروق فى الولادة	١٧٢
الباب الثانى والثلاثون	فى الأصوات	١٧	٢٢ ـ ٢٢ ب	فروق فى الأصوات	١٧٣
الباب الثالث والثلاثون	فى الطعام	٩	٢٣	باب معرفةفىالطعام والشراب	١٧٦
الباب الرابع والثلاثون	فى الأشربة	١٠	٢٣ ـ ٢٣ ب	باب معرفة فى الشراب	١٨٠
الباب الخامس والثلاثون	فى الألبان	٤	٢٣ ب ـ ٢٤	معرفة فى اللبن	١٨٥
البابالسادس والثلاثون	فى الضروع	٣	٢٤	معرفة فى الضروع	١٨٩
الباب السابع والثلاثون	فى الرحم والذكر	٥	٢٤ ـ ٢٤ ب	معرفة فى الرحم والذكر	١٨٩
الباب الثامن والثلاثون	فى الأرواث ونحوها	٥	٢٤ ب	فروق فى الأرواث	١٩٠
الباب التاسع والثلاثون	فى الوحوش	٧	٢٤ ب ـ ٢٥	معرفة فى الوحوش	١٩٠
الباب الأربعون	فى أماكن السباع	٣	٢٥	جحرة السباع ومواضع الطير	١٩١

رقم الباب	عنوانه في المخطوطة	عدد الأبيات	رقم صفحة المخطوطة	أصله من أدب الكاتب	رقم الصفحة
الباب الحادى والأربعون	فى الجماعات	٦	٢٥ ـ ٢٥ ب	فرق فى أسماء الجماعات	١٩٢
الباب الثانى والأربعون	فى صفات الغنم	٦	٢٥ ب ـ ٢٦	معرفة فى الشاء	١٩٥
الباب الثالث والأربعون	فى الآلات	١٣	٢٦ ـ ٢٦ ب	باب معرفة الآلات	١٩٨
الباب الرابع والأربعون	فى الثياب	٤	٢٦ ب	باب معرفة الثياب واللباس	٢٠٢
الباب الخامس والأربعون	فى السلاح	٩	٢٦ ب ـ ٢٧	باب معرفة فى السلاح	٢٠٤
الباب السادس والأربعون	فى الرمح	٤	٢٧ ـ ٢٧ ب	باب معرفة فى السلاح	٢٠٥ ـ ٢٠٦
الباب السابع والأربعون	فى القوس	٤	٢٧ ب	باب معرفة فى السلاح	٢٠٥
الباب الثامن والأربعون	فى السهم	٤	٢٧ ب ـ ٢٨	باب معرفة فى السلاح	٢٠٧
الباب التاسع والأربعون	فى الصناع	٥	٢٨	باب أسماء الصناع	٢٠٨
الباب الخمسون	فى الهوام والذباب	٩	٢٨ ـ ٢٨ ب	باب معرفة فى الهوام والذباب وصغار الطير	٢١٥
الباب الحادى والخمسون	فى الأسماء المتقـــاربة لفظا ومعنى(١)	٦	٢٨ ب ـ ٢٩	باب الأسماء المتقـــاربة فى اللفظ والمعنى	٢٢٢

(١) في المقدمة : في الحية والعقرب

رقم الباب	عنوانه فى المخطوطة	عدد الأبيات	رقم صفحة المخطوطة	أصله من أدب الكاتب	رقم الصفحة
الباب الثانى والخمسون(١)	. . . .	. .	. . . . .	. . . .	. . . .
الباب الثالث والخمسون	فى تسمية الأضداد(٢)	٧	٢٩	باب تسمية المتضادين باسم واحد	٢٣٠
الباب الرابع والخمسون	فى تجانس(٣) الألفاظ مع اختلاف معانيها	٢٢	٢٩ — ٣٠	باب الحرفين اللذين يتقاربان فى اللفظ والمعنى ويلتبسان، فربما وضع الناس أحدهما موضع الآخر	٣٣٣
الباب الخامس والخمسون	فى أصناف معانى ومعانى أصناف(٤)	٢١	٣٠ ب — ٣١	باب نوادر من الكلام المشتبه	٢٢٤

(١) فى المقدمة : فى الأسماء المتقاربة فى اللفظ والمعنى .

(٢) فى المقدمة : فى تسمية المتضادين باسم واحد .

(٣) فى المقدمة : فى متجانسات .

(٤) فى المقدمة : هو الباب الجامع لمعانى أصناف وأصناف معانى . وهو نافع جدا .

خاتمة

ذلك هو صنيع المغربى ـ نظم مختارات من أدب الكاتب ـ فاذا ما امعنا النظر فيه بدا لنا ما يأتى :

١ ـ أن المغربى لم يساير ابن قتيبة فى ترتيب كتابه ـ دائما ـ فابن قتيبة بدأ كتاب المعرفة ـ وهو الكتاب الأول ـ بباب معرفة ما يضعه الناس غير موضعه ، ولم يتعرض المغربى لشىء من هذا الكتاب ، بل بدأ نظمه بما « فى السماء والنجوم والأزمان » وهو الباب السابع فى أدب الكاتب ، ثم اتفق مع ابن قتيبة فى الباب الثانى وما يليه ، كذلك ذكر المغربى فى الباب الرابع والخمسين « متجانسات الألفاظ مع اختلاف معانيها ، وذلك هو الباب الأول من كتاب تقويم اللسان ـ ثالث الأبواب ـ ، أما فى الباب الخامس والخمسين ، وهو المعنون بقوله « فى أصناف معانى ومعانى أصناف » فانه من كتاب المعرفة ـ أول الكتب ـ

٢ ـ ان اختيار المغربى لما نظمه لم يكن قاصرا على الكتب والأبواب ، بل ان الاختيار أصاب المادة نفسها ، واختياره جد قليل بالنسبة لما ذكره ابن قتيبة .

٣ ـ ان المغربى قد نظم بعض مواد متصلة بالموضوع ولم يرد لها ذكر عند ابن قتيبة ، من ذلك ما جاء فى الباب الثانى « فيما جاء مثنى » اذ أضاف « الأقهبين : الفيل والجاموس ، والغارين : البطن والفرج » .

٤ ـ أن بعض الأبواب التى نظمت ليست أبوابا مستقلة فى أدب الكاتب بل هى أجزاء من أبواب ، مثل الباب السادس الذى عنونه « بالمنسوب » فما هو الا جزء من الباب السابق له وهو « باب تأويل كلام من كلام الناس مستعمل » ، وكذلك الباب الثامن عشر وهو فى جمع الأيام والباب التاسع عشر وهو فى جمع الشهور وهما عند ابن قتيبة مندرجان تحت باب « ما يعرف واحده ويشكل جمعه » ومنه أخذ المغربى الباب السابع عشر .

وبعــــد

فذلك هو الأثر الثاني مما بقي للمغربي من تراث ، طوحتـــه الطوائح في مكان سحيق ، ولكنه وجد في غربته من الأيدي التي عرفت قدره ما عوضه بعد الدار ، وغربة اللسان .

وها هي ذي نسمة تهب عليه من موطنه تحاول أن تعيد الروح اليــه ، وتبعث فيه الحياة ، عل في ذلك عزاء له وسلوى .

عبد السلام أحمد عواد
مدرس بقسم اللغة العربية بالألسن

الأدب السوفيتي المعاصر

القصة القصيرة في الستينيات

بقلم : أ· نينوف
عرض وتعريب : د· سميه عفيفى

طرأ على فن النثر فى الأدب السوفيتى كثير من مظاهر التغير خلال السنوات العشر الماضية · وينعكس هذا التغير على مستوى التفكير العام من وجهة النظر التاريخية فضلا عن أنه ينعكس على تلك المقاييس الداخلية التى يقنن بها الكاتب صدق شخصياته الفنية · وصاحب ظهور كتاب جدد لهم اتجاهات حديثة ، بروز أبطال جدد فى مجال كتابة القصة القصيرة · ويستطيع المتتبع لتطور فن القصة القصيرة فى الأدب السوفيتى استجلاء ما طرأ عليها من تغييرات · ويتمثل لنا ازدهار القصة السوفيتية فى الخمسينيات الذى بدأ بعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها مباشرة فى أعمال أنتونوف وتريوبولسكى وناجيبين وفارونوف الذين يعنون أساسا فى أدبهم بتصوير حياة الفرد الخاصة ومعاشه اليومى · وبالرغم من أن هؤلاء الكتاب جميعا يتجاوزون وصف هذه الحياة الخاصة اليومية الى الكتابة عن المصانع والمزارع والمنشآت ، فليس من شك فى أن معالجتهم لمادتهم القصصية تخلو من الصبغة الانسانية الشاملة ، وتجنح الى التركيز على تلك الجوانب المحددة فى حياة الانسان · وقد حدا هذا ببعض النقاد الى أن يذهب الى أن قصة الخمسينيات فى الأدب السوفيتى لا تعدو فى نهاية الأمر أن تكون تصويرا لحياة الأفراد الخاصة · فبالرغم مما تتضمنه هذه القصة من قوة الملاحظة وتصوير دقيق للملامح الثابتة للشخصية الأمر الذى يزيد من ثراء هذه القصة ــ فان افتقار المعالجة القصصية الى الشمول يحول بينها وبين تصوير العلاقات الانسانية فى اطارها الصحيح · ومن ثم فقد ظهر فى قصة الستينيات اتجاه يسعى للتخلص مما تميزت به قصة الخمسينيات من تبسيط الحياة ، كما يسعى الى البحث عن أساليب جديدة تستكشف العلاقات الانسانية الحقة وتتعمق فى تحليلها بحيث يعايش الكاتب الحياة التى يحياها أبطاله ويحفل باحتياجاتهم ويهتم باستجلاء البيئة الاجتماعية التى ينحدرون منها استجلاء كاملا غير منقوص ·

لقد اتسعت « جغرافية » القصة فى الستينيات ، فالبحث عن انطباعات وتأثيرات جديدة وأماكن لم تطرق بعد قاد كتاب القصة الى الأراضى البور ، الى ساحات مبانى سيبيريا ، الى التاييجا فى الشرق الاقصى ، الى صحارى وسط آسيا والى أقصى الشمال ، غير أن كثيرا من الكتاب اتجهوا الى سحر الطبيعة فى وسط روسيا مرة أخرى وبحماس المستكشفين كتبوا عن حياة الأراضى السلافية القديمة الاصيلة فى روسيا الوسطى .

يلاحظ فى قصة الستينيات أن المشكلة الاجتماعية أصبحت أكثر عمقا فهى تشمل العلاقات الانسانية فى المدينة والقرية ، فى المصنع وفى العائلة ، بين أجيال مختلفة وأعمار مختلفة ، بين فئات وجماعات مختلفة يشكلون البناء الحقيقى للمجتمع السوفيتى ، ومع تطور علم الاجتماع نفسه قدم الفن الأدبى ، وخاصة النثر ، للباحثين الكثير من المشاهدات الموضوعية ، الملموسة ، الكبيرة الأهمية .

لقد فتحت القصة مضمونا فنيا حقيقا فى مجال التاريخ الذى ما زال النبع الذى لا ينضب أبدا أمام الكاتب للتصور والفكر الجديد عن الانسان ، ان الحياة الحديثة وما يكتنف تطورها من آلاف الظواهر لها جذور عميقة فى الماضى ومنابعه القومية -- وهذا يفتح أمام الكاتب آفاقا واسعة للسعى وراء اقامة الاتصال بين الحاضر والماضى ، مما يؤدى الى اقامة افتراضات ومقدمات تاريخية لهذه الظواهر ، والى البحث فى الأعماق الداخلية عن جوهرها وأسبابها ، اذ أنه خلال عملية فهم الحياة تتكون رؤية فردية للأشياء أكثر عمقا ، كما يتكون تقدير أخلاقى وجمالى جديد للظواهر التى يصورها الفن .

ان القصة المعاصرة قد اجتازت مرحلة البحث والاستكشاف التى بدأت منذ أوائل الستينيات ، وأصبحت الآن تعتمد على أشكال ووسائل فنية مدروسة أكثر تعددا وتنوعا ، وتعمقت فى معالجة شخصية الانسان ، وذلك بفضل كتاب موهوبين ذوى احساس مرهف بالحياة .

تتميز القصة السوفيتية القصيرة ببعدين أساسيين يحددان علاقتها الخاصة بالأدب المعاصر أولهما خفة الحركة التى تسمح باللحاق بالحياة وثانيهما فهم المواقف المحددة والاحداث والشخصية الانسانية عن عمق وادراك وبذلك تقترب القصة القصيرة ببعدها الأول من التحقيق الصحفى بما فيه من حماس الاستكشاف وبحث مختلف ظواهر الحياة ، والفاعلية والصدى السريع لحوادث الساعة ، وتقترب ببعدها الثانى من القصة القصيرة ــ الطويلة ومن الرواية أى من الفن الحقيقى للأدب الذى يهدف الى تهذيب الانسان .

ومن أبرز كتاب القصة القصيرة السوفيتية فى العشر السنوات الماضية فلاديمير تندريكوف ، وجريكوفا ، ويورى كازاكوف • وسنستعرض فيما يلى بعض مؤلفات هؤلاء الكتاب بالتحليل والتعليق وبالتالى يتضح لنا أهم مميزات واتجاهات وشكل القصة السوفيتية المعاصرة •

احتلت قصص فلاديمير تندريكوف القصيرة ، وقصصه القصيرة ـ الطويلة ـ مكانا بارزا فى عملية تطور النثر المعاصر ، فهى تصور نقطة الانطلاق ، كما توضح بعض نتائج تطور القصة السوفيتية القصيرة فى العشر السنوات الأخيرة ، اذ يظهر فى مؤلفات تندريكوف اتجاه وأفكار الأدب السوفيتى كما تتبين مميزات هذا الأدب من حيث الشكل والأسلوب •

كتب تندريكوف الرواية والقصة القصيرة ، غير أن موهبته الفنية تتجلى فى كتابة القصة القصيرة ، اذ أن ما ظهر له فى فن الرواية ، كقصته « فى سباق مع الزمن » ، وقصته « مقابلة مع نفرتيتى » ليس على مستوى ما ألفه من قصص قصيرة •

لقد خلق تندريكوف فنانا نابضا متقد الفكر والاحساس ، •• فهو لا يصف الحياة ، وانما يشتعل بالحياة ، ويلتهب احساسه بالفكرة التى يشعر بها ، كما أنه ينتهج فى كتاباته منطق البحث والتعمق فى المشكلة حتى النهاية ، وبهذا استطاع تندريكوف أن يصل بمواهبه الى التوافق التام بين الفكرة والموضوع •

واحدى قصص تندريكوف هى « سقوط ايفان تشوبروف » وتدور أحداثها عن أحد مديرى المزارع التعاونية النابغين فى مجال عمله والذى ركبه الغرور فتورط ثم سار فى طريق غير شريف • ان مثل هذا الحدث عرض كثيرا فى التحقيقات الصحفية وقد اعتبر تندريكوف قصته هذه حينما نشرها لأول مرة تحقيقا صحفيا ، وعندما أعيد نشرها بدت فيها معالم القصة القصيرة جلية ، وتخطى تندريكوف ككاتب قصة مجال التحقيق الصحفى ونظر فى أعماق شخصية البطل ، وحلل مشاعره النفسية من خلال الظروف الثابتة والدقيقة وتفاصيل الحياة الاجتماعية للانسان • لم يدرس تندريكوف فى

قصته « سقوط ايفان تشوبروف » ظاهرة معينة فقط وانما تفهم قدر ومصير الفرد في اتجاهه الداخلي الدرامي وهذا هو مجال القصة القصيرة ولهذا فللكاتب كل الحق أن يربط « سقوط ايفان تشوبروف » بهذا اللون من الفن .

يصور تندريكوف أبطال قصصه دائما في موقف حرج أو في عقدة فنية وسط الظروف المحيطة ثم تتطور الاحداث وفجأة يأتي مشهد درامي يفتح أعماق البطل وينير تصرفاته الاجتماعية والشخصية .

ان مميزات قصص تندريكوف القصيرة ، وقصصه القصيرة ـ الطويلة من تغير في تتابع الاحداث ، ومفاجآتها ، والتعقيدات التراجيدية التي يصورها المؤلف في حياة أبطاله ، تجعل قصصه أقرب الى الرواية ذات المضمون التام ، منها الى التحقيق أو المقال الصحفي .

ومنذ قصة « الوعورة » عام ١٩٥٦ وهي من أشهر قصص تندريكوف ابتدأ خط القصة القصيرة في احتلال المكان الرئيسي في كتاباته ، وموضوعها يدور حول حادث أليم ، فقد انقلبت احدى عربات النقل بركابها على جبل أغرقته الامطار ، وأصيب شاب صغير ولم يتسن نقله الى حجرة العمليات في الوقت المناسب ، فتوفي الشاب ، حيث قامت عدة عقبات حالت دون انقاذ حياته . فالسبب في الوفاة هنا ليس الطريق الوعر فقط ولو أن تندريكوف لا يتعجل مطلقا في أن يظهر لنا أن هذه العقبة ليست الوحيدة التي أسهمت في حدوث المأساة .

وبدا كأن المذنب المباشر في الفاجعة الأليمة السائق « فاسيا ديرجاتشوف » الذي كان يقود العربة وسمح لعدد من الركاب زائد على حمولتها كانوا يريدون الانتقال من منطقة « جوستوى بور » الى محطة السكة الحديد ، فارتكب خطأ سبب الكارثة ، وسوف يحاكم « فاسيا ديرجاتشوف » وفقا لأقصى قانون للعقوبات ، وليس للسائق عزاء عن هذا الخطأ سوى شعوره بأن مثل هذا الحادث كان يمكن أن يقع لأي انسان . ورغما

عن اليقين التام من تهمة ديرجاتشوف الشكلية الا أنه لا يمثل حـــالة شاذة وسط السائقين الآخرين فى ناحية « جوستوى بور » ٠

ان القصصى تندريكوف يفرق جيدا بين ذنب البطل ، ومأساته ٠ لقد انطلق السائق « ديرجاتشوف » وهو أحسن سائق فى المنطقة رغم ارادته فى طريقه الوعر فوق الأرض الغارقة فى المطر والوحل ، خاضعا لأوامر «سايجين» رئيس اتحاد الجمعيات الاستهلاكية للمنطقة وبوحى منه ٠

وكان الشاب الضحية هو الوحيد بين الركاب الذى دخل العربة دون اذن السائق ٠وعندما وقع الحادث ، لم يكن الحادث هو كل ما شغل السائق ، بقدر ما شغله انقاذ الشاب ــ انقاذ حياة انسان ــ وكان من الممكن أن يتم انقاذ الشاب ويظل حيا لولا عقبة أخرى حالت دون اتمام عملية الانقاذ ٠

ونجد فى تحليل تندريكوف لشخصية « كيناجيف » أحد الركاب ومدير محطة العربات والجرارات ، انه عندما وقع فى المأساة مع الركاب الآخرين بدا مثلهم تماما ان لم يبد أفضل من بعضهم ، ولكنه عندما جلس على مقعده ليتخذ قرارا يتعارض والأوامر الشكلية ظهر بصفات منفرة مما يتصف بها الموظف البيروقراطى المفرط فى الاحتراس ٠ وتصرف « كينـــاجيف » ، الذى رفض الموافقة على اعطاء جرار بدون أمر سابق تصرف نادر لانعدام انسانيته ، حيث كان هذا الجرار هو الوسيلة الوحيدة لنقل المصاب الى المدينـــة عبر الطريق الوعر ، الغارق فى المطـــر ٠ انه تصرف شـــاذ وغريب ولكنـــه ينبع من سيكولوجية البطل ، وخوفه من المسئولية ، ومن المخاطرة بمصالحه الخاصـــة وان كانت صغيرة ، وسلوكه يظهر عدم الاكتراث بالانسان ٠

والكاتب في وصفه لشخصية « كيناجيف » يحدد طبيعة الشر الاجتماعى التى يكرهها كل الكراهية ٠ ان أخلاق من شابه «كيناجيف» من الناس لا تتفق والمقاييس الخلقية الاشتراكية ٠ وتندريكوف المؤلف يثبت هذا بالجوهر المنطقى للقصة ، ويجد موضوع قصة « الوعورة » الحل النهائى فى صدام سيكولوجية « كيناجيف » مع سيكولوجية جماعة الناس السوفييت ٠

ان العلاقات التى تكشفت فى موضوع قصة « الوعورة » درست بمنتهى دقة التحليل والمعالجة الممكنة فى نطاق فن النثر · كما أن الموقف الذى انعكس فى تصرفات مختلف شخصيات القصة تمت معالجته حتى النهاية ، غير أن خلفيات ودوافع تصرفات الاشخاص والظروف الاجتماعية المؤثرة تظل كما لو كانت خارج نطاق بناء محور القصة ، حيث أن اتساع الأسباب ، التى تسمح بدراسة التاريخ السابق لكل شخصية محدد هنا بمنطق فن القصة القصيرة ، والخروج عن هذا الحد يقود الى القصة القصيرة ـ الطويلة ·

وانا لنجد فى القصص القصيرة ـ الطويلة التى كتبها تندريكوف درامية الحادث غير المتوقع والتى تتجاوز التوازن المعتاد تكتمل بتحليل ،وعرض مفصل للأحداث والشخصيات ولنظام الحياة اليومية التى تخفى فى طيانها منازعات وتعقيدات حادة ·وهكذا نجد أن « الدخيل » ، تلك القصة القصيرة ـ الطويلة التى كتبها تندريكوف بالرغم من أنها تعتبر تقليدية فى موضوعها ، الا أنها حازت اهتماما كبيرا، حيث أنها تضمنت تصويرا حقيقيا تفصيليا لأحداث الحياة اليومية والنظام الصارم لأسلوب المعيشة فى منزل أسرة « رياجكينى »· ويتضح فى القصة أن السعادة ليست فى الأنانية والعيش فى رماد المصالح الشخصية التافهة ، وانعزال الانسان عن مجتمعه ·

ان فكرة التغير الحاد ، والتمزق ، وتعقيدات الكوارث تغلب على مؤلفات تندريكوف ، ففى قصصه القصيرة ـ الطويلة وقصصه القصيرة نجد أن الحياة اليومية والسير النمطى للزمن مفعمان بالهزات الداخلية ، وتتكشف نفسية أبطال قصصه فى لحظة الانكسار الحاد لحياتهم ، كما نجد أن الحوادث الطارئة تخل بتوازن الحالة الطبيعية للانسان ، كاشفة التضارب العميق ، الخفى ، والصدام والبعد عن القواعد الطبيعية فى نفسية البطل ، ويساعد تحليل الحادث الفردى على توضيح الحادث العام كما يقود الى معرفة العمق الكامل لظروف الحياة وعلاقاتها المحددة ·

لقد تميز تندريكوف فى تصويره للتناقض فى الحياة المعاصرة باختيار شخصيات بسيطة أصيلة المنبع تمثل مهنا جماعية مختلفة ، ودراسة وتحليل وعرض مشاكل هذه الشخصيات من الواقع الذى تعيش فيه ·

ان تندريكوف يبحث فى روح الشعب وشعوره ونفسيته عن حل لأعقد المشاكل المعاصرة ٠

في قصة تندريكوف القصـــيرة ـ الطويلة « محاكمـة الضمير » تظهر جوانب متباينة من العلاقات بين الفرد والمجتمع ، ويحلـــل الكاتب بصراحة المصاعب الحقيقية التى يمكن أن تكتنف هذه العلاقة ٠ والبطل الرئيسى لقصة « محاكمة الضمير » هو « سيميون تيتيرين » وهو صياد دببه مشهور فى محيط عمله بالشجاعة والاقدام والمقدرة الفائقة على الصيد ٠

اختار تندريكوف هذه الشخصية المتكاملة لتكون بطل قصته ، وقد فعل ذلك بناء على دوافع عميقة أملتها عليه فكرة عامة لهذه القصـــة التى تحلل ظروف الشجاعة والخوف فى الانسان وتبحث فى الأسباب الفردية، والاجتماعية للتغييرات الممكنة لهذه المشاعر ٠

بالنسبة لقصص تندريكوف القصيرة ، وقصصه القصيرة ـ الطويلة مثل « الوعورة » ، « الجو الممطر » ، « صانعة المعجزات » ، « ثلاثة وسبعة وآس »، « محاكمة الضمير » ، « اللقطة » ٠٠ وغيرها فهى تصطبغ كلها بالصبغـــة القومية وخلفية الحوادث بعمق وتصوير الطبيعة المحسوس ، وهذه الخلفيةوهذا التصوير للطبيعة يبدوان وكأن بهما شيئا من القسوة وعدم الهدوء وكأنمـا يخفيان فى طياتهما شحنة من الدرامية الموجـــودة فى مواضـــيع القصص وأحداثها ٠٠

* * *

نستعرض الآن مؤلفات الكاتبة أ٠ جريكوفا فى مجال القصة القصيرة ، وتتميز الكاتبة بأنها تضفى على أبطال قصصها نوعا من الجاذبية للقارىء ، يتضح جليا فى واقعية البدء فى خلق البطل التى تبعث فيه روح الحيـــاة الانسانية ٠

ان الكاتبة اهتمت فى قصصها بالكتابة عن فئة الناس المشتغلين بالعلوم الحديثة ، وبدت أول قصة لجريكوفا «وراء كشك المراقبة» عام ١٩٦٢ غير عادية

وسط ما كتب عن المشتغلين بالعلوم الحديثة ، اذ لم يصور أحد من قبل هذه الموضوعات ، والشخصيات بهذا السحر والجاذبية والاحساس ، والعاطفة والغزارة ، والتكامل ٠

نجحت جريكوفا فى تصوير مشاعر « جينكا » أحد أبطال قصتها « وراء كشك المراقبة » وهو المتخصص فى علم الفيزياء ، والذى يحلم بأن تواتيه الموهبة ، والوقت لكى يصور أحاسيسه ، وملاحظاته الدقيقة ، عما حوله بعمق ، وتفسيرات تعبر عن نفسيته كفنان وشاعر مرهف الحس ٠

حققت جريكوفا هذا الأمل الذى كان يراود « جينكا » بطل قصتها ، فالكاتبة نفسها أيضا شاعرة غنائية عاطفية وسط المتخصصين فى علم الفيزياء وهى أيضا تراقب ما حولها بسرعة ادراك ، وشفافية ، لها القدرة على الرؤية والسمع ، تشعر بالكلمة واللحن ، وتتمتع بالقدرة على الفكاهة والصدق ، أى أنها خليط واضح من الصفات التى تتكون منها الموهبة ٠

فى كتاب « تحت الفانوس » (عام ١٩٦٦) ظهرت خصائص هذه الموهبة أكثر وضوحا ، وتحديدا مما كانت تبدو فى القصص التى كانت تنشر فى المجلات منفردة مثل « وراء كشك المراقبة » ، « حلاق السيدات » ، « الغارة الأولى » ، « الصيف فى المدينة » ٠ ولقد حددت مجموعة قصص جريكوفا هذه نطاقا خاصا للحياة يعالج اتجاهات مختلفة ووجهات نظر غير متوقعة وهو فى نفس الوقت نطاق متكامل ينصب فى مركز موحد من العاطفة والاحساس وهذا النطاق يشمل مجالات العمل ، والمعيشة ، وعلاقات الناس من مختلف الأعمال ، والأوضاع الاجتماعية ٠ ان جريكوفا تعرف حياة المدينة كل المعرفة ، تعرف حياة هؤلاء الناس الذين يقومون بعمل يحتاج الى مجهود ذهنى وعن هذه الحياة بالذات تكتب جريكوفا ٠

ان قصة « وراء كشك المراقبة » اكتشاف لعالم المشتغلين بأذهانهم هؤلاء الذين تميزوا بمواهب وطبيعة خاصة ولا يعرف عنهم الكثير من الناس الا القليل فقط ٠ وجوهر قصة « وراء كشك المراقبة » لا يظهر فى شخصيات القصة منفردين ، ولا فى التطور الدرامى لتلك الشخصيات التى تتحرك

مستقلة ، وتعيش وفقا لعرفها ، وقواعـــدها الداخلية ، وانما نجد الفـكرة الأساسية للكاتبة تصـــــور مجتمعا انسانيا يتحرك ، ويتصرف كشخصـــية متكاملة ·

والصورة الجمـــاعية للبطل الرئيسى للقصة وهـو المعمل رقم « ١٠ » لا تضم بعض خيالات معبرة لأعضــــاء المعمل فقط ، وانما تقوم دراســـة الشخصيات كل على حدة ، على أساس المشاهد الفنية ، ونبـــذات من الحوار العام (ضجيج العمل) ، والوصف المتعدد الجوانب ، وفى بعض الأحيـــان الأشياء غير المفهومة التى لها فائدتهـــا المحددة ، والتامة فى هــذا العالم الصغير ، ان ما يسمى « بالخلفية الصـــناعية » توجد دائما فى قصـــة « وراء كشك المراقبة » بطريقة شكلية ، فهذه الخلفية تصور الجو العام للعمل الذهنى الجماعى ، وظروفه ، وايقاعه ، وسرعته ، ومدى الحماس الحقيقى الذى يظهره العلماء فى معالجتهم للمشاكل العلمية · والكاتبة بكل الوعى لا تنساق وراء شرح خاص للجوهر التكنيكى لهذه المشاكل ، ولكنها أيضـــا لا تحرم هــذا المجال الحيوية ، والحياة ، وانما توصل الى القارىء الجوهر الانفعالى ، والتأثرى لعملية الانتاج ، والخلق العلمى الجماعى ·

وتعتبر قصة « حلاق السيدات » أفضل قصص جريكوفا فهى تشـــمل جميع أفكار الكاتبة واتجاهاتها وأسلوبها ، فجوهر القصـــة ليس فقط فى الشخصـــية الرئيسية وهى شخصية حـــلاق السيدات الشـــاب « فيتالى بلافنيكوف » ولو أنه فى حد ذاته اكتشاف كامل ، وانما جوهر القصـة فى العلاقة بين شخصيتين وفى حديثهما المشترك الشيق والحيوى · ان القصـة مكتوبة عن لسان السيدة ماريا فلاديمورفنا كافالوفا » وهى سيدة محترمة متقدمة فى السن ، وهى أستاذة وعميدة معهد الآلات الحاسبة · من الجائز أن أحد معامل هذا المعهد نفسه هو المعمـــل رقم « ١٠ » بطل قصة « من خلف كشك المراقبة » ، ومن الجائز أنه معمل آخر ، ولو أن هذا لا يغير فى جوهر الأمر شيئا · ان « ماريا فلاديمورفنا » من هؤلاء النـــاس المولعين بعملهم العلمى الذى هو محور حياتهم ، فبالرغم من صعوبة هذا العمل ، وما يسببه

من انهاك للقوى ، الا أن هــذا العمل يشع اشراقا وبهجـة بتلك اللحظات السعيدة لحظات التوصل الى اكتشاف جديد .

وبطل القصة « فتالى » ليس مجرد حلاق سيدات ماهر ، انه يقوم أيضا بتجارب ، وله دراسات ونظريات فى مجــال عمله . له أيضا وجهـة نظره بخصوص ما هو حديث ومعاصر ، وما لا يتفق وروح العصر . له أيضا فلسفته فى أخلاقيات العمل وفى علم الجمال ، له تسريحاته المفضلة ، وشغفه بتلك المادة الحية ألا وهى خصيلات الشعر التى يتعامل معها وبالآلات والمعدات التى يستخدمها . كما أن له أيضا ملاحظاته الدقيقة عن مختلف السيدات اللاتى يتعاملن معه . انه موهوب باحساس طبيعى بالتناســق والرشاقة والأناقة ، وهذه الموهبة تظهر فى عمله بوضوح .

وقد خاطرت « ماريبا فلاديمورفنا » بالجلوس اليه ليصفف لها شعرها فكان جزاؤها طيبا جدا ، اذ أنه صفف شــعرها ببراعة فائقـة . وماريبا فلاديمورفنا ، وهى بدورها خلاقة وموهـوبة ، وان كانت فى مجال آخر ، قدرت فن الحــلاق « فيتالى » الفريد كل التقــدير ، فلقد أسعدتها مهارته الحقيقية وخاصة انه لم يكن لديها من قبل وقت أو فرصة للعناية بنفسها .

إن الحوار بين « ماريبا فلاديمورفنا كافالوفا » و « فتالى بلافنيكوف » يتطرق الى موضوعات شتى ويوضح آراء أناس من أجيال مختلفة ومن مجالات مختلفة فى المجتمع . وقد وجد الاثنان فى حديثهما ما يجمعهما خاصة فيمـا يتعلق بمشــكلة تحقيق الموهبة ، وهــذه المشـكلة بالذات تؤرق « ماريبا فلاديمورفنا » التى تهدف الى وضع العمل فى أحسن صورة فى معهد الآلات الحاسبة المسئولة عنه . وهذه المشكلة نفسها تواجه « فيتالى بلافنيكوف » أيضا ، فالنظم غير المستقيمة والمقاييس القديمة التى تسود فى مجال الخدمات تعوقه عن اظهار موهبته اظهارا تاما ، وتدفع به الى العمل على نمط واحد ، والى التقليد السريع غير الخلاق . وانتهى صراع « فيتالى » ضد الظروف وضد محيط عمله باضطراره الى تغيير مهنتـــه وهى تلك المهنة التى يتمتع فيهـا بموهبـــة فطرية فترك مهنة الحلاقة والتحق بمصـــنع ليتتلمذ عــلى يدى

« براد » ، ثم اتصل بماريبيا فلاديمورفنا وأخبرها بما فعل ، وكأنه يخبرها بانتصاره . أليس هذا قبل الأوان ؟ .

ان أهمية الصراع الذى تصوره هـــذه القصة أكبر بكثير من النتيجــة المباشرة له . في قصة « حلاق السيدات » يجرى الحديث عن الموهبـــة وعن البواعث التى تدفع الانسان الى العمل ، وقصة جريكوفا هذه تؤكد أن النبع الخلاق فى الانسان هو الثروة الداخلية الرئيسية للشخصية .

لم تصور جريكوفا في قصصها المثقفين فى المجال الصناعى والتكنيكى فقط وهو المجال القريب منها ، بل صورت أيضا حياة المدينة العصرية التى تعرفها معرفة تامة من معهد البحوث الى صـــالون الحلاقة ، ومن المكتبة الى المساكن الجماعية .

* * *

ننتقل الآن الى مؤلفـــات يورى كازاكوف . لقـــد اتفق ظهور يورى كازاكوف على مسرح الأدب والتغييرات العميقة التى أكسبت الأدب السوفيتى تلك الصفة الاجتماعية والجمالية الجديدة التى تتصف بها اليوم ، وأثرت هذه الظروف بطريقة حاسمة على التكوين الكامل لمؤلفاته النثرية فقصصه تتضمن مناقشة صريحة ضد المثالية فى الأدب وضـــد تبسيط الانسان والتفسـير المخفف المبسط لمتناقضات الحياة وتعقيداتها الحقيقية .

تظهر فى قصص كازاكوف الأولى سمات تلك المدرسة التى تخرج فيهـا بتأثره بالأدب الروسى الكلاسيكى من تورجينيف حتى بونين ، وتستشف فى كتاباته إتجاهات هذه المدرسة في الجمال الأصيل الرائع للغة الروسية ، ودقة الأسلوب والإحساس المتطور بالمعايير الفنية ، ذلك الاحساس الهام بالنسبة لكاتب القصة .

كانت وما زالت التقاليد القومية للنثر الروسى النبع الرئيسى بالنسبة لكازاكوف اذ ساهم الأدب الروسى الكلاسيكى فى اعداد كازاكوف للقاء أبطال

قصصه . ان حقيقة الانسان الروسى وشخصيته ، وجوانب معيشته ، وخصائصه النفسية ، ومائه وأرضه التى سكنها وعاش عليها منذ القدم ، وغزارة حياة الأسلاف التى اكتشفتها الأجيال السابقة وبعض معاصرى كازاكوف الأوائل — ان هذا كله لم يكن بالنسبة لكازاكوف مجرد حقيقة تاريخية تستحق الحفاظ عليها فى متحف ، فهو يصور فى كتاباته بناء على ملاحظاته الدقيقة هذه الحقيقة فى الحياة المعاصرة .

اهتم كازاكوف فى قصصه الأولى عن الشمال بالأسلوب الأدبى الخالى من الشعور الحقيقى الذى طغى على تصويره لحقيقة أسلوب الحياة فى الشمال ، فظلت هذه الحياة الخاصة بتلك المنطقة والشخصيات غير المتوقعة فيها وأسلوب معيشتها ولغتها كلها بعيدة وغريبة وغير مألوفة للقارىء .

والفكرة العامة فى قصص كازاكوف لا تتكون مباشرة كمسألة جامدة منطقية ذات مغزى واحد وانما تبدو كما لو كانت تنبض فى الحركة الداخلية للقصة وتظهر فى تكرار بعض دوافع الموضوع وفى تضاد شخصيات معينة وفى تركيب موسيقى للقصة نفسها .

ان رحلات كازاكوف الى الشمال وتعرفه على القرية الروسية ولمسه للجمال الطبيعى لبلاده عن قرب كل هذا قوى فى المؤلف الاحساس الفنى الحقيقى وأصبح احساسه ليس نظريا ، مجردا ، كما كان فى المراحل الأولى ، بل احساسا مباشرا ، تابعا من معايشة الحقائق ، والعالم الذى فتح أمام كازاكوف خارج أسوار المدينة أثر فيه كل التأثير بجوانبه الشاعرية المضيئة وتلك المظلمة القديمة ، ويندهش كازاكوف لتغلغل القدم والتقاليد العتيقة فى الحياة وفى الأفكار وفى النفوس البشرية ، ويستنكر المؤلف ويعاقب فى قصصه على القسوة ، وغلاظة القلب ، والغباء الأخلاقى والمعنوى .

بطل قصة كازاكوف « لا تعبأ بالدنيا » يعمل على معدية ويدعى « ايجور » وهو على حداثة سنه قد أدمن الشراب ، والقصة الخرافية المفضلة لدى ايجور هى « لا تعبأ بالدنيا » ولها عدة معان ، ولكنها أساسا تقود الى تأكيد نظرة اللامبالاة الى الحياة ، مهما حدث فكل هذا لا يهم ، وهو ينظر الى جميع الأمور بغير اهتمام ، وباستهزاء وهو بجانب هذا كسول للغاية ، ولكنه يكسب كثيرا وبسهولة فلا يوجد بالقرب منه جسر ، وهو لهذا ينقل الجميع بالمعدية ويتقاضى « روبل » من كل شخص وأحيانا يكون منحرف المزاج يقبض روبلين من الشخص الواحد ، والعمل على المعدية عمل سهل يستطيع أن يؤديه حتى كبار السن ، وهذا العمل لسهولته قد أفسد ايجور ودلله جدا .

ومغزى قصة « لا تعبأ بالدنيا » ليس هو ابراز عيوب الشاب الطائش ، فهناك أشياء أخرى يتمتع بها الشاب تستوقف الكاتب ، فايجور شاب غير عادى ذو موهبة تظهر جلية فى تلك الأغانى الروسية الرحبة التى ينشدها ويرددها ببراعة فائقة • وتبدو موهبة « ايجور » الفريدة وكأنها تقلب التقديرات المبدئية لشخصيته ، ولكنها فى نفس الوقت تقوى هذه التقديرات ، اذ أن هذه الموهبة تضيع هباء بسبب الكسل واللهو وعدم الهمة والخمول ، ويوجد تناقض ظاهرى فى تمزق « ايجور » بين موهبته الطبيعية وخلقه المنقوص ؛ وهذا التناقض يكتشفه المؤلف كازاكوف فى الحياة أيضا ، ويؤرقه امكانية وجود مثل هذا التناقض فى وقتنا الحاضر هذا •

يشارك يورى كازاكوف الكتاب السوفييت الآخرين فى تربية وتهذيب الانسان الجديد غير المقيد بتقاليد الماضى المعوجة وبغرائزه غير النظيفة •

وبعكس الشخصيات التى تعلن عن نفسها دائما بتصريحاتها وحديثها ، فان أبطال كازاكوف صامتين جدا يميلون الى الوحدة والزهد الخاص بهم • وأهم المشاكل التى تشغلهم غير مركزة فى الحياة الاجتماعية ، بقدر ما هى منصبة فى محيط الحياة الشخصية ، فى محيط ألفة وود أقرب الأصدقاء وهم هنا بالذات فى اتصالهم بالطبيعة والحب يبحثون عن سعادتهم ، وليس من الحكمة أن نلوم كازاكوف على تضييق مجال الاهتمامات المتاح أمام أبطاله لأنه لا يخترعهم ولكنه يكتب عنهم كما هم فى الحقيقة ، وبفضل صراحته والتزامه الصدق والحقيقة فى الكتابة يبين كازاكوف كيف أن أبطاله فى كثير من الأحيان لا يجدون السعادة هناك ، حيث يبحثون عنها • والشعور العاطفى الذى لا يمكن تفسيره هو الذى يجذب كازاكوف وليس الفكر والمنطق فهو يعتبر أن عمق واخلاص الاحساس هو المقياس الأول للشخصية •

الانسان وحده مع الطبيعة ، مع نفسه مع الناس القريبين منه ، المحببين اليه ـ هذه هى المشاهد المحببة فى معظم قصص كازاكوف ومجموعة قصص كازاكوف القصيرة تكون قصة طويلة عاطفية بلا قيود ، تعلن أفكار وآراء روح واحدة ذات طبيعة خاصة تتمثل فى شخصيات مختلفة •

ترددت فى الأدب النثرى للستينيات أصوات تتحدث عن ظهور جيل شاب يقوم الآن ببناء مستقبله بنفسه فقد ظهر وبرز كثير من الكتاب فى العشر السنوات الأخيرة ، وتتمتع الآن أحسن القصص السوفيتية الحديثة بالشهرة الجديرة بها ليس فى الاتحاد السوفيتى فقط وانما فى البلدان الأخرى -

ويجدر بنا ذكر بعض الكتاب السوفييت الآخرين من كتاب القصة القصيرة والقصة القصيرة ـ الطويلة الذين قاموا أيضا بكتابة قصص حديثة شيقة مثل أ٠ بيتوف ، ف٠ بيلوف ، ج٠ فلاديموف ، ف٠ فينوفيتش ، ر٠ جراتشوف ، ف٠ ليخانوسوف ، م٠ راشين ، ف٠ سيمين ، أ٠ ياكوبوفسكى ٠

وكثير من هؤلاء الكتاب السوفييت جذب انتباه القراء والنقاد ولكن ظهور بعضهم على مسرح أدب القصة لم يحز بعد التقدير الكافى ، ومؤلفات هؤلاء الكتاب مختلفة فى طريقة التفكير وفى نغمها ومادتها الحيوية ولكن تجمعها بعض الصفات العامة : الشعور المرهف بالروح الجديدة للحياة ، المستوى المتطور لثقافة الكاتب ، الانجذاب الى الأشكال العميقة والديناميكية للقصة ، وهذا الجيل الموهوب من كتاب القصة يعبر عن النمو والتطور النفسانى والحرية الداخلية والشعور بالمشكلات الجديدة التى تواجه الأدب السوفيتى فى النصف الثانى من الستينيات ٠

ان ادراك معنى الأدب المعاصر عملية متغيرة ومعقدة تتطلب تفهم حصيلة التجربة ، ودراسة الظواهر الجديدة التى ظهرت فى مختلف أقطاب الحياة ، كما أن تلمس الحقيقة ودلائلها فى الناس والعصر دعم واقعية القصة القصيرة المعاصرة ٠

وتشير كل الدلائل الى أن القصة السوفيتية فى العشر سنوات القادمة لن تكون أقل ثراء من قصة الستينيات والأمل أن تصبح أكثر تنوعا وغنى ٠ ومن أهم هذه المؤشرات أن نقطة انطلاق التطور الحالى ترتكز على التجربة المتطورة للنثر السوفيتى كما أن منابع هذا النوع من الأدب قد اتسعت اتساعا كبيرا ، والقصة القصيرة يكتبها أدباء من جميع الأجيال ولديهم الكثير مما يمكن أن يحكى عنه ٠

سمية عفيفى

أستاذ مساعد ورئيس قسم اللغة الروسية بالألسن

في تاريخ حركة الترجمة :

الترجمة عند الساميين والعرب

بقلم الدكتور محمد عوني عبد الرءوف

لم تتضح أهمية الترجمة الا مؤخرا بالرغم من أنها مورست منذ قرون عديدة ، بل أنه لم يرد لها ذكر بالموسوعات الكبرى مثل الموسوعة البريطانية Enegelopaedia Britannica Encyclopaedia كمهنة يمكن أن يتكسب منها كما لم يرد لها ذكر أيضا ضمن الفنون اللغوية ، وانما يرجع الاهتمام بالترجمة في العصر الحديث الى ارتباط العالم بعضه ببعض وتقارب الشعوب كل بالآخر فكان أن أنشئت مدارس للغات والترجمة في كافة شعوب العالم المتقدم .. ومن ثم أصبحت الترجمة فنا من الفنون الأدبية التي يمكن أن يتخصص فيها الدارس ويتبارى فيها والآخرين مظهرا براعته وفنه .. ومن ثم كثرت الكتب المترجمة من والى مختلف اللغات الحية وتضاعف عددها عاما بعد عام .

وان النظرة الفاحصة على فهرس الترجمات الذى تصدره مؤسسة اليونسكو(١) UNESCO لتبين لنا كيف أن الاقبال على الترجمة يتزايد ، وأن عدد الكتب المترجمة قد تضاعف منذ سنة ١٩٤٨ حتى الآن . هذا بالرغم من أن بعض الدول لم تحرص تماما على الدقة في ارسال احصائياتها عن الكتب التى ترجمت بها ، فضلا عن أن بعض الترجمات التى ظهرت فى بعض الدول النامية لا تمثل بالضرورة ما ظهر فى عام التسجيل بل قد تكون قد ظهرت بالأعوام السابقة .

وعلى أى فان احصائية عام ١٩٤٨ مثلا تبين لنا كيف أن عدد الدول المسجلة كانت ست وعشرين دولة كما أن عدد الكتب المترجمة بها كان ٨٥٧٠ كتابا . أما فى سنة ١٩٦٦ فقد بلغ عدد الدول ثلاث وستين دولة وبلغ عدد

---

(١) Index Translàtionum

الكتب المترجمة بها ٢٧٠٩٠ هذا بالرغم من أن الصين الشعبية لم تكن متمثلة في هذا الفهرس ٠

كما يلاحظ أيضا أنه في سنة ١٩٤٩ كانت ألمانيا هي الدولة الوحيدة التي زاد عدد الكتب المترجمة فيها على الألف كتاب في السنة ، أما في سنة ١٩٦٦ فقد بلغ عدد الدول التي زاد فيها عدد الكتب المترجمة على الألف كتاب احدى عشرة دولة هي روسيا ، ألمانيا ، ايطاليا ، فرنسا ، هولندا ، أمريكا ، يوغوسلافيا ، تشيكوسلوفاكيا ، السويد ، اليابان ، والهند ٠ ولو استطعنا الوصول الى احصائية عام ٦٩/ ١٩٧٠ لوجدنا أن عدد مثل هذه الدول قد تضاعف أيضا ٠

ولكي يكون الانسان فكرة واضحة عن أهمية الترجمة فانما يجب أن يعرف نسبة عدد الكتب المترجمة في دولة ما الى عدد الكتب المؤلفة فيها ، فضلا عن معرفته بعدد الكتب المترجمة ولم تطبع أصلا ، ولذا يجب أن يكون هناك فهارس عالمية ومحلية لأعمال المترجمين المحترفين كما يقول مونين Munin في كتابه عن الترجمة ٠

أما الترجمة الفورية فقد ازدادت الحاجة اليها منذ أن عقد أول مؤتمر دولي سنة ١٨٢٩ في بيزا بايطاليا وتزايد عدد المؤتمرات الدولية التي تحتاج الى مترجمين فوريين حتى بلغ عام ١٩٦٥ ألفا وخمسمائة مؤتمرا ٠

تاريخ الترجمة والاحتراف :

بالرغم من أننا نجد لكل فن تاريخا يؤرخ له ولوجوده سواء أكان فنا أم ادبا أو موسيقى فاننا لا نجد للترجمة في جميع بلدان العالم وجميع العصور أي تاريخ ٠٠ وان كانت وظيفة المترجم قد عرفت في جميع المناطق حتى المهجورة في مجاهل افريقيا والبرازيل والامازون كما أنها عرفت أيضا منذ أقدم العصور ففي القرن الثاني قبل الميلاد وجدت في آسيا الصغرى ولدى الأشوريين والبابليين والحيثيين أماكن مخصصة للمترجمين المتخصصين فكاتب للخطابات المصرية وآخر للخطابات الأرامية بل ان نفس الكلمة (ترجمان) بالعربية لها مقابل في الاشورية اذ يقال targumanu كما نجدها في الارامية والعبرية مادة targam حيث نجد meturgam التي وردت بسفر عزرا (اصحاح ٤ آية ٧) « وفي أيام أرتحششتا كتب بشلام ومثردات

وطبئيل وسائر رفقائهم الى أرتحششتا ملك فارس » ·

وكانت الرسالة مكتوبة بالحروف الأرامية ومترجمة بالأرامية ·

بل ان الكلمة الفرنسية التى كانت تدل على المترجم الفورى حتى القرن الثامن عشر أى le truchement وبالايطالية il turcimanno, il dragomanno وبالانجليزية dragoman انما جاءت عن الكلمة العربية ترجمان والارامية ترجوم من الاشورية القديمة ragamu بمعنى يصيح أو يرفع دعوى وان كان معناها قد تحول الى الافصاح عن شيء أو الترجمة من لغة الى لغة فقد جاء لدى ابن منظور باللسان « يترجم الكلام ، أى ينقله من لغة الى لغة أخرى) كما جاء بنفس المادة أن من يقوم بالترجمة يطلق عليه لقب الترجمان · بل ان الكلمة السلافية tolmatsch وكذا الالمانية Dolmetscher جاءت من الميتانية talam وكان فى مصر — أيام الامبراطورية القديمة — موظفون كبار فى منصب كبير المترجمين كما كان هذا لقب أمراء جزيرة فيلة وكان يتوارث أبا عن جد ·

* * *

عرفت الترجمة اذا فى عهد المصريين القدماء وكان لهم صلات بجيرانهم كما كانت لهم بعثات تحمل الهدايا وتتسلم بضائع متعددة من بخور ومعادن وغلات متنوعة فكان لابد لهم اذا أن يعرفوا لغة البلدان التى يتعاملون معها أو أن تعرف هذه البلدان لغتهم وكان لابد من وجود مترجمين يفهمون عنهم أو يعبرون عن رغباتهم اذا لم يتمكنوا من معرفة هذه اللغات · ولعل ألواح تل العمارنة التى ترجع الى عهد اخناتون بالقرن الخامس عشر قبل الميلاد تبين لنا أهمية الترجمة لديهم ومدى اهتمامهم بها ، وألواح تل العمارنة هذه عبارة عن ألواح من الخزف المحروق كان يكتب عليها (وهى طرية) ثم يحمى عليها فى فرن فتصبح جامدة صلبة وقد كتب على هذه الألواح بالخط المسمارى وقد وجد منها نحو ستمائة لوحة فى تل العمارنة بمديرية المنيا بالمنطقة التى كانت بها مدينة آخت آتون التى أسسها اخناتون لتكون عاصمة له · ولعلها نقلت من طيبة الى العاصمة الجديدة ، ولم تكن هذه اللوحات مكتوبة بمصر أساسا انما جاءتها من أشور (بين النهرين) ومن عند الحيثيين فى الأناضول · وكان المصريون يردون علىهذه المراسلات بنفس اللغةالاكدية وبنفس الخط المسمارى، ويدل على ذلك أن الباحثين قد عثروا على بعض رسائل مصر بين آثار الحيثيين فى بوغاز كوى بالاناضول · هذا بالرغم من أن هذه اللغة ليست لغة أى من الطرفين ، الأمر الذى يدعونا الى القول بأن الأكدية كانت آنذاك اللغة الرسمية

للتعامل بين مختلف الدول أو أنها كانت اللغة الدبلوماسية بمعنى أصح . ومن ثم فقد وجد ولا شك مترجمون متخصصون ينقلون عنها واليها فى كل بلاط وعند كل ملك وأمير .. ويجرنا هذا الى القول بأن احتراف الترجمة كان موجودا منذ ٣٥ قرنا على الأقل . وقد بدىء فى استخدام الأرامية الى جانب الكتابة المسمارية على هوامش اللوحات بواسطة الكتاب الذين أتقنوا الكتابتين معا ، بعد أن انتشرت الأرامية فى الامبراطورية البابلية الجديدة بسبب وجود الأسرى السوريين الذين أدخلوا هذه الكتابة المبسطة .

ولعل قصة فك رموز الخط المسمارى واللغة الاكدية تفيد فى معرفة اهتمام العالم القديم باللغات والترجمة فقد ساعد على حل رموزها لوح يشير الى أخبار (دارا) كتب بالفارسية والعيلامية والبابلية ، عكف على دراسته المستشرق الألمانى جروتفند Grotefend عام ١٨٠٣ فبدأ بالفارسية وهى أقل الكتابات الثلاثة تعقيدا فاستطاع أن يقرأ بعض الأسماء بالنص ثم استطاع المستشرق الانجليزى رولنسون Rawlinson (القنصل البريطانى فى بغداد) بعده أن يتوصل الى حل بعض رموز البابلية بالاستعانة ببعض الرموز الفارسية حتى تمكن من فك رموز لوحة (بهستون Behistun) التى دون فيها دارا الاول ٥٣١ ـ ٤٨١ ق.م بنفس اللغات الثلاثة السابقة أعماله وفتوحه . وكذلك اهتم هجنر الايرلندى بهذا العمل ، وتوالى اهتمام المستشرقين به حتى أصبح من الممكن فى عام ١٨٥٧ الالمام بالكثير من هذه الرموز وأصبحنا نستطيع الآن أن نقرأ ما وصلنا من لوحات مسمارية .

ولا ننسى هنا أيضا أن نشير الى حجر رشيد الذى كتب النص عليه بالهيروغليفية والديموطيقية واليونانية واستطاع شامبليون أن يتوصل الى فك رموز الخط الهيروغليفى عن طريقه .

فى بداية الألف الثانى قبل الميلاد انتشرت الارامية فى منطقة شمال غربى ما بين النهرين واستطاعت بعد سبى بابل أن تتغلب على اللغتين البابلية والاشورية كما أنها استطاعت أن تصبح اللغة الرسمية بعد سقوط نينوى عام ٦١٢ ق . م لانتشار الارامين فى بلاد آشور .

وكانت العقود تكتب فى الغالب باللغتين البابلية والارامية . ولما غزا الفرس بابل عام ٢٥٨ ق. م وجدوا اللغة الارامية منتشرة شائعة فى الشرق كله حتى بين طبقة الحاكمين فاستعملوها لغة للتفاهم بين أجزاء الامبراطورية حتى أصبحت لغة المكاتبات الرسمية . وظلت الارامية تفرض نفسها على

سائر اللغات طوال مدة النزاع بين الفرس والرومان فأبادت اللهجات الكنعانية والاكدية وكتبت بها آلاف الوثائق أيضا . فهى لم تكن لغة الامبراطورية الفارسية الرسمية فحسب بل كانت لغة دولية استعملها الفرس فى دواوينهم وكتبت بها برديات عثر عليها فى مصر كما كتب بها التلمود البابلى وكذلك كتبت بها بعض أسفار التوراة والانجيل .

واستمرت سيطرة اللغة الارامية على المنطقة بل امتدت وراء حدود أرض الرافدين وحدود سوريا وفلسطين اذ وجدت نقوش أرامية فى أماكن مختلفة من آسيا الصغرى مثل كيليكيا وليديا Lydia وليكيا Lycia وكذلك فى فارس وشبه الجزيرة العربية . أما فى مصر فنجد جالية يهودية عاشت فى جزيرة فيلة Elephantine (وهى جزيرة بالنيل فى مواجهة أسوان) حيث عثر على مجموعة من كسار الخزف ostraca وأوراق البردى الارامية ترجع الى القرنين السادس والخامس قبل الميلاد .. ثم ما لبثت اليونانية أن حلت محل الارامية وخاصة بعد فتوح الاسكندر فى الانتشار وسعى الناس وراء تعلمها والترجمة منها واليها وأعقبتها اللاتينية التى ظلت لها السيادة فترة طويلة بعد سقوط الدولة الرومانية أيضا كما انتشرت فى الاوساط العلمية منذ العصور الوسطى .

وفى القرن الثالث قبل الميلاد نجد أول وأعظم عمل قام به المترجمون فى ذلك العصر اذ قام ٧٢ عالما يهوديا بترجمة العهد القديم(١) وعلى التحديد البنتاتويش Pentateuch (كتب موسى الخمس فقط) فى ٧٢ يوما بتكليف من بطليموس الثانى Ptolemäus II (Philadelphos) (٢٧٥ ــ ٢٤٧) ق . م . وهو عمل جدير بالاهتمام وان كنا للاسف لا نعلم عنه الا ما وجه اليه من نقد بعد قرون عديدة من هيرونيموس Hieronymus ٣٤٥ ــ ٤٢٠ فى خطاباته المتبادلة مع أوجستين Augustinus ٣٥٤ ــ ٤٣٠ وخاصة لأن هيرونيموس هو الذى ترجم العهد القديم الى اللاتينية Vulgata

ثم مالبثت الترجمة المنظمة أن لقيت الاهتمام بها كحرفة وأقبل الناس عليها كوسيلة للكسب فى روما فنسمع عن ليفيوس Livius ، اندرونيكوس Andronicus ، انيوس Ennius ، ونيفيوس Naevius وغيرهم بل اننا

---

(١) وأطلق على هذه الترجمة السبتواجنتا Septuaginta ومعناها باللاتينية السبعينية . وكذا على ترجمة العهد القديم التى تمت بالاسكندرية بعد ذلك بمائة أو مائة وخمسين عاما .

نجد عند بلاوتس Plautus ، وترنس Terenez أدبا يعتمد أساسا على الترجمة أو الاقتباس على الأقل ٠٠ كذلك اهتمت الدولة نفسها بالترجمة فنجد مجلس الشيوخ Senat يدعو فى سنة ١٤٦ ق٠ م الى ترجمة :
Traktats des Karthagers Mago über die Landwirtschft .
رسالة القرطاجنى ماجو عن الزراعة ٠

كذلك شيشرون Cicero يقوم بترجمة أوقال ديموثينس Demosthenes واشينس Äschines ٠ ويتحدث عن أعظم مشكلة شغلت المهتمين بالترجمة وتشغيلهم حتى اليوم وهى (هل يترجم الانسان ألفاظ النص ترجمة أمينة اى ترجمة حرفية أو يكون أمينا فى نقل معنى النص أى يترجم ترجمة حرة أو أدبية) ٠٠ ومن ثم انتهى شيشرون الى قرار حرص على تنفيذه عند ترجمته فهو يخبرنا بأنه لم ينقل خطبهم وأقوالهم كما يترجمها أى مترجم عادى وانما ترجمها ترجمة شاعر ٠ فهو لم يجد ثمة داع لاحلال كلمة مكان أخرى ، وان كان قد حافظ على المضمون ككل ٠ اذ أنه يعتقد أن القارىء لا يهتم بان ينقل له عدد الكلمات نفسها وانما يقدم له ما تزنه هذه الكلمات أو تحمله من ثقل(١) ٠

اشتهرت عبارات شيشرون هذه وكثر الاستشهاد بها ٠ بل ان الاهتمام بها ما زال حتى يومنا هذا ٠ أى بعد عشرين قرنا من الزمان فما زالت واضحة الصياغة وما زالت مقنعة لدى الكثيرين ٠٠

وبعد شيشرون بنصف قرن تقريبا نجد هوارس Horaz فى رسالته « خطاب الى بيزو »(٢) Die Epistel an die Pisonen

---

(١) بونين ص ٢٤

(٢) وهى عائلة رومانية ظلت فى اوج شهرتها حتى نهاية القرن الثانى الميلادى وكان من أفرادها خمسون رجلا لهم أدوار معروفة فى تاريخ روما (راجع دائرة المعارف البريطانية تحت Piso) وبيزو الذى يعنيه هو لوسيوس كالبونيوس بيزو كابسونسوس Lucius Calpurnius Piso Gaesoninus رجل الدولة الرومانى وحمو يوليوس قيصر وفى سنة ٥٨ ق٠م ـ وكان قنصلا فى روما تحالف مع زميليه أوليس كابينيوس وكلوديوس لابعاد شيشرون وكانت جائزة بيزو من وراء ذلك مقاطعة مقدونيا التى حكمها من ٥٧ الى بداية ٥٥ ق٠م حتى دعى ثانية الى روما بسبب مهاجمة شيشرون له فى مجلس الشيوخ فدافع بيزو عن نفسه فى المجلس ورد عليه شيشرون بهذه الرسالة التى ورد ذكرها فطبع بيزو منشورا باعتباره مدعى عليه وانتهى الأمر عند هذا الحد ٠

وفى هذه الرسالة نجده يتفق مع شيشرون فى رأيه ويفضل الاقتباس الأدبى على الترجمة الحرفية ٠

كذلك نجد ايفاجريوس Evagrius وهو معاصر وصديق لهيرونيموس ومترجم لتاريخ حياة انطونيوس Antoniusvita يهتم فى مقدمته بايراد رأى يتشابه مع رأى شيشرون فهو يقول « اذا كانت الترجمة من لغة الى اخرى ترجمة لفظ فانها تخفى المعنى ويمكن أن يقع الخطأ بسبب الالفاظ ولا يمكن أن يقع بسبب المعنى »(١) ثم يؤلف هيرونيموس رسالة يهديها للترجمة De Optimo General Interpretandi وتقع فى عشرين صفحة ويوجهها الى بماخيوس Pammachius يناقش فيها رأى شيشرون ٠ وقد اشتهر بها شهرته بترجمته المعروفة للفولجاتا وهى التى دعت فالبرى Valéry Larbaudes أن يطلق عليه لقب نصير المترجمين Schutzpatrons der Übersetzer

وظلت اللاتينية اللغة الدولية حتى بعد سقوط الدولة الرومانية التى يقبل الناس على تعلمها، كما انتشرت بصفةخاصة فى الأوساط العلمية وأخذت العربية تنافسها بعد أن أصبحت هى الأخرى لغة دولية تدرس فى جهات وأقطار غير الأقطار العربية وخاصة فى البلاد التى استولى العرب عليها مثل الأندلس وجزيرة صقلية وجنوب ايطاليا ٠

الترجمة عن العرب :

وأهم حركة للترجمة فى العصور الوسطى هى ولا شك حركة الترجمة التى قامت بالعالم الاسلامى ٠

ولعل أول من فكر فى الترجمة حقا هو خالد بن يزيد بن معاوية (ت ٨٥ هـ/٧٠٤ م) الذى نقل اليه اصطفان القاطن مدينة الاسكندرية الكثير من المؤلفات الكيمائية الى العربية ٠٠ ويحدثنا عنه الجاحظ فى البيان والتبيين بقوله « وكان خالد بن يزيد بن معاوية خطيبا شاعرا وفصيحا جامعا وجيد الرأى كثير الأدب وكان أول من ترجم كتب النجوم والطب والكيمياء » كما يبين ابن النديم فى كتابه الفهرست أنه استقدم « جماعة من فلاسفة اليونان ممن كان ينزل مدينة مصر وقد تفصح بالعربية ، وأمرهم بنقل الكتب فى الصنعة من اللسان اليونانى والقبطى الى العربى وهذا أول نقل كان فى الاسلام » ص ٣٥٤ ٠

---

(١) راجع مونين ص ٢٤ وما يليها G. Mounin : Die Übersetzung

ويورد ابن النــــديم تعليلا لاقبـــاله على العـــلم بقوله « يقـــال انه قيل له لقد جعلت أكثر شغلك فى طلب الصنعة (أى الكيمياء القديمة بمعنى تحويل المعادن الخسيسة الى معادن نفيسة) فقال خالد : ما أطلب بذلك الا أن أغنى أصحابى واخوانى ، وانى طمعت في الخلافة فاختزلت دونى ، فلم أجد منها عوضا الا أن أبلغ آخر هذه الصناعة ، فلا أحوج أحدا عرفنى يوما أو عرفته ، الى أن يقف بباب السلطان رغبة أو رهبة » .

وكانت صناعة الكيمياء رائجة فى مدرسة الاسكندرية فاستقدم جماعة منهم راهب اسمه مريانوس طلب اليه أن يعلمه صناعة الكيمياء فلما تعلمهـا أمر بنقلها الى العربيـــة ، فنقلها له رجل اســـمه اسطفان القـديم(١) .. وقد ذكر ابن القوطى فى أخبار الحكماء تحت ترجمة ابن السنذى أنه شـاهد فى خزائن الكتب بالقاهرة كرة نحاس ، كتب عليها (حملت هذه الكرة من الأمير خالد بن يزيد ابن معاوية) .

كذلك ورد أن الخليفة عمر بن عبد العزيز قد أجاز ترجمة كتب الطب لما لها من نفع وفائدة للمسلمين .. كما كانت هناك محاولات فردية لترجمة العلوم العلمية كالصنعة والطب والنجوم مثل ماسر جويه الطبيب السريانى المعاصر لمروان بن الحكم والذى ظهر أيامه أيضـــا كتـــاب فى الطب يدعى (حاوى) ألفه القس أهرون بن أعين فى السريانية فنقلـــه ماسرجـويه الى العربية فلما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة وجده فى خزائن الكتب فى الشام فاستخار الله أربعين يوما ثم أخرجه للناس .. ويذكر ابن النديم أن كاتب هشام بن عبد الملك نقل رسائل أرسطو .

ولعل أول عمل ترجم الى العربيـــة هو كتاب كليله ودمنه الذى قـام بترجمته أبو محمد عبد الله ابن المقفع (١٠٦ ــ ١٤٥ هـ/تقريبا ٨٥٧ م) وقد قام بترجمته عن البهلوية .. وهو فى الوقت نفسه ترجمة للكتاب البوذى الذى أحضره من الهنـــد الطبيب المسيحى بوذ مع بعض العقـــاقير ولعبـــة الشطرنج(٢) كما قام بترجمة كتاب خدى نامه (سير ملوك العجم) وان كان هذا الكتاب قد ضـــاع ولم يصلنا منه الا مقتطفـــات فى عيون الاخبـــار لابن قتيبة(٣) . وقد ترجم ابن المقفع كثيرا من الآثار الفارسية الى العربيـــة

---

(١) الفهرست ..

(٢) علوم اليونان وسبل انتقالها الى العرب/أوليرى ص ٢١٢ وما يليها .

(٣) راجع ضحى الاسلام/أحمد أمين جـ ١ ص ٢٢٦ وما يليها

فضلا عن تأثيره في مؤلفاته الأخرى بثقافته الفارسية .. على أن كتاب كليلة ودمنه ليس ترجمة حرفية ان صح أنه ترجمة على التحقيق اذ أن الكتاب فى أسلوبه وبعض أفكاره أقرب الى الذوق العربى الاسلامى .

يقول ابن أبى أصيبعة « فأما المنطق فأول من اشتهر به فى هذه الدولة ، عبد الله ابن المقفع الخطيب الفارسى ، كاتب أبى جعفر المنصور فانه ترجم كتب ارسطاليس المنطقية الثلاثة التى فى صورة المنطق وهى كتاب قاطاغورياس (أى المقولات) وكتاب بارى أرميناس (العبادة) وكتاب أنولوطيقا (القياس والبرهان) وترجم مع ذلك المدخل المعروف بايساغوجى لفرفوريوس الصورى وعبر عما ترجم من ذلك فى عبارة سهلة قريبة المأخذ » .

وقد بدأت الترجمة الرسمية فى الدولة العباسية فى عهـــد المنصور (١٣٦ - ١٥٨/٧٥٣ - ٧٧٤ م) فترجم علم المنطق والطب والفلك والعلوم الرياضية من حساب وهندســـة . يقول ابن أبى أصيبعة « وأما علم النجوم فأول من عنى به فى هذه الدولة محمد بن ابراهيم الغزارى . وذلك أن الحسن ابن محمد بن حميد المعروف بابن الآدمى ذكر فى زيجه الكبير المغروف بنظم العقدة أنه قدم على الخليفة المنصور فى سنة ١٥٦ رجل من الهند عالم بالحساب المعروف بالسند هند فى حركات النجوم .. فأمر المنصور بترجمة هـــذا الكتاب الى اللغة العربية » .

وكان معظم مترجمى الكتب الفلكية الأول من مرو أى من موطن البرامكة ولذلك يظن أنهم أصحاب الفضل فى جلب هذه المصنفات بالرغم مما ذكر عن وجود مرصد فى جند يسابور اذ أننا لا نعرف عنـــه أى شىء قبـــل أحمد النهاوندى (ت ٨٣٣ م) الذى قام ببعض الارصاد بعد موت الرشيد .. وكانت هذه الترجمات أول الأمر عن الفارسية سواء أكانت مكتوبة أصلا بهذه اللغة أم منقولة عن اليونانية أو الهندية . ثم اشتهرت مدينة جند يسابور القريبة من بغداد بقاطنيها من الأطباء المشهود لهم بالكفاءة ، والذين كانوا يستدعون الى دار الخلافة لمعالجة الخلفاء والأمراء - فكانوا - مع غيرهم من العلماء القادمين من مرو يعتمدون فى دراسة العلوم اليونانية على الترجمات السريانية . وكان الكثير من المترجمين من غير الفنيين اذ كان معظم ناقلى الفلسفة المنطقية الالهية والأخلاقية من الأطباء خاصة وبسبب عجزهم الفنى كانوا لا يستطيعون فهم بعض المسائل الالهية وغيرها من المسائل الفلسفية الأخلاقية أو النفسية التى تنسب الى بعض الفلاسفة فيعمدون الى حذف ما يشكل عليهم أو يستعيضون عنه بقول فيلسوف آخر أو بحبك الثغرة بين سابق القول ولاحقه - بعـد

الحذف ـ من خيال المترجم الخاص متأثرا فيه بثقافته العقلية واتجاه الروحى والمذهبى كما يقول الدكتور البهى(١) . وفضلا عن ذلك فان الكثير من المترجمين آنذاك لم يكن يتقن العربية ، ولا ننسى أيضا أن اللغة العربية كانت تفتقر الى المصطلحات الفنية التى كان العلماء والفلاسفة اليونانيون يكثرون من استعمالها . فكانوا يكتفون بكتابة نفس المصطلح بالحروف العربية بعد أن تدخل عليه السريانية أحيانا من طريقة نطقها من تحريف(٢) . وهذا كما يقول أوليرى أكثر وضوحا بالكتب الطبية منها بالكتب الرياضية والفلكية .

ولم يشتغل المهدى كثيرا بالترجمة ولم يحفل بها وكذلك لم يترجم أيام الرشيد الا كتاب المجسطى .

على أن الترجمة قد بلغت أوج نشاطها أيام المأمون الذى تلقى العلم فى مرو فى جو من الثقافة الهيلينية المحدثة وكان يطبق المذاهب الفلسفية على العقائد الاسلامية ولكن أروع مثل على ذلك هو التجربة التى أمر باجرائها تطبيقا لتجربة الجغرافى اليونانى أراتوسثينيس Eratosthenes لقياس محيط الأرض واقامة مرصد بغداد الذى أشرف عليه أبو الطب سند ابن على (ت ٨٦٠ هـ) .

يقول ابن أبى أصيبعة « ثم أفضت الخلافة الى الخليفة السابع منهم عبدالله المأمون ابن الرشيد بن محمد المهدى بن أبى جعفر المنصور فأتم ما بدأ به جده المنصور فأقبل على طلب العلم فى مواضعه واستخرج من معادنه فراسل ملوك الروم ، وأتحفهم بالهدايا الخطيرة وسألهم صلته بما لديهم من كتب الفلاسفة فبعثوا اليه بما حضرهم من كتب أفلاطون وأرسطاطاليس ، وابقراط وجالينوس واقليدس وبطليموس وغيرهم من الفلاسفة .

فاختار لها مهرة التراجمة وكلفهم بترجمتها ، فترجمت له على غاية ما أمكن ثم حض الناس على قراءتها ورغبهم فى تعلمها فنفقت سوق العلم فى زمانه وقامت دولة الحكمة فى عصره وتنافس أولو النباهة فى العلوم لما كانوا يرون من مكافأته لمنتحليها واختصاصه لمتقلديها فكان يخلو بهم ويأنس بمناظرتهم ويتلذذ بمذكراتهم فينالون عنده المنازل الرفيعة والمراتب السنية » .

---

(١) راجع كتابه الجانب الالهى ص ٣٢٤ وما يليها .

(٢) راجع أوليرى ص ٢٢٠ .

بل لعله أول حاكم اهتم بالترجمة فأنشأ لها مدرسة دعاها دار الحكمة وجعلها معهدا يقوم بترجمة كتب العلماء اليونان لتنتشر بين الناس وجعل على رأسها حنين بن اسحق (ت ٨٧٣ أو ٨٧٧ م) أشهر مترجمي عصره ولا شك ومن ثم اضطردت حركة الترجمة الى العربية فترجمت آثار جالينوس وابقراط وبطليموس واقليدس وارسطو ٠

كما كانت هذه المؤلفات تترجم الى السريانية أيضا ليستعاض بها عن الترجمات السريانية الركيكة التى ترجمت من قبل ذلك ٠٠ ويكفى أن نعرف أن حنين بن اسحاق ترجم الى السريانية عشرين كتابا من كتب جالينوس Galen كما نقل الى العربية أربع عشرة مقالة وقام معاونوه وتلاميذه بترجمة الكثير من الكتب أيضا الى العربية فهو يعد ولا شك رائد حركة الترجمة الدقيقة عند العرب(١) ٠

وفى أيام المأمون (١٩٨ ـ ٢١٨ هـ /٨١٣ ـ ٨٣٣ م) ترجمت فروع الفلسفة من الهية وأخلاقية ونفسية بعد أن كان المسلمون لا يعرفون من العلوم الانسانية عند اليونان الا المنطق الذى ترجم فى عهد المنصور ٠ وعلى هذه الترجمات قامت الفلسفة الاسلامية العربية فى القرون الوسطى اذ كانت تعتمد اعتمادا كليا كما يقول كاتب مادة المترجمين العرب بدائرة المعارف البريطانية(٢) على النصوص اليونانية ٠٠ ومن ثم فقد كان لعمل المترجمين الذين بدأوا نشاطهم من منتصف القرن الثامن الميلادى أهميته البالغة اذ زودوا الفلاسفة الذين لم يكن فى استطاعتهم قراءة اليونانية والسريانية بوجهة النظر الفلسفية والدينية لدى اليونان ٠٠ وكان معظمهم آنذاك من النساطرة واليعاقبة ويترجمون الى العربية مباشرة أو بعد الترجمة الى السريانية ٠ ولعل المؤلف اللاتينى الوحيد الذى ترجم الى العربية فى هذا العهد هو أوروسيس عالم التاريخ المسيحى(٢) ٠

وقد كان لحكم المعتصم (٨٣٣ ـ ٨٤٢) وحكم الواثق (٨٤٢ ـ ٨٤٧) اللذين خلفا المأمون أسوأ الأثر على الحياة العلمية فسرى الخراب الى دار الحكمة وان كانت قد أعيد افتتاحها أيام المتوكل (٨٤٧ ـ ٨٦١) الذى كان يرعى العلم والدرس وان لم يكن ذا ثقافة واسعة مثل المأمون فتمت فى عهده أحسن

---

(١) راجع أوليرى ص ٢٢٤ وما يليها ٠

(٢) راجع دائرة المعارف البريطانية جـ ٢ ص ١٩١ ٠

الترجمات وأدقها اذ أن تدريب المترجمين وتجاربهم أتت كلها فى عصره .. وان كان قد أمر بالقاء حنين بن اسحق فى السجن أربعة أشهر وصادر ماله مبررا تصرفه بأنه أراد أن يمتحن مبلغ تمسكه بالتقاليد المتعارفة فى صناعة الطب ، بعد أن أمره باعداد السم لخصومه فرفض . وبعد خروج حنين من السجن توفر على القيام بالترجمة وتصحيح ترجمات من قبله ثم أخذ يعمل على ترجمة كتاب جالينوس فى قانون صناعة الطب De Canslitutione Artis Medicae حتى توفى عام ٨٧٣ أو ٨٧٧ وكانت المخطوطات اليونانية موجودة بوفرة فى العراق وسوريا وفلسطين ومصر حتى القرن التاسع الميلادى فى الوقت الذى كان حنين بن اسحق يقوم بترجمته لجالينوس بل ان كاتب مادة المترجمين العرب بدائرة المعارف البريطانية(١) ليعتقد أن اليونانية كانت لغة التخاطب هناك حتى نهاية القرن العاشر .

والى جوار حنين يمكن أن نذكر أيضا من كبار المترجمين ابنه اسحق (ت ٩١٠ م) وابن أخيه حبيش بن الحسن الذى نقل النصوص اليونانية لابوقراط الى العربية ومؤلف ديوسقوريدس فى علم النبات الذى ترجم فيما بعد فى أسبانيا(٢) ترجمة مستقلة عن اليونانية مباشرة دون التفات لهذه الترجمة أو لترجمة اسطفان بن سبل الى السريانية التى نقلها حنين أو حبيش بعد ذلك الى العربية .

ولا يفوتنا هنا أن نذكر ثابت بن قره (ت ٩٠١) الذى كان له منزلة عظيمة بين من أصلحوا الترجمات العربية لكتب الرياضة والفلك بصفة خاصة فقد كان يتقن اللغات الثلاث اليونانية والسريانية والعربية وألف حوالى مائة وخمسين كتابا فى المنطق والرياضيات والفلك والطب بالعربية كما ألف خمسة عشر كتابا آخر بالسريانية(٣) وكان له تلاميذ كثيرون منهم عيسى بن أسيد

---

(١) جـ ٢ ص ١٩١

(٢) وانما كانت هذه الترجمة التى ظهرت فى أسبانيا ضمن حركة الترجمة التى بعثها وشجعها الخليفة الأموى عبد الرحمن الثالث بالأندلس وكانت له صلات طيبة بالبيزنطيين فاهدى له الامبراطور قسطنطين السابع عام ٩٤٩ ضمن هدايا كثيرة نسخة من كتاب ديسوسقوريدس باليونانية مع صور ملونة لكثير من النباتات الموصوفة بالمتن .. ولما لم يكن لدى الخليفة من يعرف اليونانية طلب من الامبراطور - شاكرا له هديته - أن يرسل له من يستطيع قراءة الكتاب وتفسيره فأرسل له عام ٩٥١ راهبا مسيحيا يدعى نيقولاس Nicolas وكان يتكلم العربية فقام بترجمة الكتاب وغيره وبتعليم الكثيرين من رجال البلاط وغيرهم اليونانية .

(٣) ابن العبرى فى تاريخ مختصر الدول جـ ١٠ ص ١٧٦ .

الذى ترجم كثيرا من الكتب التى كتبها ثابت بالسريانية الى العربية ·· ومن المترجمين المشهورين أيضا ابن الوحشية الذى ألف كتابه (الفلاحة النبطية ٩٠٤ م) زاعما أنه مترجم عن البابلية القديمة وهو مجموعة من المعتقدات الخرافية والأساطير الشعبية لا صلة لها بالفلاحة ولا بالنبات وانما الغرض منه التدليل على أن الحضارة البابلية ازدهرت قبل قيام الحضارة العربية بزمن طويل ·

وقد استمر نشاط المترجمين حتى نهاية القرن الحادى عشر ويبدو أن الترجمة كانت عن السريانية كلها أفلحوا فى مواصلة تعليم الفلسفة اليونانية فى بغداد ·· ويمكن أن نقول ان الترجمة قد مرت عند العرب اذا بأطوار ثلاثة :

أولا :

أيام المنصور والرشيد فترجمت كليلة ودمنه والسند هند (عن الهندية) وبعض كتب أرسطو فى المنطق والمجسطى فى الفلك وكتب الطب والتنجيم ·

ثانيا :

أيام المأمون .(٨١٣ - ٨٣٣) وغلب على الترجمة آنذاك الفلسفة فترجمت معظم أعمال ارسطو وأعيد ترجمة المجسطى كما ترجمت الحكم الذهبية لفيثاغورس وأعمال بقراط وجالينوس ومقالات أرسطو وكتب أفلاطون (طيماوس والسياسة المدنية والنواميس) · وكذا أيام المعتصم (٨٣٣ - ٨٤٢) ·

ثالثا :

الترجمة بعد المامون وأهم ما ترجم كتب المنطق والطبيعة لأرسطو وتفسيرها(١) وهى الفترة التى وجد فيها حنين بن اسحق (ت ٨٧٣) وتلاميذه العديدون ببغداد ·

---

(١) راجع مادة دائرة المعارف البريطانية بالمادة سالفة الذكر وضحى الاسلام لأحمد امين جـ ١ ص ٢٦٦ وما يليها ·

وقد عاش المترجمون أيام العباسيين عصرهم الزاهر فقد بولغ فى اكرامهم وجعل لبعضهم الرواتب والجوارى ورغبهم الخلفاء فى الاقبال على الترجمة بالبذل الكثير(١) ٠

بل ان بعض العائلات الغنية كان يصرف المال الكثير فى التشجيع على الترجمة وفى سبيل جلب الكتب والأدوات المعينة على البحث ومواصلة الاطلاع ولا ننسى هنا أن نشير الى بنى شاكر أولاد موسى بن شاكر (محمد ، أحمد ، الحسن) الذين اشتغلوا بالهندسة والنجوم والطبيعيات والميكانيكا واجتهدوا فى جلب الكتب القديمة من بلاد الروم وأحضروا المترجمين وأجذلوا لهم العطاء ليقوموا بالترجمة وكذلك محمد بن عبد الملك الزيات وعلى بن يحى المعروف بابن المنجم ومحمد بن موسى بن عبد الملك وابراهيم بن محمد بن موسى الكاتب والكثيرون وغيرهم ٠

وفضلا عن الترجمة من اليونانية والسريانية نجد الترجمة عن اللغات الأخرى أيضا فقد سبق أن أشرنا الى ترجمات ابن المقفع عن الفارسية وكذلك ترجم عنها ال نوبخت فى النجوم وغيرها وكذلك أبو الحسن على بن زياد التميمى الذى ترجم من الفارسية كتاب زيج الشهريار والحسن بن سهل وكا نمنجما وأحمد بن يحي البلاذرى ، وجبلة بن سالم كاتب هشام واسحق ابن يزيد الذي ترجم سيرة الفرس المعروفة باختيار نامة وغيرهم كثيرون ٠

أما الترجمة عن اللغة السنسكريتية فقد قام بها منكة الهندى وهو من أصحاب اسحق بن سليمان بن على القاسمى وغيره(٢) كما كانت هناك بعض الكتب المترجمة عن اللاتينية أو العبرية أيضا ٠

وبهذا ولهذا استطاع العرب فى قرن وبعض القرن كما يقول الاستاذ جورجى زيدان(٣) أن ينقلوا « من علوم تلك الأمم ما لم يستطع الرومان بعضه فى عدة قرون وذلك شأن المسلمين فى أكثر أسباب تمدنهم العجيب »٠

---

(١) راجع جورجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية جـ ٢ ص ٣٣٧ ٠
(٢) راجع الفهرست ٠
(٣) تاريخ آداب اللغة العربية جـ ٢ ص ٣٣٩ ٠

الترجمة في أسبانيا :

وقد وجد الكثير من الترجمات العربية عن اليونانية فى قرطبة حيث عاش ابن رشد وكذا فى طليطله ولعل أول من قام بالترجمة من اليهود بأسبانيا هو اسحق بن عمران الاسرائيلى الذى خدم فى بلاط زيادة الله الثالث (٩٠٢ ـ ٩٠٣) بالقيروان وكان طبيبا بالبلاط ومعلما للفلسفة • نزح من بغداد بعد أن تلقى العلم بها وترجم الكثير من المراجع الفلسفية وتوفر فى الاندلس على دراسة الطب وترجمة مراجعه والتأليف فيه فألف كتاب البول وكتاب منهج الأطباء الذى لم يعثر على نصه العربى وانما عثر على نسخة عبرية له بعنوان Manhag or Musar ثم ترجمه الى اللاتينية قسطنطين الافريقى (١٠٨٧) وطبع فى لندن فى ١٥١٥ •

وسبق أن تحدثنا عن نسخة ديوسكوريدس اليونانية التى أهديت الى عبد الرحمن الثالث ثم أرسل له الامبراطور راهبا يدعى نيقوس يعرف العربية فقام بترجمة كتاب النبات هذا كما ترجم كتبا أخرى وعلم بعض رجال البلاط اليونانية منهم حصداى بن شبروط الوزير اليهودى •

وفى نهاية القرن الثانى عشر نجد موسى بن ميمون (ت ١٢٠٤) وهو الذى احتل المقام الثانى بعد ابن رشد مواطنه ومعاصره • صنف جميع كتبه فى الفلسفة والطب باللغة العربية الا أنه كتب كتابا واحدا يسمى دليل الحائرين باللغة العبرية ثم فر موسى هذا الى مصر بأهله بعد أن خاف من الاضطهاد وعاش فى رعاية القاضى الفاضل يؤلف ويقابل فلسفة ابن رشد بفلسفة أرسطو بالأصل اليونانى وقد جمع خبرات المترجمين العرب واليهود الطويلة هذه التى تتفق ونصائح ووصايا شيشرون واقتراحات هيرونيموس من سبعة قرون ، فعنده « ان من يريد أن يترجم من لغة الى أخرى ويلتزم بابدال لفظ بآخر فانه سيكلف نفسه مشقة كبيرة ولن يقدم الا ترجمة مضطربة مشكوك فى صحتها ولا يصح أن تكون الترجمة هكذا وانما يجب على المترجم أن يدرك أولا معنى النص ويتفهم أجزائه ثم يبدأ بالترجمة فى صياغة مفهومة وواضحة فى اللغة المترجم اليها وانما يتأتى ذلك عندما يقدم المترجم ويؤخر ويضع كلمة مكان كلمات أو يفسر أخرى فى الأصل بكلمات فى

اللغة المترجم اليها وحينما يستبعد التعبير الخاص بلغة بعينها ويستعيض عنه بتعبير تتقبله أو تستعمله اللغة المترجم اليها حتى يستطيع أن ينقل الافكار فى تسلسل واضح مفهوم فى هذه اللغة(١) .

مدرسة طليطلة :

ولا يجدر بنا أن نترك المجال قبل الحديث عن مدرسة طليطلة اذ أنها تعد امتدادا لحركة الترجمة التى قام بها العرب فى أسبانيا .

فليس من العجيب أن تكون فى أسبانيا ــ ملتقى الثقافة اليهودية والعربية والمسيحية منذ القرن الثانى عشر ولمدة قرن ونصف من الزمان ــ مدرسة الترجمة الوحيدة التى تعرف عنها بعض المعلومات وان كان البابا انونتسنس Innozenz IV قد كتب خطابا الى ادارة جامعة باريس فى ٢٢ من يونية سنة ١٢٤٨ يرجو ارسال طلبة يعرفون العربية واللغات الشرقية الأخرى ولكن هذا ليس دليلا على وجود مدرسة لغات شرقية فى باريس فى القرن الثالث عشر وفى أيام فيليب الجميل Philipp الذى حكم بعد سنة ١٢٨٥ أثار القانونى بيير ديبوا Pierre Dubois فى De Recuperatione Terrae مسألة تأسيس معهد لتخريج مترجمين فوريين للغات الشرقية ولم يتحقق هذا المشروع .

أما فى طليطلة فقد ترجم بايعاز من مطارنة الكنيسة المجسطى لبطليموس وأعمال موسى بن ميمون Maimonides وابن رشد والقرآن الى اللاتينية كما ترجمت أيضا الى اللهجة القسطلانية والقطلانية . كذلك نقل قسطنطين الافريقى وجربرت وأفلاطون دى تريفولى وغيرهم كتبا فى الرياضة والطب والفلك .

وقد أسس دون ريموند ورئيس الأساقفة (١١٢٦ ــ ١١٥١) دومننيك لتحقيق الألفاظ اليونانية المترجم بها . فنقل المسلمون واليهود

---

(١) من خطاب أرسله من القاهرة الى صموئيل بن طيبون فى لونل بفرنسا (راجع مونين ص ٢٦ وما يليها) .

والنصارى الى اللاتينية أمهات كتب الرياضيات والفلك والطب والكيميـــاء والطبيعة والتاريخ الطبيعى وما وراء الطبيعة وعلم النفس والمنطق والسياسة كما قرر مجمع طليطله (١٢٥٠) الانفاق على ثمانية من الرهبان الدومينيكان منهم راسموندو مارتينى انقطعوا لدراسة اللغة العربية وصنف أحدهم أول معجم عربى أسبانى (١٢٣٠) كذلك أرسل المجمع بعض الرهبان الآخرين الى باريس لتعلم اليونانية والعربية والعبرية (١٢٥٥) ثم كلفهم مجمع بلنسية سنة ١٢٥٩ بتأسيس مدرسة للعربية والعبرية فى قطلونيا (١٢٦١) وكان لهؤلاء نشاط أدبى أيضا فقد ألف أحدهم ويدعى غليوم الطرابلسى كتابا عن الاســلام أهداه الى البابا غريغوريوس (١٢٧١ - ١٢٧٦) وألف دى مونتى كروسيس كتابا عن عقائد تركيا والتتر .

وفى القرن الثالث عشر أصبح اليهود فى الاندلس أقدر على الترجمة اذا وذلك فى عهد الفونس العشار خليفة القديس فرديناند الثـالث فأسس بأشبيلية مدرسة عربية لاتينية واستدعى الى العاصمة العلماء والأدباء من كل الترجمـــات عن كتب الفلسفة والتاريخ والفلك العربيـة وكان من أشهرهم زان بن زاكت ويهوذا هاكون والربان زاك وكان من العرب المسلمين من يتعلم هذه اللغات أيضا مثل محمد بن أحمـــد القرموطى المرسى وكان أعلم رجال عصره بالمنطق والهندسة والموسيقى والطب والرياضـــة بنى له الفونس فى مرسيه مدرسة يدرس فيها للتلاميذ من كافة الديانات(١) .

وبفضل هذه المدرسة ظلت طليطلة ملتقى طلاب العلم من أوربا (انجلترا، فرنسا ، وايطاليا ، وألمانيا) طوال قرنين من الزمان .

كما نقل هؤلاء المترجمون أيضا الى العربية وصنفوا فيها فنقل يوحنـا رئيس أساقفة أشبيليه التوراة من اللاتينية الى العربية (٧٢٤) .

وقد كان المترجمون الذين يمكن الحديث عن العشرات منهم أســبان

---

(١) نفح الطيب جـ ٢ ص ٤٠٩ .

وانجليز ويهود تنصروا ومسيحي الاسبان الذين عاشوا تحت حكم العـــرب في أسبانيا وأشهرهم جيرهارد فون كريمونا Gerhard von Gremona ويوحنا الاشبيلى فترجموا الكثير من مؤلفات ابن سينا وبعض كتب الفارابى والكندى .

وكانت المحاضرات تلقى فى كل مدرسة وتناقش النصوص وتفسر كما كان العمل فى هذه المدارس جماعيا أو كان المترجمون على اتصال ببعضهم على الأقل حيث كانت اللغة الأصلية أو لغة العمل هى اللغات الحية كلها التى كان يتكلم بها العالم المتمدين آنذاك وتوجد حتى الآن فى الكاتدرائية بطليطلـــة وبالمكتبة الوطنية بمدريد ٥٢ مخطوطة وأكثر من مائة عمل مختلف تبين دور هذه المدرسة آنذاك .

محمد عونى عبد الرءوف
أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية بالألسن

المراجـــع :

١ ـ أحمد أمين : ضحى الاسلام ، الطبعة الثانية بالنهضة .
٢ ـ أوليرى : علوم اليونان وسبل انتقالها . ترجمة د. وهيب كامل ، لجنـــة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٢ .
٣ ـ جورجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية . دار مكتبة الحياة/بيروت .
٤ ـ دائرة المعارف البريطانية ، ط ١٩٥٩ .
٥ ـ د. محمد البهى : الجانب الالهى من التفكير الاسلامى ـ دار الكاتب العربى ١٩٦٧ .
(٦) G. Mounin : Die Übersetzung München 1967

أونمونو الأديب الفيلسوف الأسبانى

يكتشف فى عام ١٩٢١ أن القمر كالأرض

أى قبل اكتشافه بحوالى نصف قرن

بقلم الدكتورة علية العنانى

ولد ميجيل دى أونمونو عام ١٨٦٤ فى مدينة بلباو وهى مدينة صناعية فى شمال أسبانيا ووافته المنية فى عام ١٩٣٦ فى مدينة سلمنقة احدى مدن اقليم قشتالة • ويعتبر من أبرز المفكرين الأوروبين على الاطـــلاق • ترجمت أعماله الى معظم اللغات الحية • ولم يترك بابا من أبواب الأدب الا طرقه بقلمه السحرى وفكره العميق ، من شعر ومقال ومسرح وقصة بل وفلسفة •

وكلما تعمقت فى دراسة مآثره الأدبية الواسعة ، ازددت اعجابا بهــذه العقلية الفذة • وقد وقع اختيارى على روايته الشهيرة المسماه « الخالة تولا » وبالفعل قمت بترجمتها على صعوبتها ، وهذا ما يميز أسلوب أونمونو ومما يزيد هذا الأسلوب تعقيدا هو أفكاره الفلسفية العميقة التى تحلق بالقارىء فى آفاق لم يكن يتوقعها حين يبدأ فى قراءة قصة عائلية بحتة فاذا بالفيلســوف الأديب يتشعب ليخرج باخوار عن اطاره البسيط ليناقش معــك فكرة بداية الخليقة ثم الوجود الالهى ثم فكرة الموت الذى سماه اللغز المحير ثم هو يصل الى أعماق العاطفة وكأنى به طبيبا نفسيا أو فيلسوفا يونانيا •

ولعل من المناسب أن أعطى لمحة سريعة عن مضمون « الخالة تولا » ولن أجد تعليقا أحلى ولا أصدق من كلمات أونمونو نفسه حين قال :

«Ahora ando metido en una nueva novela, la tía, historia de una joven que rechazando novios se queda soltera para cuidar a unos sobrinos, hijos de una hermana que se le muere. Vive con el cuñado, a quien rechaza para marido, pues no quiere «manchar» con el débito conyugal el recinto en que respiran aire de castidad sus hijos. Satisfecho el instinto de maternidad, ¿ para qué ha de perder su? virginidad? Es virgen madre. Conozco el caso».

و « الخالة تولا » La Tia Tula هى الأمومة المجسمة التى تفيض حنانا وعذوبة فتضم تحت جناحيها الرقيقين كل من حواليها : تضحى بكل شىء من أجل كل من تعرفه ، ضحت بحبيبها من أجل شقيقتها التى زوجتها من هذا الحبيب ثم ضحت بصحتها وحياتها من أجل أطفال شقيقتها بعد أن رحلت شابة من هذا الوجود • كانت حياتها سلسلة من التضحيات فأقامت صرح أسرة متينة البنيان ، أصيلة التقاليد ، ورعت أطفال أختها بكل حنـــان وأمومة ، عرفت الأمومة ، وأحست بها وعاشتها حتى دون أن تتزوج ودون أن تلد فكانت أحن وأرق من كثير من الأمهات • وقد أقامت هذه الأسرة على أساس خلقى قـويم وتحملت تبعات ينوء بحملها كثير من صناديد الرجال •

ولا أريد الاسترسال لأنى لو أطعت قلمى فلن يتوقف أبدا عن ذكر مآثر « الخالة تولا » التى أحببتها حقا بل لقد ملأت على نفسى وروحى اذ رأيت فيها نموذجا رائعا من الايثار وانكار الذات •

وان ما يعنينى الآن من هذه القصة التى ترجمت الى اللغات الألمانيـــة والتشيكية والفرنسية والهولندية والانجليـــزية والايطـــالية والبولنـدية والروسية واليوغوسلافية والسويدية ، والتى رأيت من حق القارىء العربى أن أقدم له ترجمة عربية لينفتح على بعض من كنوز الأدب الأسبانى الثرى ، ان ما يعنينى الآن هو فكرة أونمونو عن « القمر » •

ولا أخفى أننى قد تملكتنى دهشة كبيرة حينما وجدت أونمونو يتحدث عن القمر على لسان الخالة تولا فيقول أنه أرضى وأنه ســـيأتى اليـوم الذى سيحاول الانسان الوصول اليه • وقد جاء بالفعل ذلك اليوم المرتقب ووصل

الانسان للقمر ليجده كما وجده أونمونو بخياله الخصب وعقليته الخــارقة : أرضا ، تماما كالأرض التى نعيش عليها والى القارىء العزيز أسوق هــذه الوثيقة الأدبية الخطيرة ، أسوق النص الحرفى لهذا الاكتشاف العلمى الكبــير قبل حدوثه بحوالى نصف قرن من الزمان :

«! Mira que hermosura! exclamó Gertrudis una tarde, al ocaso, en que estaban sentados frente al mar.

Era la luna, llena, roja sobre su palidez, que surgía de las olas como una flor gigantesca y solitaria en yermo palpitante.

¿ Por qué le harbrán cantado tanto a la luna los poetas? dijo Ramiro ¿ por qué serà la luz romántica y de los enamorados?

— No lo sé, pero se me occure que es la única tierra, porque es una tierra ... , que vamos sabiendo que nunca llegaremos a ella..., es lo inaccesible. El sol no, el sol nos rechaza; gustamos de bañarnos en su luz, pero sabemos que es inhabitable, que en el nos quemaríamos, mientras que en la luna creemos que se podría vivir y en paz y crepúsculo eternos, sin tormentas, pues no la vemos cambiar; pero sentimos que no se puede llegar a ella ... Es lo intangible ...

— Y siempre nos da la misma cara ..., esa cara tan triste y tan seria ..., es decir, siempre !no!, porque la va velando poco a poco y la oscurece del todo y otras veces parece una hoz ...

— Sí — ......; siempre enseña la misma cara porque es constante, es fiel. No sabemos cómo serà por el otro lado..., cuál será su otra cara ...

— Y eso añade a su misterio.

— Puede ser ... puede ser ... Me explico que alguien anhele llegar a la luna ..., !lo imposible! ..., para ver cómo es por el otro lado ..., para conocer y explorar su otra cara ...

— La oscura ...

— ¿ la oscura? parece que no! Ahora que esta que vemos está iluminada, la otra estarà a oscuras, pero o yo sé poco de estas cosas o cuando esta se oscurece del todo en luna nueva, està en lua por el otro, es luna llena de la otra parte ...

— ¿ Para quién?

— ¿ Como para quién? ...

— Sí, que cuando el otro lado alumbra ...
¿ para quién?

— Para el cielo, y basta. ¿ O es que la luna la hizo Dios no más que para alumbrarnos de noche a nosotros, los de la tierra? ¿ O para que hablemos estas tonteriás?

وهكذا صدقت نبوءة أونمونو عن القمر فكانت شاهدا رائعا على تفكير خارق والهام الهى حبا الله به هذا الفيلسوف الاديب أو هذا الأديب الفيلسوف ولا يسعنا الآن وفى الوقت الذى يحلق فيه رواد رحلة أبوللو الأخيرة للقمر ، فى الفضاء الفسيح ، أن نشكر الله أن وهب للانسانية عقولا فذة تثرى التراث الانسانى وتعمل على دفعه قدما للأمام ٠

علية العنانى

أستاذ مساعد ورئيس قسم اللغة الأسبانية بالألسن

Это сближает их со свободными словосочетаниями .
2.Однако. отмечается значительное своеобразие способов выражения ими различных синтаксических функций . Это своеобразие зависит , главным образом, от преимущественного выражения фразеологизмами номинативного или качественно -оценочного значения. При этом с усилением качественно - оценочного значения связано продвижение разбираемых словосочетаний в область составного именного сказуемого , и наоборот .

A. EL CHEIKH

нами предложения , несут тем не менее определенную смысловую нагрузку. Их функция заключается в высшей степени абстрагированном выражении категории модальности , т. е. интеллектуальной или эмоциональной оценки говорящим того, о чем идет речь .

Как уже говорилось , в этой роли выступают фразеологизмы в форме именительного падежа с нулевой падежной парадигмой , например:

I/вводные слова и словосочетания :

" Ясное дело , неправ он" /А.Толстой , Голубые города/;

2/обращения :

"Черный ворон , что ты вьешься
Над моею головой ? /народная песня /.

3/междометия :

"Елки зеленые ! Рощин ! А мы ведь считали тебя дезертиром !- пробормотал Теплов , обнажая в недоверчивой улыбке гнилые свои зубы . " / А. Толстой , Хождение по мукам . / елки зеленые - выражение сильного эмоционального взрыва , который может иметь разнохарактерный подтекст - восхищение , досада , изумление и пр. /.

Заканчивая описание синтаксических свойств устойчивых словосочетаний , образованных по модели " прилагательное существительное ", выделим некоторые существенные , на наш взгляд , положения .

I,Устойчивые именные сочетания данной модели могут выступать в роли любого члена предложения

щения /;

2/Обстоятельство времени :

"Вчерашний день /вчера / , часу в шестом Зашел я на сенную / Н.А.Некрасов , Стихотворения /.

3/Образа действия :

"Появилась возможность хотя бы задним числом / позже, после случившегося / сравнить его /спектакль / с фильмом "/Марченко , Искусство быть зрителем , 53/.

5/Сказуемое .

Почти все устойчивые сочетания модели " прилагательное + существительное " могут быть употреблены в роли сказуемого , так же как в этой роли могут выступать почти все части речи / точнее , все семантически полнозначные части речи /, являющиеся их нефразеологическими эквивалентами . В этой синтаксической функции особенно отчетливо проявляется качественно - характеризующее оценочное значение , а значение предметности ослабляется или исчезает совсем .

Будучи именными словосочетаниями , с опорным компонентом, выраженным именем существительным , фразеологизмы указанного типа в предикативной функции являются обычно именной частью составного скоазуемого .В качестве связки приних , кроме глагола " быть" , могут выступать также и некоторые другие глаголы с ограниченной семантикой , такие ,как " казаться " , "становиться " , "делаться " ," являться" и т. п.

"Мы вольные птицы , пора , брат , пора !"/А.Пушкин ,Узник/

"Солоницына красавица была писанная , теперь, думается , такх не найдешь "/Мельников -Печерский ,Стары е годы /.

6./Прочие синтаксические функции

Кроме способности выступать в предложении в роли тех или иных его членов , следует отметить также тот факт , что устойчивые сочетания могут быть также употреблены и в качестве вводных элементов предложения - слов и словосочетаний - обращений , междометий , которые , не являясь чле-

именной парадигмой , и взятые в форме родительного падежа единственного или множественного числа , например :

" С первых дней годины горькой ",
В тяжкий час земли родной ,

Не шутя , Василий Теркин ,
Подружились мы с тобой"/А.Твардовский , Василий Теркин /

2/имени существительному в форме косвенного падежа с предлогом , например :
"Марк Силыч отвесил ей поклон от чистого сердца /А.О.Осипович -Новодворский , История , 339/;
3/имени прилагательному , причем фразеологизмы этого типа могут относиться к подлежащему , выраженному существительным .

Фразеологизмы , эквивалентные имени прилагательному , могут определять также косвенные дополнения , выраженные именем существительным в косвенном падеже с предлогом или без предлога :
"Там я сновавстретился с ним , этим человеком с большой буквы"/Павленко , счастье /

4/Обстоятельства

Значительную группу среди устойчивых сочетаний , образованных по модели " прилагательное + существительное ", составляют фразеологизмы , выполняющие функцию различного рода обстоятельств в простом предложении / времени -темпоральные , места - локальные , образа действия и пр. /
Сюда относятся в первую очередь такие фразеологизмы , которые эквиваленты наречиям , реализующим при употреблении в речи обстоятельственно характеризующие значения .

Точно таким же образом употребляются и фразеологизмы , которые могут быть идентифицированы свободным словосочетаниям модели "существительное в им. пад. + существительное в косв. пад с предлогом или без предлога ", а также - в ограниченном числе случаев -сочетаниям , образованным по модели - " существительное + прилагательное " , например :

I/Обстоятельство места:

"Сейчас из белой кухни / кухни для господ / позвали Семена вверх " /Л.Толстой ,Плоды просве

свободному словосочетанию . , образов анному по модели " существительное в им. пад. + существительное в косв. пад. с предлогом ":.

"Губернаторша подвела его к высокой и очень толстой старухе в голубом токе , только ,что кончившей свою карточную партию /партию в карты/" //Л.Толстой , Война и Мир /.

Заметим , что устойчивые ~~явления~~ сочетания , употребленные в роли подлежащего и прямого дополнения , также в значительной мере опредмечиваются , утрачивая оценочную функцию

б/Косвенное дополнение

Косвенным дополнением могут быть фразеологизмы, соотносимые с именем существительным, в форме любого косвенного падежа / кроме винительного / , единственного или множественного числа , с предлогом или без предлога , например :

"Хотелось птичкам божьим моим ,
Чтоб где-нибудь их налетели звуки
На чуткий слух , внимать готовый им"

/А.Фет , На пятидесятилетие музы... /,

В этой же роли могут выступать устойчивые словосочетания разбираемого типа , эквивалентные свободным словосочетаниям , образованным по модели " сущ. в им. пад. + сущ. в косв. пад с предлогом или без предлога ", например : "Однако, -сказал он ,- ведь говорят же , что война подобна шахматной игре /игре в шахматы/ /Л.Толстой ,Война и мир /.

3/Определение

Устойчивые сочетания рассматриваемой модели могут также выступать в предложении в роли несогласованного определения , что обусловлено их преимущественной направленностью на выражение качественной оценки или характеристики лиц , предметов или явлений , а также их принадлежности какому -либо предмету .

Эту синтаксическую функцию могут выполнять фразеологизмы , эквивалентные
1.имени существительному , обладающему полной

функцию называния лица, предмета или явления, могут выступать устойчивые именные сочетания, эквивалентные имени существительному мужского, женского или среднего рода в форме именительного падежа единственного или множественного числа, как одушевленному, так и не одушевленному, обладающему как полной падежной парадигмой, так и частичной или нулевой, например:
" как это бывает зачастую в Москве, уже в глубокую пору осени как бы вернулось вдруг "бабье лето" /В.Лидин, Две жизни/; "Ах злые языки страшнее пистолета! /А.Грибоедов, Горе от ума/.

Как видно из приведенных примеров, оценочное значение устойчивых сочетаний, употребленных в роли подлежащего и указывающих на субъект действия, в значительной степени ослаблено.

В роли подлежащего только в сопровождении местоименного определения могут выступать фразеологизмы, соотносимые с именем существительным и указывающие на лицо мужского или женского пола, причем в форме не только именительного, но и косвенного падежа без предлога или с предлогом, например: уне-" У него сидела какая-то приказная строка"/И.Тургенев, Два приятеля /.

2/Дополнение

а/ Прямое дополнение

В этой синтаксической функции выступают устойчивые сочетания, также соотносимые с именем существительным, обладающие полной или ~~неполной~~ частичной именной парадигмой. Все они в данной синтаксической функции употребляются в форме винительного падежа без предлога / аналогично свободным словосочетаниям /, например:
"Вынес достаточно русский народ,
Вынес и эту дорогу железную /Н.А.Некрасов Железная дорога/.

В этой же синтаксической функции могут употребляться фразеологизмы, эквивалентные

ного значения ––––––––––––––––––––––––

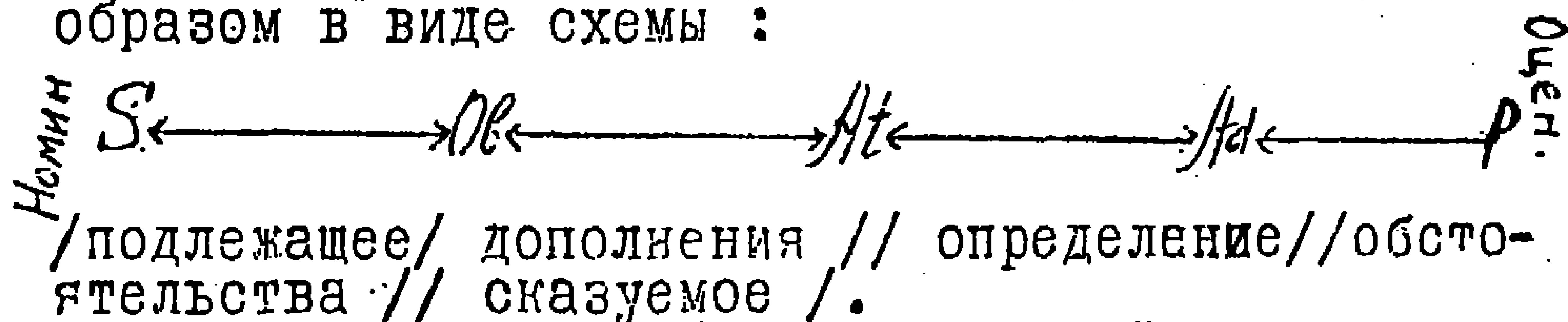
I/Н.М.Шанский , Лексикология современного русского языка . М,Просвещение ", 1964 стр. 185.

2/См. , например : В.П.Жуков . Сказуемое , выраженное устойчивыми сочетаниями в современном русском языке . АКД.,Л.,1953,его же .Основные типы лексико – грамматических значений фразеологизмов ."Ученые записки Новгородского пед. ин-та ", т. . ХУI,Новгород , 1968 соответственно ослабляется значение предметности и наоборот

I/. В.П. Жуков. Основные типы лексико-грам. значений фразеологизмов стр 11.

Таким образом , значение номинации и оценочное значение – два разноименных полюса , к которым тяготеют фразеологизмы и между которыми возможен ряд переходных значений .

При этом с синтаксической точки зрения крайними членами этого ряда , организованного по принципу усиления оценочного фактора и ослабления номинативного , будут подлежащее и сказуемое , между которыми располагаются прочие члены предложения в следующей последовательности : прямое дополнение , обстоятельство , и определение . Представим эту закономерность следующим образом в виде схемы :



/подлежащее/ дополнения // определение//обстоятельства // сказуемое /.

Как видим , хотя в силу именной природы рассматриваемые фразеологизмы должны были бы обнаруживать тенденцию к преимущественной номинативности , обозначению предметности , однако, специфика их фразеологичности позволяет им с успехом выполнять оценочную функцию .

Номинативная функция в предложении присуща, как известно , главным образом , тем его членам, которые непосредственно являются непосредственными выразителями субъектно -объектных отношений, т.е. подлежащему , прямому дополнению и косвенному дополнению .

I/Подлежащее.

В роли подлежащего , выполняя непосредственно

чаи семантической замены обоих компонентов фраз еологизма по типу синонимии : модная картинка- эскиз фасона /.

3/Существительное в именительном падеже+субстантивированное прилагательное в творительном падеже ":например : наличный расчет - оплата наличными .

4/существительное в именительном падеже+существительное в косвенном падеже с предлогом " , например , картонажные изделия - изделия из картона .

2.Синтаксические функции .

Перейдем далее к описанию синтаксических функций фразеологизмов данной модели ,т.е. способов их употребления в составе предложения в роли того или иного члена . По этому поводу Н.М.Шанский пишет :"Преимущественное употребление того или иного фразеологизма в функции именно этого , а не другого члена предложения целиком зависит от его отнесенности к определенной части речи , т. е. от его лексико грамматического значения ".I/

Присоединяясь в целом к этому высказыванию отметим , однако, что как в основе отнесения фразеологизма к той или иной части речи , так и в основе определения его синтаксической функции должны лежать причины общего порядка , истоки которых следует искать не в плане выражения , а в плане содержания , т. е. в семантике фразеологизмов'.

В этом аспекте значительный интерес представляют работы известного фразеолога В.П. Жукова , посвященные главным образом устойчивым сочетаниям предикативного типа , но затрагивающие также и общие вопросы семантики фразеологизмов различных структурных типов . 2/

В.П. Жуков считает , что синтаксическая функция устойчивых сочетаний в современном русском языке зависит в конечном счете от двух взаимоисключающих факторов - оценочного значения и лексико- грамматического значения предметности , понимаемого в самом широком смысле слова . При этом " с усилением оценоч-

-тракоротная волна -укв, командный пункт-кп.

5/с однословными терминами иноязычного происхождения , например , торфяной мох -сфагнум , т турецкий барабан -тулумбас.

II.Имени прилагательному : высшей /чистой / пробы -лучшее,не первой свежести - нечистый , несвежий , с большой буквы - достойный, с воробьиный нос /с гулькин нос / - маленький и т.д.

III. Наречию , с которым соотносятся фразеологические обороты как именительного /прямого/ , так и любого косвенного падежа , без предлога или с предлогом , в единственном или множественном числе , например : аредовы веки -долго -/им. п,/ , без задних ног - крепко /р.п. / к чертовой бабушке - прочь /д. п. / , на живую нитку -непрочно /в. п. / , голыми руками -легко /тв. п. / в ложном /свете - искаженно /п.п. /

2.Фразеологические обороты , эквивалентные свободному сочетанию

Значительную группу составляют устойчивые именные сочетания рассматриваемой модели , к которым неудается подобрать однословные эквиваленты . В системе языка им приблизительно соответствуют обычно свободные словосочетания следующих типов :

I/Прилагательное + существительное " , причем возможны случаи замены как одного зависимого компонента , так и обоих ,например , лошадиная доза -/очень / большая доза , библиографическая редкость - редкая книга."

2/"Существительное в именительном падеже + существительное в родительном падеже ", причем второй компонент фразеологизма становится первым компонентом свободного словосочетания а е вместо первого компонента фразеологизма - относительного прилагательного - употребляются в свободном сочетании в качестве его второго компонента то существительное , от которого образовано данное прилагательное или синонимичное е ему , например ,:бронзовый век - век бронзы , линейные меры - меры длины ./Возможны также слу-

и источники .

Эта мысль должна быть справедлива и применительно к учтойчивым словосочетаниям данной модели . Исследование материала показало , что слова , коррелирующие по значению с фразеологизмами подобного типа , с точки зрения их принадлежности к той или иной части речи могут быть отнесены к следующим частям речи : І/ к имени существительному , 2/к имени прилагательному 3/ к наречию . Приведем примеры устойчивых сочетаний , соответствующих этим типам

І.Имени существительному : Болотный газ -метан , винная ягода -инжир , домашняя работница - прислуга .

К этой же группе относятся фразеологизмы рассматриваемого типа , которые соотносятся : І/со сложными существительными , образованными от основ обоих компонентов словосочетания , причем в этих случаях используются две словообразовательные модели :

а/"усеченная или неусеченная основа первого компонента второй компонент целиком " , такие, как стенная газета -стенгазета , политическая экономия - политэкономия ,

б/" усеченная основа первого компонента усеченная основа второго компонента", например линейный корабль - линкор , диалектический материализм - диамат .

2/с субстантивированными прилагательными , являющимися зависимым компонентом . Здесь также возможны две словообразовательные модели :

а/ субстантивация прилагательного в исходной форме , например , отбивная котлета , подъемные деньги - подъемные ,

б/ субстантивация основы относительного прилагательного , т. е. использование существительного , от которого образовано данное прилагательное , в прямом или переносном значении , например сигнальный экземпляр - сигнал , мартеновская печь - мартен .

3/ с субстантивированным прилагательным , образованным по модели " корневая морфема морфема = суффикс -к- морфема = флексия -а- , например , зачетная книжка - зачетка , "комсомольская правда " - " комсомолка " ,

4/ с различными аббревиатурами , например , уль-

Али Абу Эль – Футох Ибрагим Эль-Шайх

СИНТАКСИЧЕСКИЕ СВОЙСТВА ФРАЗЕОЛОГИЧЕСКИХ ОБОРОТОВ МОДЕЛИ "ПРИЛАГАТЕЛЬНОЕ+СУЩЕСТВИТЕЛЬНОЕ" СОВРЕМЕННОГО РУССКОГО ЯЗЫКА.

Синтаксические функции фразеологических оборотов зависят , как известно , от того , слову какой части речи или словосочетанию какой модели они соответствуют . Поэтому , прежде чем перейти к описанию синтаксических особенностей фразеологизмов рассматриваемого нами типа , необходимо провести хотя бы приблизительное сопоставление устойчивых данных и их морфологических эквивалентов в свободном употреблении .

I. Нефразеологические эквиваленты

I. Фразеологические обороты , эквивалентные слову .

Соответствие устойчивого сочетания одному слову какой -то из частей речи или словосочетанию определяется , вероятно , тем , какими средствами современного русского языка может быть наиболее точно передано целостное понятие , выражаемое тем или иным фразеологизмом .

Как отмечает В.Н. Телия ,"большинство фразеологизмов - словосочетаний и некоторые типы фразеологизмов - выражений могут быть отнесены к той или иной части речи как целостные структуры и выступают в предложении в качестве его членов ." I/

I/В.Н.Телия . Что такое фразеология , стр. 29, см. также раздел "Фразеологизм и слово " в кн. : А.М.Бабкин . Русская фразеология ее развитие

формоййпрошедшего времени.

Следовательно, логично предположить, что пропуск местоимения в текстах, не допускающих эллипса подлежащего, связан с морфологическими особенностями, приписывающей действие непосредственно самому говорящему или собеседнику. Морфологические ———

I/Т.Г.Почтенная кад. диссерт.Определенно-личные предложения и неопределенно-личные в современном русском языке М.I958.стр.240

особенности формы позволяют говорящему по-разному представить себя, либо, так сказать, со стороны, либо представить себя как непосредственного деятеля. Например: "Еду., еду в чистом поле, колокольчик динь-динь -динь /Пушкин /.

В этом предложении я опущено, а опустить слово " колокольчик " нельзя. Пропуск местоимения Явсвязан с дополнительной стилистической нагрузкой:

Приведу пример: "Гляжу, гляжу на берег долго. Не расстается он со мной.

/Харитонова, Россия /

Особо должно быть отмечено такое употребление определенно-личных предложений, которое связано с формой первого лица и которое наблюдается довольно широко в научно-деловом и публицистических стилях. Форма первого лица ед., ч. без местоимения часто оказывается средством развития мысли, объединения в целом отдельных частей высказывания. Например: "Предполагаемая работа есть только начало осуществления предложенного плана."

Об общем методе скажу следущее. Ввиду известных действий кураре-и морфия на судодвигательную интервацию" /И.П.Павлов .т. I/

"Недавно в Париже был опубликован доклад" Международного комитета по изучению европейских проблем ", По сравнению с этим документом мне кажется невинным все злодеяния совершенные

A. E. YOUSSEF

Местоимения Я, мы , при ответе в отмеченных условиях также опускаются .

I/Ш.Б.Балли . Общая лингвистика и вопросы французского языка . М.1955,стр. 47-48. Например :Буксеев /ворчливо / :Благочестивый Вы человек . Не пьете , не курите. И в карты не играете ?

Богомолов . Не играю /М.Горький .Яков Богомолов и другие,д.I/

Васса...Вот Вам бы на это обратить внимание , статеечку в газете заказать . Найти человека , чтоб с газетчиками потолковал. Найдете такого?

Кроткин -/весело /Найдем. /М.Горький . Васса Железнова , акт I/.

От этих случаев , в которых употребление определенно-личных предложений не противопоставлено другим безподлежащим предложениям , нужно отличить употребление определенно-личных предложений ,которое связано с грамматической формой глагола.Форма дает исчерпывающее представление о субъекте действия. Поэтому при ней подлежащее и не называется. В диссертации , где рассматриваются определенно -личные предложения , обычно отмечается , что употребление определенно-личных предложений может наблюдаться там, где говорящему важно обратить внимание на действие. В связи с этим Т.Г.Почтенная пишет ,что благодаря употреблению определенно-личных предложений "писатель или вообще говорящий имеет возможность сосредоточить внимание читателей или слушателей на самом важном действии , подчеркнуть главное . " I/

Это действительно так . Но кроме того, о чем говорится выше , здесь важно отметить , что потребность подчеркнуть именно действие может возникать в тех случаях , когда оно обозначается любой формой , в том числе

ответ на вопрос предшествующей реплики .Однако приэтом оказывается существенной целевая направленность вопроса :он должен предполагать типы : да-нет.

По определению Балли ,эти вопросы являются полными модальными . "Вопрос может относиться либо к части диктума или ко всему диктуму . В уме имеется полное представление , но неизвестно , соответствует ли оно действительности , и поэтому требуется подтверждение , в вопрос сформулирован весь диктум , и ответом будут :
" Да,Нет". Возможны и их эквиваленты :
"Павел здесь ?"Как видим из этих примеров , все это форма вопроса , которую обычно называют полной .Но фактически это неполный вопрос , а всего лишь требование утверждения, диктум целиком фигурирует в вопросе , и вопрос имеет целью установить правильность или неправильность диктума. Это полный модальный вопрос 1/ .В ответных репликах в таких случаях подлежащее опускается . /Естественно , что речь идет только о вопросе , направленном на сказуемое/.

Приведу еще пример :

Лукерья ...Как царь -батюшка , еще царствует ?

Акафистов :царствует /Погодин ,Багряные облака , д/

Афакистов :Поезд дальше ."Ландышева"не пойдет . В России забастовка .

Костроми : Не пойдет ?

Афакистов : не пойдет /Там же/.

В разговорной речи подлежащее может опускаться не только при глагольных формах настоящего и будущего времени .

Например : При формах прошедшего времени .

Софья Марковна /с недоверием /Он сказал это ,да, сказал?

Захаровна ;Сказал /М.Горький . Старик .д.3/

Часто безместоименные /безподлежащные/ предложения пред-

I/Т.Г.Почтенная . канд. диссертация .Определенно-личные и неопределенно-личные предложения ; в современном русском языке.М. 1953.стр.217.

-ставляют собой такой повтор , при котором уточнение содержания сказуемого предшествующего предложения осуществляется не столько повторенной глагольной формой , сколько обстоятельственными и иными формами , с нею связанными , например :

"Она прачка , швея , ткачиха ,стряпуха, скотница ,нянька , огородница , она неустанно ,всю жизнь работает и дома и в поле. Работает всю жизнь , без отдыха , к тридцати годам. /М.Горький .Письмо работникам фабрики/.

Определенно-личные формы могут употребляться точно также . Например:Я пишу повесть- маленькую любовную историю . Пишу с удовольствием , находя приятность в самом процессе письма "./А.П.Чехов. Письма/.

"Где речь идет о срочной работе и о данном слове , там я не принимаю никаких оправданий .Не принимаю и не понимаю их/Там же/.

Лидия .-А там дверь открыть некому...

Фекла .-/уходя /Дверь открыть просто.

Богомолов .-Да, рассуждает .Все знаете, рассуждают .Мы работаем . Работаем и получаем за это возмездие , например ,в форме шахтинского процесса , понимаете /М.Горький. Сомов и другие/акт .I/.

Здесь обращает на себя внимание ,что отсутствие личного местоимения я и ты, мы и вы,являются частным случаем опущения подлежащего при условии его выражения в предшествующих предложениях .

По нашим наблюдениям особенно регулярно в диалоге употребляются безподлежащные предложения , в том числе и определенно-личные предложения . В диалоге подлежащее опускается, тогда когда реплика представляет собой прямой

мест в летописи становления дружественных отношений между нашими странами.

Твердо верим, что эта братская дружба и тесное многостороннее сотрудничество между Советским Союзом и Объединенной Арабской республикой будут постоянно крепнуть и развиваться на благо народов наших стран"./Правда,29 января 1968г./.

"Но Бетховен отрывает меня от маленьких моих болей. Я впадаю в состояние безумства и оживаю. Потом пробуждаюсь и снова умираю/в Верслев .Воспоминания /.

Подлежащее не называется в приведенных выше предложениях .Оно не повторяется во избежание тавтологии ,сами безподлежащные формы могут рассматриваться как присоединительные сказуемые ,находящиеся в одинаковом отношении к подлежащему.

Повторы очень часто безподлежащные формы, при которых пропуск подлежащего сопровождается дополнительными смысловыми связями, возникающими между глагольными формами, например :"По прочтении моего длинного письма напиши мне ,и тогда я опять напишу тебе немедленно. Вот уже третий день идет дождь. Не идет, а лупит "./А.П.Чехов.Письма /.

Здесь дело не только в том ,что глагольные формы мыслятся при одном подлежащем ,а в том ,что вторая./или вторые / относятся к подлежащему через первую. Повтор подлежащего в таких случаях неовзможен не потому ,что это привело бы к избыточности ,а прежде всего потому,что нарушил бы смысловую связь между глагольными формами.

Часто безместоименные предложения представляют собой такой повтор т.е. формы определенно-личные могут употребляться точно так же. Например :"Эх,думаю .Вот в чем дело. Она не прочь бы выдать за меня свою дочь, если я отшлифую себя. И взялся я за дело. Прислушиваюсь к господам, как они - когда в ладу -разговаривают между собой. /А.С. Новиков -Прибой /.

имений , по-видимому , преобладает или во-всяком случае равноправны с формами , осложненными местоимением "/стр. 455/

I/А.М.Пешковский . Русский синтаксис в научном освещении . Изд. 6-е 1933 , стр. 188.
2/Там же.

Наблюдения сделанные во многих случаях , оказываютсяянедостаточными .Они не охватывают и не объясняют все случаи пропуска личных местоимений . В статье излагаются некоторые наблюдения . Эти наблюдения сводятся к тому, что вразговорной речи есть такое употребление безместоименного , обусловленного особенностями диалога и его функционирования , и есть такое употребление ,которое может быть связано стем , что текст построен таким образом что подлежащее может опускаться независимо от грамматической формы глагола.

В связи с этим пропуск личного местоимения может быть связано с избыточностью подлежащего :Личное местоимение может не употребляться под влиянием ближайшего контекста. Оно опускается , т.к. было названо в соседних предложениях . О влиянии соседних предложений на отсутствие личного местоимения говориться в работах некоторых исследователей. Например , Т.Г.Почтенная при рассмотрении односоставных определенно-личных предложений пишет ,что употребление этих предложений может быть "связано со стилистическими задачами автора , который стремится избежать повторения того,что было названо в предыдущей речи ,т.е. упомянутое слово не повторяется в последующей речи ".

Приведу примеры :

"Я располагаю главные , научные данные , имеющие отношение к нашему предмету в четыре группы. К первой группе отношу сведения касательно влияния периферического конца П. /И.П. Павлов,т. I, стр. II7/.

"Мы с глубоким удовлетворением отмечаем, что это соглашение занимает одно из важных

При преподавании русского языка ,как иностранного , оказывается важно определить условия , в которых употребляются безместоименные глагольные формы I-2лица [1] .В данной статье ———————————————

I/В статье рассматриваются безместоименные глагольные формы I,2 лица , которые соотносятся с конкретным действующим лицом . Излагаются некоторые наблюдения над условиями , в которых регулярно употребляются определенно-личные предложения . Для нас важны те выводы , которые можно было бы использовать при преподавании русского языка как чужого.

Грамматические формы личной формы глаголов во многом объясняют этот пропуск особенностями самой глагольной формы: форма дает исчерпывающее представление о субъекте действия .Поэтому при ней подлежащее может и не называться . В работе А.М.Пешковского и В.В.Виноградова объясняется отсутствие личных местоимений . При описании синтаксиса языка ,А.М.Пешковский дал справки и об употреблении определенно-личных предложений т.е. об условиях пропуска личных местоимений .По его мнению отсутствие личных местоимений при личных глагольных формах придает речи "некоторую энергичность ,быстроту ". [1] Далее он отмечает , что при вставке личных местоимений "мы получаем речь более вялую , разжиженную , спокойную , но ничем не более ясную ".2/ В.В.Виноградов в своей книге "Русский язык ",Учпедгиз ,М.Л.,1947 отмечает , что"в стилях современного книжного языка формы настоящего времени 1-го и 2 -го лица в сочетании с личными местоимениями являются более нормальными и нейтральными ,чем соответствующие формы без личных местоимений . Сознательное намеренное устранение местоимений выражает разнообразные экспрессивные оттенки /стр. 454/,"Напротив,-пишет В.В.Виноградов ,-в обычной разговорной речи и в повествовательном стиле простые формы I-го и 2-го лица настоящего времени /без место-

Арафат Эльсаед Юсеф

Условия при которых регулярно употребляются определенно-личные предложения.

В современном русском языке безместоименные глагольные предложения употребляются довольно широко. Они встречаются в разговорной речи, в публицистике, в научно-деловой литературе, в различных жанрах художественной прозы, в письмах и мемуарах, в поэзии и языке газет.

Известно, что в русском языке могут употребляться паралельно с местоименными глагольными предложениями безместоименные глагольные предложения. При этом есть такие случаи, когда желательно без местоимений или с местоимениями. Например: безместоименные глагольные формы: "В связи с, Итак, никому не говори о моей покупке, а то боюсь, попадет в газеты и начнут говорить, что я купил имение за сто тысяч. В Кучков дом запру и возьму ключ с собой, сторож там не нужен. Глаголин. Ох попадет мне на орехи, за это вдохновение! Снял фуражку, вынул бумаги. Вот вся отчетность городского исполнительного комитета. В прочем, мы же копейки денег не истратили. А сидим на миллионах, полученных от жителей /Н.Погодин, Сотворение мира. д.3/

Местоименные глагольные формы:

"Но странно-мое отчаяние начинает укреплять меня. Я начинаю шагать смелее, и злобный укор кому-то за все, что я выношу, радует меня"./И.А.Бунин, Перевал/.
Павлов -не понимаю. Это ты шутишь.
Софья -Много ты, дружок, не понимаешь./М. Горький, Зыковы, д.2/.

moria; indefinite linee di simboli ondeggiando lo avvolgevano.» (IV; VII) Vocaboli come «indefinitamente», «lapideo» e tanti altri (le coste falcate, digradazione, melopee iterate, per non citare a caso che due pagine della parte IV, III) sono oggi respinti dagli scrittori che ricercano un'espressione più immediata, più naturale, del pensiero. D'altro lato, cercando di definire con una sola parola la prosa di Gabriele D'Annunzio, un solo aggettivo vienne allo spirito: sontuosa; come certi gioielli barbarici, sovraccarichi di gemme, splendenti di lampi di luce di mille colori, pieni di pendagli tintinnanti finemente cesellati, e nello stesso tempo di un disegno che può sembrare agli occhi dei posteri ingenuo e primitivo. Molte critiche sono state fatte alla sua opera in questi ultimi decenni. Ma dice il Flora : «... Quando l'arte si rifaccia troppo pumicea e scura, inviteremo a rileggere D'Annunzio per ritrovarvi quel senso di vitalità solare che da tante sue pagine si comunica e si sparge.»

E. C. GOMBOS

Questo fato si avvera dunque nelle ultime pagine del romanzo, in cui il protagonista è ormai staccato dalla vita, sopravvive soltanto per attuare il proposito di uccidere, uccidendosi, anche la donna che l'ha deluso, e che rappresentava un tempo per lui la sola speranza di salvezza. E conduce Ippolita sull'orlo di una scogliera che cade a picco nel mare. La scena è tutta pervasa dell'orribile impazienza di Giorgio :

«Perchè ti affretti? domandò Ippolita.
Giorgio rallentò il passo. Dominato da un solo pensiero, incalzato dalla necessità dell'atto, egli non aveva se non una confusa coscienza di tutto il resto. La sua vita interiore pareva disgregarsi, decomporsi, disciogliersi in una sorda fermentazione che invadeva pur gli strati più profondi risollevandone alla superficie frammenti informi, di natura diversa, irriconoscibili come se non appartenessero alla medesima vita ma vi fossero intrusi. Ed egli percepiva tutte quelle cose strane folte, agitate, pugnanti, vagamente come in un dormiveglia; mentre un punto solo del suo cervello aveva una straordinaria lucidità e lo guidava per una linea rigida all'atto finale.»

Siamo ormai nel campo della follia, un campo ancora pressocchè vergine all'epoca in cui il romanzo fu scritto, che tanto ha dato in seguito alla narrativa moderna, seppure con diverso effetto letterario e critico.

Gabriele d'Annunzio sentì quindi tutti i fermenti che covavano agli inizi del Novecento; li sentì con anima di poeta e di scrittore, benchè fosse talvolta impacciato nell'espressione da una sistematica ricerca di eleganza linguistica e stilistica che a noi oggi può sembrare pesante e ampollosa : «La vecchia non mutò espressione. Qualche cosa di grande, di terribile e d'indefinitamente soprannaturale emanava dalla sua vecchiezza solitaria all'ombra dell'olivo arido e quasi lapideo, il cui tronco bipartito pareva segnato dalla folgore del Cielo.» Si tratta di una vecchissima contadina, seduta all'ombra di un ulivo, intravista da Giorgio ed Ippolita che passano di là. Ma per D'Annunzio, l'immagine è ricca di significati letterari che non avrebbero neppure sfiorato la mente di un verista : «Vaghe parole, frammenti di incerte epopee lontane, gli si risvegliavano nella me-

fuso orrore : si sente la scena vissuta, sofferta, direi quasi : ed il suo realismo è distrutto dall'esagerazione stessa della realtà, diventa incubo, si avvicina più all'onirismo di un Kafka o a certi brani di Poe.

Verista, e bellissimo, può essere considerato l'episodio della morte del piccolo contadino che annega nel mare; tutta la scena è descritta con piana semplicità (V, VIII) con una commozione delicata e buona, assai rara nell'opera di D'Annunzio. Non manca però il tratto cinico : «Stava di fronte a lei (la madre del morticino, che piange accanto al cadavere del figlio), in ginocchio il fratello del morto, e singhiozzava senza dolore, di tratto in tratto, guardandosi intorno con un volto divenuto all'improvviso indifferente. Un altro fratello, il maggiore, stava seduto poco lontano all'ombra di un macigno; e simulava il lutto celando il volto tra le palme.»

Ma anche questo episodio di accorata tristezza finisce con diventare parte del conflitto psicologico che lentamente matura tra Giorgio e Ippolita : il dramma viene assorbito diversamente dai due, che lo sentono soprattutto attraverso le loro preoccupazioni egoistiche : lei con un'improvviso errore per quel mare dove andava spesso a fare il bagno, e per il quale ora sente «una repulsione istintiva, indomabile». Lui, con gli occhi pieni dell'immagine della madre stroncata dal dolore, pensa a sua madre, con un senso di insofferenza per la donna che lo tiene lontano dalla sua casa, e dagli affetti puliti e sinceri della famiglia.

Non manca nel romanzo uno degli elementi spesso presenti nell'arte decadente, l'arcano appello dell'oltretomba che ritorna come un ritornello attraverso le pagine del libro, e nello stesso tempo l'accenno ad una fatalità che pesa, tramite l'ereditarietà del sangue, sul destino di Giorgio. Questi era molto affezionato ad uno zio, del quale ammirava l'intelligenza ed il pensiero, la sensibilità artistica raffinata. Improvvisamente Demetrio si uccide, senza lasciar nessuna lettera, nessuna giustificazione del suo atto. E questo suicidio sembra mostrare a Giorgio il cammino. «Perchè si uccise? – L'interrogazione risorse per la millesima volta nello spirito del superstite.» «Aveva egli un segreto che gli divorava il cuore? o la crudele sagacità della sua mente gli rendeva insostenibile la vita? Egli portava dentro di se il suo fato, come io lo porto dentro di me.»

E l'uomo, imbevuto della sua «superiorità di razza» osserva dispettosamente i piedi di lei, «piedi plebei, segno di una razza impura». Ascolta accigliato il racconto che Ippolita fa di alcuni alterchi avvenuti tempo prima in casa sua, a Trastevere, a Roma, e pensa con disgusto a «certe piccole case borghesi della vecchia Roma emananti un lezzo di cucina e un tanfo di sagrestia, fermentanti di corruttela familiare e clericale», evoca con odio il volto della madre di lei «quella fronte di Furia, su cui si rialzavano i capelli grigi aridi e spessi; quegli occhi incavati sotto l'arco dei sopraccigli, oscuri, che rivelavano l'ardore fanatico della chiesastra e l'avarizia tenace della piccola borghese di Trastevere.»

Sotto la personalità di Giorgio Aurispa si sente trasparire quella di d'Annunzio stesso con il suo orrore fisico per tutto ciò che è brutto, banale, plebeo. Il popolo, i contadini che egli descrive e che formano alcune delle più belle pagine delle sue novelle e dei suoi romanzi sono visti con un occhio che fruga, cerca, si sofferma su tutte le brutture, le tare, le mostruosità fisiche o morali che esistono in una folla anonima, con una compiacenza, una specie di voluttà inorridita che sono ben lontane dalla serenità dei veristi : «... i cranii acuminati o depressi, calvi o lanuti, coperti di cicatrici o di escrescenze; gli occhi bianchicci e opachi come bolle di siero, gli occhi tristamente glauchi come quelli dei grossi rospi solitari; i nasi camusi, come schiacciati da un pugno, o adunchi come il becco dell'avvoltoio, o lunghi e carnosi come una proboscide, o quasi distrutti da una corrosione ... Le bocche sottili come tagli di rasoio, o aperte e flaccide come fichi sfatti, o rappresse nella loro vacuità come foglie brucciacchiate, o munite di denti formidabili come le zanne dei cinghiali; i labbri leporini, i gozzi, le scrofole, le risipole, le pustole: tutti gli orrori della carne umana passavano nella luce del sole davanti alla casa della Vergine.»

E più oltre leggiamo: «Il suo spirito ... viveva nell'orrore di un mondo sconosciuto al cospetto di un popolo senza nome, partecipando a un rito di origine oscurissima. I volti degli uomini e delle donne gli apparivano come in una visione di delirio, con l'impronta di un'umanità diversa dalla sua, formati di una materia diversa...»

La scena degli accattoni (Cap. IV, VII) che è una delle più potenti del romanzo, è descritta con un sentimento inconscio di con-

tazione sorda e profonda, un malessere incomprensibile, una sofferenza continua, ostinata, sottile. D'improvviso, una calda inondazione di pensieri rompeva il cerchio e fecondava l'aridità. L'anima entrava in un nuovo stato di pienezza espansiva, propizio ai sogni, agli errori, ai propositi. I vani sogni erano permanenti ed i propositi sempre mutevoli; e la felicità era sempre lontana.» (Trionfo della morte, III, IV). Essere mutevole, debole, in preda ai suoi istinti ed ai fantasmi di un'intelligenza superiore e sensibile, il protagonista del «Trionfo della Morte» ricorre dunque all'idea del suicidio ogni volta che sul suo cammino si trova a dover affrontare il dolore. «La necessità della morte gli stava sopra pur sempre con la stessa imminenza» (II, VIII) è scritto dopo un violento alterco che mette alle prese Giorgio con il padre, descritto come un essere incosciente e bestiale, avido di denaro per poter soddisfare alle esigenze di una sua amante. Giorgio cerca la felicità «nel possesso di un'altra creatura», Giorgio confonde felicità e ebrezza, Giorgio si compiace nella «pietà di sè». Vi è in lui un chè di femmineo, una mollezza rinunciataria, e non vi è da stupirsi se la sua donna finisce con l'intuire la superiorità che le conferisce il suo potere sensuale e ne approfitta per creare intorno a lui una specia di «prigione erotica» nella quale Giorgio si dibatte senza aver la forza di evaderne.

Il romanzo è la genesi di un lungo e sordo rancore, che culminerà con l'uccisione della donna ed il suicidio del protagonista. In cerca di una pace interiore che pure sa di non poter trovare, Giorgio conduce Ippolita in una campagna sulle rive dell'Adriatico, presso Ortona. Essi vivono in una casa colonica, semplice e rustica, e mentre Ippolita sembra trarre dal contatto con la natura una nuova forza, una nuova bellezza, Giorgio, minato dalla sensualità che ormai abborisce e che stringe sempre più il legame carnale che lo tiene avvinto alla donna, diventa la preda della sua idea fissa : ucciderla ed uccidersi. Ippolita diventa la «Nemica». Svanita è l'illusione di una comunione degli spiriti, di un affetto basato sulla comprensione reciproca, sulla comunanza di gusti artistici e di pensiero. Nei primi tempi del suo amore, Giorgio ha conferito alla donna amata delle qualità di intelletto e di sensibilità che essa non possiede ... ora non è più che un corpo, uno strumento di piacere che lo trascina sempre più in basso ... L'amore diventa un «vizio stanco».

te tutte le vele nell'uragano» E cioè vive seguendo l'impulso di passioni diverse e contraddittorie, dilaniato tra una spiritualità inquieta e raffinata d'intellettuale, e la sensualità insaziabile e gli istinti di gelosia trasmessigli dal sangue della sua gente. Una nave che corre nell'uragano con tutte le vele spiegate, quindi, senza il timone di una volontà virile per poterne dirigere la rotta. Fin dalle prime pagine del libro affiora in Giorgio l'ossessione della morte : una morte che è un po' scampo alla sua debolezza, un po' rifugio per una felicità intravista e mai ottenuta. Giorgio Aurispa, eroe decadente, è un essere al quale manca nel modo più totale la vitalità, il coraggio, l'energia che caratterizzano l'uomo della grandi epoche dell'umanità. In lui simili qualità sono appassite, sopravvivono più come idea (idea di un'aristocrazia di razza e di spirito), che come entità morali effettive. «Dove vive il Dominatore ... il dominatore forte e tirannico, franco dal giogo di ogni falsa moralità, sicuro nel sentimento della sua potenza, convinto che l'essenza della persona supera in valore tutti gli attributi accessori, determinato ad elevarsi sopra il Bene e sopra il Male per la pura energia del suo volere, capace pur di costringere la vita a mantenergli le sue promesse?» si chiede Giorgio Aurispa. E' evidente l'influsso della filosofia di Nietzche. Ma Giorgio non sa rispondere ... e cerca rifugio in se stesso, suggerendoci irresistibilmente la classica immagine della chiocciola. «Essendo vano ogni sforzo per escire dalla solitudine del proprio «io», bisogna a poco a poco rompere tutti quei vincoli che ancora ci legano alla vita comune ed evitare così l'inutile dispersione d'una quantità di energia preziosa. Ristretto per tal modo il cerchio della propria esistenza materiale, bisogna adoperarsi con tutte le forze a rendere, quanto più è possibile, vasto ed intenso il mondo interiore moltiplicandone all'infinito i fenomeni e conservandone l'equilibrio. Quando noi avremo conosciute e comprese tutte le leggi che governano i fenomeni, nessuna cosa della vita comune ci ferirà, ci turberà, ci stupirà. Noi vivremo in noi. Nessun spettacolo più notevole, nessun piacere più durevole ci offre la terra.» «Ma l'anima di Giorgio Aurispa, invece si affliggeva e si disperava del suo isolamento; e si dibatteva con mille furie cieche, come un prigioniero in un carcere chiuso per sempre, finchè cadeva estenuata. E allora si raccoglieva, si restringeva, si ripiegava su sè stessa come una gracile foglia. Nel cerchio angusto le inquietudini sopravvivevano egualmente acri e fermentavano, cagionando, una irri-

La vita stessa di Gabriele d'Annunzio, nato a Pescara nel 1863, morto a Gardone nel 1938, è il simbolo di quella raffinatezza, di quella sensualità, di quell'anticonvenzionalismo assoluto e audace che sono fra i tratti dominanti del decadentismo. Fino dall'adolescenza la personalità del poeta esplode, lampeggia, s'impone, soggioga : egli è il tipo perfetto dell'egocentrico geniale, conscio della sua superiorità intellettuale e artistica, sicuro di sè, pieno di disprezzo per tutto ciò o tutti coloro che possono sembrargli miseri, banali, volgari. E nello stesso tempo (noblesse oblige), pronto a pagare di persona, a mettere a repentaglio la vita per la difesa dell'idea.

Gabriele d'Annunzio fu grande poeta. Come prosatore la sua opera ha dato e darà ancora adito a discussioni e a critica, per quel chè di artefatto, di forzato che talvolta vi si nota; ma i personaggi dei suoi romanzi sono per diritto di nascita cittadini del mondo del decadentismo dell'anteguerra (1914-1918), di quella «belle époque» che tanti orrori maturava silenziosamente nel suo seno. E fra tutti i romanzi, uno, il «Trionfo della Morte» riassume in sè tutti i temi dell'opera dannunziana : il senso: trepido, solare, della natura e della terra; la raffintezza morbosa di un uomo alla ricerca di un'impossibile perfezione; una sensualità istintiva, direi quasi innocente, attraverso la quale appare talvolta un brulichio di preversioni.

Il «Trionfo della Morte» fu scritto nel 1893. D'Annunzio aveva trent'anni, era già celebre, le sue avventure amorose non si contavano più; si era battuto in duello ed era rimasto ferito; aveva già pubblicato, oltre a versi e romanzi, degli scritti in cui esprimeva la sua concezione eroica della Patria. Il romanzo insomma è di un'età tra la giovinezza, con l'ardore della sensualità sbrigliata ed una vulnerabilità di sentimenti che ricorda ancora l'adolescenza, e la maturità, foriera, nei decadentisti, di scetticismo e di sconforto. Il romanzo potrebbe essere definito, in parole povere, fine di un amore : esso narra infatti la lunga e tormentata genesi che trasforma l'amore sensuale in disgusto, stanchezza e odio. Ma questa definizione semplicista è assolutamente insufficiente per dare un'idea della complessità psicologica e letteraria dell'opera, condizionata dalla sensibilità esacerbata ed un po' folle del protagonista, Giorgio Aurispa, il quale vive «simile ad una nave che abbia spiega-

dottrine esoteriche, la psicanalisi, l'onirologia, lo studio del rapporto tra sesso e psiche preso come base del comportamento umano; nessuno di questi tentativi andrà perduto nella tematica della nuova letteratura mondiale.

A conclusione di questo fermento, un unico tema: quello della disperazione, che assumerà aspetti e sfumature diverse secondo le opere e gli autori ma che sarà presente ovunque, a comprovare l'immensa debolezza dell'uomo privatosi volontariamente del sostegno dei suoi miti.

Il naturalismo aveva a suo tempo messo in evidenza e condannato la miseria fisica e morale dell'umanità : ma lasciava a questa una possibilità di riscatto, sia mediante le risorse vive e volontarie presenti in ogni individuo, sia grazie ad un auspicato sconvolgimento sociale che avrebbe potuto ristabilire un'esistenza migliore. Ai decadenti invece l'idea di un riscatto, di una rinascita non si presenta affatto, oppure viene considerata come una velleità inutile, e talvolta persino da condannare : i decadenti si compiacciono del loro mondo in disfacimento, che dà loro un'aureola di ambigua aristocrazia intellettuale e artistica. Disperazione sterile, quindi, che troverà talvolta un compenso nell'affermazione eroica dell'individuo, e che nell'individuo stesso troverà la sua maggior fonte di ispirazione e di espressione. Per tutti questi motivi il decadentismo ci ha dato e continua darci delle opere schiette, profondamente umane e squisitamente liriche, ma di non facile approcio per coloro che non si siano daprima messi spiritualmente e moralmente in grado d'intenderle. E come sempre quando si tratta una materia palese ai soli iniziati, non sono mancati i ciarlatani che hanno approfittato della dabbenaggine umana per imporre al pubblico delle mistificazioni che solo con il passar del tempo potranno essere valutate come meritano : e ciò soprattutto nel campo della musica e della pittura. Il decadentismo è tutto un mondo, tutto un modo di vivere e di pensare ove serpeggiano, s'incrociano e si sovrappongono i sentimenti, le idee, le sofferenze, le illusioni dell'uomo moderno; e per citare Francesco Flora : «Si sono fatti questi cenni sulle influenze e le parentele riguardanti il decadentismo non per offrire il loro quadro ma uno stimolo alla varietà di ricerche e scoperte sulla natura di quel movimento.»

* * *

sentiti, nei quali serpeggia quella ribellione contro i valori stabiliti che è la caratteristica più costante e più valida di questo periodo.

Dal lato della forma il decadentismo ricercò il vocabolo prezioso, la musicalità delle sillabe, la risonanza evocatrice della frase. Questa ricerca è palese nel campo della poesia, soprattutto la poesia di Giovanni Pascoli e di Gabriele d'Annunzio. Ma esiste anche nel campo della prosa, dove i futuristi la porteranno al parossismo, al punto di preferire il suono del vocabolo al suo significato, oppure di trascrivere di sana pianta delle onomatopee nel tentativo di dare un certo rilievo sonoro alla pagina scritta.

Il Decadentismo fu un fenomeno europeo : irraggiò dalla Francia, con poeti come Rimbaud, Verlaine, Baudelaire; fu ripreso in Inghilterra da Oscar Wilde, Yeats e Poe; la Germania gli dette veste musicale con Wagner e filosofica con Nietzsche mentre nel campo letterario apparivano nomi quali Rilke e Mann; nella Spagna lo rappresentano Ruben Dario e Juan Ramon Jimenez. Il russo Dostoievski, invece, pur essendo caro al cuore di tutti i decadenti, reagì con la sua opera alla corrente europea; ma la sua influenza sulla narrativa ulteriore è una fra le più importanti di tutto il periodo fra le due guerre mondiali.

Erano impliciti nel Decadentismo europeo tutti quei sintomi che la storia ritrova nei periodi che segnano il disfacimento delle società. Una civiltà giunta al culmine, che regala ai suoi figli una vita troppo facile, scevra di scopi e di ideali, porta con sè i germi della sua fine : il lusso, gli ozi voluttuari, il disprezzo dei principi stessi sui quali tale società si è formata nel corso dei secoli, una ricerca sistematica di raffinatezza e di preziosità, (per dare un esempio pratico ricordiamo le lingue d'uccello o i bagni di latte d'asina tanto apprezzati dai Romani dell'Impero), un atteggiamento sprezzante verso i comuni mortali che porta inevitabilmente al mito del superuomo, e nello stesso tempo un'insoddisfazione crescente, un irrequietezza continua, un senso di inutilità di tutto e di tutti che conducono ad un'introspezione sempre più accurata dei «nodi di vipere» che si annidano nell'animo dell'uomo. La sensibiltà degli «eletti» si esaspera. Non accontentandosi più di ciò che offre loro il mondo reale, il loro spirito spazia nel mondo dell'inconoscibile o dell'inconscio, mediante tentativi quali lo spiritismo, lo studio delle

messi da secoli (dal Rinascimento per essere precisi), e che va in cerca di un'espressione propria, contraddittoria, talvolta persino polemica.

Il Novecento è insomma un grande anelito verso la libertà : libertà di tema, libertà di espressione, libertà di giudizi e di scelta. Gli artisti provano per la prima volta il piacere di negare ciò che si era sempre affermato in nome dell'arte. Non si rispetta più nulla: religione, ragione, storia, morale, consuetudini di vita, tutto viene negato e combattuto in nome di una sincerità maggiore e di una maggiore immediatezza dell'espressione artistica. In letteratura abbiamo l'estremo romanticismo, il parnassianesimo, il simbolismo, il futurismo, l'ermetismo, per non citare che le correnti più celebri. In arte appaiono il preraffaellismo, il neoprimitivismo, il cubismo, l'espressionismo e così via, fino all'astrattismo figurativo ed il non figurativismo recenti. La filosofia denuncia a sua volta il misticismo ateo, l'irrazionalismo, il determinismo dell'economia di classe o del razzismo, o della psicanalisi. Basti ciò per comprendere che uno studio completo del pensiero del nostro secolo richiederebbe tempo e mezzi che non abbiamo. Ma come abbiamo detto, non è necessario un pesante bagaglio di definizioni per apprezzare giustamente dei capolavori che sembrano segnare, come pietre miliari, la strada percorsa in un determinato campo. Ed in questo periodo confuso, che può essere definito «crisi di trapasso tra il passato e l'avvenire» e al quali i critici danno il nome generico di «Decadentismo» emergono, nel campo del romanzo italiano, i nomi di d'Annunzio, Fogazzaro, Pirandello. Tre nomi, tre stili, tre pensieri, tre caratteri completamente diversi, che hanno dato alla nostra letteratura opere che segnano tre momenti diversi ed importantissimi della sua evoluzione.

Il Decadentismo viene definito da Francesco Flora : «reazione al naturalismo ed estrema manifestazione del romanticismo.» Gli scrittori decadenti sono fieri di tale decadenza, che si esprime tramite immagini evocanti una raffinatezza, un lusso, una sensualità e delle complicazioni psicologiche ignorate dai veristi; e se pure furono talvolta descritte da altri autori, in Francia o altrove, non fecero mai parte del carattere stesso dello scrittore. Il decadente, invece, vive la sua arte : i tormenti e le crisi di coscienza, la sensualità, la psicologia tortuosa dei suoi personaggi sono elementi vissuti,

EVA CATERINA GOMBOS

IL TRIONFO DELLA MORTE

Il decadentismo italiano in un'opera di Gabriele d'Annunzio.

Gli inizi del nostro secolo furono caratterizzati, dal punto di vista del pensiero e dell'evoluzione sociale, dai primi accenni di quei rivolgimenti, cambiamenti e sovvertimenti continui e talvolta radicali di cui siamo spettatori ancor oggi. Lo sviluppo rapido e considerevole della tecnica, che ha abolito le distanze, i progressi della scienza che hanno sfatato gli ultimi miti ai quali credesse ancora il popolo, l'apparizione dei principi sociali di Marx e di Engels, che hanno trasformato totalmente l'ottica con la quale vengono oggi esaminati i diritti ed i doveri rispettivi del capitale e del proletariato, i lavori di Freud che, opponendosi al puritanesimo dell'ottocento vittoriano, sono venuti a gettare luce sui secolari tabù del sesso ... tutti questi fattori nuovi, immessi bruscamente nella vita di tutti i giorni delle masse, vi crearono a suo tempo delle reazioni contraddittorie e violente, che per una serie di contraccolpi successivi vennero a turbare e talvolta a sconvolgere tutti gli aspetti delle attività umane.

Il mondo letterario, espressione appunto del lato più sensibile di tali attività, fu uno dei primi a manifestare i segni di tale perturbamento. E se fino agli ultimi anni dell'ottocento lo studio delle correnti letterarie fu cosa relativamente facile, dagli inizi del secolo e per tutto il periodo che giunge ai giorni nostri esso si complica in modo tale, da rendere quasi impossibile l'opera di chi volesse cercare un nesso d'analogia fra le varie tendenze letterarie mondiali. Questo è comunque lavoro di critici, necessario per una valutazione, una cernita, e talvolta anche per segnalare al pubblico tale o tal'altra opera, ma non certo indispensabile per apprezzare pienamente un capolavoro. Quindi i vari termini con i quali si prese a definire la produzione artistica della fine dell'ottocento e del novecento non sono che il riconoscimento implicito di un sempre maggiore individualismo artistico, che non riconosce più i criteri am-

dersetzung um das Heilige Land über Syrien oder Ägypten in die europäische Dichtung eindrang und einen Höhepunkt in «Erec» erreichte.

Für die einzelnen Züge eines guten Pferdes müßte man das entsprechende Kapitel in den bekannten Anthologien und Lehrbüchern der Dichtkunst zu Hilfe nehmen. Wir haben bereits auf Abd Rabihis Werk as Beispiel hingewiesen, und wir haben uns für einen weiteren Beitrag vorgenommen, das arabische Material in diesem Sinn zu erforschen.

* * *

Weitere Veröffentlichungen des Verfassers :

Übertragungen ins Arabische: Hartmann von Aue: Der arme Heinrich; Goethe: Die Laune des Verliebten, Die Mitschuldigen, Urfaust, Götz von Berlichingen; Lessing: Minna von Barnhelm; Heinrich v. Kleist: Der Prinz von Homburg, Der zerbrochene Krug; Franz Kafka: Das Schloß, Der Prozeß, Das Urteil; Hermann Hesse: Das Glasperlenspiel, Peter Camenzind; Friedrich Dürrenmatt: Der Besuch der alten Dame, Der Meteor; Peter Handke: Hilferufe; Max Frisch: Biographie; Gisela Elsner: Die Riesenzwerge; Kurzgeschichten von: Heinrich Böll, Hans Erich Nossack, Ilse Aichinger, Klaus Nonnemann, Heinz Risse, Josef-Martin Bauer, Herbert Heckmann, Ingeborg Bachmann, Kurt Kusenberg, Rolf Schrörs, Johannes Bobrowski.

Abandlungen über : Deutsche Heldenlieder und-sagen — Das Nibelungenlied — Tristan und Isolde — Deutsche Volkslieder — Märchen der Brüder Grimm — Goethe — Schiller — Kleist — Lessing — Hauptmann — Kafka — Hesse — Benn — Graß – Borchert – Enzensberger.

Monographien : Schiller, Leben und Werk — Der dt. Roman im XX. Jahrh. — Eine Artikelreihe (deutsch) über den modernen ägyptischen Roman (Zeitschrift «Armant», Hefte 1 - 8).

M. MAHER

Unermüdlich drängt er immer fort wie der Regen, der zu keinem Ende kommt, wenn andere Pferde ermüden und mit den Hufen sogar auf trockener, fester Erde Staub aufwirbeln.
Der leichte junge Mann stürzt und kann sich auf seinem Rücken nicht halten; auch dem schweren, wuchtigen Reiter erschwert er das Reiten, indem er seine Gewänder ihn umschlingen läßt. Seine Geschwindigkeit ähnelt der des Kreisels, den der Knabe mit langer, mehrfach geknoteter Schnur zu dröhnendem Drehen bringt.

Er hat Lenden wie die der Gazelle, Beine wie die des Strauß'. Er läuft behende wie der Wolf und rennt wie ein junger Fuchs. Seine Brust ist stark und breit. Sein Schweif ist voll — sieht man ihn von hinten, füllt der Schweif die Lücke zwischen den Hinterbeinen; der Schweif ist lang aber reicht nicht bis zur Erde. Er ist nicht krumm.

Wenn er ohne Sattel am Zelt steht, sieht sein glatter Rücken aus wie der glatte Stein, auf dem die Braut ihre Dufstoffe feinmalt oder wie der, auf dem Koloquinte zerkleinert wird.
Das Blut der schnellen Jagdtiere, die er eingeholt hat, wirkt auf seinem Hals wie der Extrakt der Henna auf einem weißen, feingekämmten Bart.

Wenn wir diese Pferdebeschreibung des arabischen Dichters aus dem 6. Jahrhundert der entsprechenden in «Erec» gegenüberstellen, denken wir nicht unbedingt an einen direkten Einfluß : Belege würden uns fehlen. Beide Stellen geben jedoch Anlaß zu fruchtbaren Vergleichen, wobei wir wiederholt unsere willkürliche Wahl, also solche hervorheben, die hauptsächlich auf dem alten Entstehungsdatum der Moallaka beruht. Die einzelnen gemeinsamen Züge, die ein einfaches Vergleichsverfahren hervorzuheben hätte, interessieren uns nur an zweiter Stelle. Grundlegende Bedeutung fällt der Tatsacche zu, daß ein Dichter auf die Idee kommt, ein Pferd ausführlich mit wertschätzenden, bewundernden Wendungen zu beschreiben und es in der Form zu einem Motiv der Dichtung gedeihen läßt. Wir glauben, daß wir nicht fehlgehen, wenn wir annehmen, daß das Pferdemotiv in «Erec» auf orientalischen Einfluß zurückgeht, der wie viele andere über Spanien und Südfrankreich oder während der langen Auseinan-

denen Pferde beschrieben werden und von Pferden die Rede ist. In keiner Sammlung arabischer Dichtungen — besonders der frühen Zeit — fehlte ein Kapitel über das Pferd. Wir erwähnen, um ein Beispiel anzuführen, eine dieser Sammlungen: «Al-'iqd-el-farîd» von dem Andalusier Ibn 'Abd-Rabbih aus dem 8. Jahrhundert — ein Kapitel über das Pferd in Bd. I, Kairoer Ausgabe 1940.

Daß der Bedeutung des Pferdes im Leben des Arabers eine nicht minder große Bedeutung in der Bildung der arabischen Sprache und der Poesie entspricht, ist den Forschern sehr früh aufgefallen. Wir lesen beispielsweise in Goethes «Noten und Abhandlungen zu besserem Verständnis des West-östlichen Divans» unter «Orientalischer Poesie Urelemente» :[15]

«In der arabischen Sprache wird man wenig Stamm-und Wurzelworte finden, die, wo nicht unmittelbar, doch mittelst geringer An- und Umbildung sich nicht auf Kamel, Pferd und Schaf bezögen. Diesen allerersten Natur- und Lebensausdruck dürfen wir nicht einmal tropisch nennen. Alles, was der Mensch natürlich frei ausspricht, sind Lebensbezüge; nun ist der Araber mit Kamel und Pferd so innig verwandt als Leib mit Seele, ihm kann nichts begegnen, was nicht auch diese Geschöpfe zugleich ergriffe und ihr Wesen und Wirken mit dem seinigen lebendig verbände.»

Sehr bekannt ist in der arabischen Literatur die Pferdebeschreibung in Amralkais langem «Moallaka» genannten Gedicht. Der vorislamische Dichter (geb. 500, gest. 540 n. Chr.) drückt sich so aus:

> «Sehr früh, vor Anbruch des Tages, während die Vögel noch in ihren Nestern ruhen, reite ich auf einem hohen, kurzhaarigen Pferd, das so schnell ist, daß ihm die schnellsten wilden Tiere nicht entweichen.
> Gleich gewandt ist es im Vorwärtsziehen und Rückwärtsdrängen und ungestüm wie ein Felsblock, den die Wolkenbrüche den Hang hinunterstürzen.
> Ein Hengst ist es, von dessen glattem Rücken der Sattel rutscht wie der polierte Stein im Sturzbach.
> Schlank ist er, dröhnend wenn er im Galopp wütend wiehert, hört es sich an, als koche Wasser in einem Kessel.

---

15) Goethes Werke, Hamburger Ausgabe, Band II.

Über die Herkunft des Tieres wird berichtet, daß es keins der üblichen Rosse ist, die es in Deutschland gibt.

Wie angenehm das Pferd zu reiten ist, erzählt Hartmann auch. Man hat das Gefühl, daß man schwebt, wenn man darauf reitet.

«swer dar ûfe gesaz,
zewâre sage ich iu daz,
daz er dar ûfe lebete
rehte sam er swebete.»

Damit ist der wirklickeitsnahe Teil der Beschreibung, mit dem wir uns hier beschäftigen wollen, beendet. Über den phantastischen Teil werden wir später sprechen.

Dem Pferd fällt eine erstrangige Bedeutung für den Araber zu, der in der Wüste lebte. Für ihn bedeutet das edle Tier Kraft, Geschwindigkeit, aber auch hohes Ansehen und Stolz. Darüber schreibt ein Autor des vorigen Jahrhunderts :

«L'Arabe aime son cheval, l'associé de sa vie errante, de sa gloire et de ses misères. Il conserve aussi précieusement que la sienne la généalogie de ce coursier ardent et vigoureux. «Qu'on sache, dit un poete, qu'en temps de disette je partage avec lui mon repas, et que je le couvre de mon manteau quand il gèle.» L'Arabe élève son cheval avec ses enfants, et avec non moins de soin; il lui parle, il l'aime comme sa femme, comme son palmier natal; s'il vient à mourir, il le pleure comme un ami fidèle. Son extrême affection est exprimée dans cette phrase proverbiale en Arabie: «Va laver les pieds de ta monture, et bois l'eau ensuite!»[14]

Der Araber hatte in der Ruhe der Wüste Gelegenheit genug, das Pferd genau zu betrachten und eine ganze Wissenschaft über Wert, Rasse und Zucht des Pferdes zu entwickeln. Das arabische Wörterbuch enthält eine auffallend lange Reihe von Wörtern, die alle Körperteile, alle Eigenschaften und Nuancen sowie alle Bewegungs- und Verhaltensarten des Pferdes bezeichnen. Alle diese Wörter sind den alten überlieferten meist literarischen Texten entnommen, in

---

14) Les Arabes, Origine, Mœurs, Religion, Conquêtes, par M.T. Bachelet, Rouen 1882, S. 19.

weder ze grôz noch ze kranc.
sîn dürre houbet ez truoc
nâch sînem rehte hôch genuoc,
Mit ragenden ôren niht lanc.
....
sîn kel dic und ûf gezogen,
ze rehter mâze gebogen,
kleine dâ si anz houbet giè :
geschaffen dort unde hie
daz es iuch wol möhte lüsten:
starc und wît zen brüsten:
mit dürrem gebeine,
ze grôz noch ze kleine:
diu wâren vlach unde sleht,
als einem tiere ûfreht.
ez hâte, sît ichz loben muoz,
kurzen vezzel, hôhen vuoz:
die wâren ouch ze rehte gar,
alle swarz gelîche var.
und enwischetez nimmer kneht,
sô wærez doch schœne und sleht.»

(7340 - 7365)

Das Pferd ist also wohlgestaltet, schön proportioniert: es hat die richtige Höhe (weder zu niedrig noch zu hoch), die richtige Länge (weder zu dick noch zu dünn). Der Kopf ist, wie es dem edlen Pferd eigen ist, klein und wird hoch gehalten. Im Gegensatz zum Esel hat das edle Pferd kleine, hochstehende Ohren. Der Hals ist kräftig und bildet eine schöne gebogene Linie. Die Brust ist stark und breit. Die Beine sind dünn aber stark. Obwohl bereits gesagt wurde, daβ das Pferd weder hoch noch niedrig ist, wird die Form der Beine nochmals angegeben «ze groz noch ze kleine» und «vlach unde sleht». Der Dichter geht in seiner Genauigkeit soweit, daβ er Fessel und Huf beschreibt:

«kurzen vezzel, hôhen zuoz.»

Zusammengefaβt heiβt es: «ein phert schoene und volle guot». Die Schönheit lädt zur langen Betrachtung ein, für die vornehmlich Kenner in Frage kommen.

kōmen in ze helfe dar gehurt.
in Larkant ûf einem furt
Franzoyser wâren niune dô,
und wol ze sehen ein ander vrô.
der strît dedêch widr ûf den plân :
dâ wart ez von in guot getân.»[11]

Ähnlich ist die Bezeichnung «de Sulie» (=aus Syrien). Daher kommt das Reittier, wie wir in dem epischen Werk von Aymeri de Narbonne[12] lesen:

«Dessozlui ot un mulet de Sulie»
(Vers 130)

Das Wort «mulet», was eigentlich Maultier bedeutet, dürfte wohl nicht in dem Sinn genommen werden, Eigentlich ist Pferd gemeint, wie wir weiter unten lesen. Die Rede ist von der «grant chevalerie».

Ausführlich werden die edlen Pferde in Hartmanns «Erec»[13] beschrieben. Der junge Ritter beschaffte sich fünf Pferde aus Spanien. Dabei half ihm, wie der Dichter berichtet, Artus selbst, was darauf hinweist, daß es sich um «etwas ganz Besonderes» handelt:

«dar zuo Erec der junge man
mit Artûses helfe gewan,
des küneges von Britanje,
vünf ros von Spanje»

Eine einmalige Beschreibung von Pferd und Pferdeausrüstung von fast 500 Zeilen haben wir in «Erec» (7286 - 7766). Wie wir erwarten dürfen, beginnt die Beschreibung mit wahren Ansätzen und zieht sich nach und nach ins Imaginäre.

«ez was erwünschet alsô:
weder ze nider noch ze hô,
weder ze kurz noch ze lanc,

11) Wolfram von Eschenbach, Willehalm, op. cit., S. 442.
12) Aymeri de Narbonne, hrsg. von M.L. Demaison, Paris 1887.
13) Hartmann v. Aue, Erec, hrsg. v. Albert Leitzmann, Tübingen, 1957, 2324—2327.

En cest pais avez estet asez;
En France, ad Ais, devez bien repairer.
La vos sivrat, co dit, mis avoez.» (136)

Zur Pracht des Orients gehörte nämlich eine Reihe von Tieren und Vögeln : Kamele, Bären, Pferde, Elefanten, Falken, die vereinzelt erwähnt oder zusammen aufgezählt werden.

Einhard,[9] der die Geschenke Harun ar-Raschîds an Karl den Großen mit sparsamen Worten erwähnt, nennt doch «Stoffe», «Parfums», «Schätze» und vergißt den Elefanten nicht, um den Karl gebeten hatte:

> «et revertentibus legatis suos adiungens inter vestes et aromata et ceteras orientalium terrarum opes ingentia illi dona direxit, cum ei ante paucos annos eum, quem tunc solum habebat, roganti mitteret elefantum.»

Das arabische Pferd muß die Aufmerksamkeit der Dichter auf sich gezogen haben, die zugleich Ritter waren und den Wert des edlen Tieres schätzen konnten. Es wird des öfteren knapp beschrieben. Wolfram begnügt sich in «Titurel» mit dem Beiwort «schön».[10]

«Fünf schoeniu orș und goldes vil, von Azagouc gesteine
im volget ûf die vart, sîn schilt ander schilte gar eine.
durch daz solte ein schilt gesellen kiesen, daz im ein ander
(schilt) heiles wünschte, ob dirre schlit kunde niesen.»

Die Bezeichnung «türkisch» kommt auch vor:

«Vivîans der wîse
ein türkisch ors im brâhte.
mir ist liep daz ers gedâhte,
wand im nie orses dürfter wart.
Kyblîn und Witschart

9) Finhard, Vita Karoli Magni, Das Leben Kalrs des Grossen, Reclam, Stuttgart 1969.

10) Wolfram von Eschenbach, Titurel, op. cit. S. 402.

do den gesach vrou Prünhilt, weinen si began.
daz muose vreischen Gunther und alle Burgonden man.»
(850)

In «Parzival»[7] lesen wir, wie sich Gahmuret aufmachte, als er in den Dienst des Baruc eintrat:

«der hêrre pflac mit gernden siten
ûf sîne kovertiure gesniten
anker lieht hermîn:
dâ nâch muos ouch daz ander sîn,
ûfme schilt und an der wât.
noch grüener denne ein smârât
was gerprüevet sîn gereite gar,
und nâch dem achmardî var.
daz ist ein sîdîn lachen:
dar ûz hiez er im machen
wâpenroc und kursît:
ez ist bezzer denne der samît.
hermîn anker drûf genæt,
guildîniu seil dran gedræt.»

In der «Chanson de Roland»[8] werden die Gaben des Königs Marsilie an Karl den Großen aufgezählt:

«Blancandrins ad tut premereins parled (122)
E dist al rei : «Salvet seiez de Deu,
Le Glorius, que devuns aürer!
Ico vus mandet reis Marsilies, li bers:
Enquis ad mult la lei de salvetet.
De sun aveir vos voelt asez duner,
Urs e leuns e veltres enchaignez,
Set cenz cameilz e mil hosturs muez,
D'or e d'argent. IIII. cenz mulz trussez,
Cinquante care que carier en ferez;
Tant i avrat de besanz esmerez
Dunt bien purrez voz soldeiers luer.

7) Wolfram von Eschenbach, Parzival, op. cit. S. 14/15
8) La Chanson de Roland, hrsg. v. Joseph Bédier, Paris.

pféllel daróbe lâgen swarz alsam ein kol,
daz noch snellen helden stüende in hôhgezîten wol.

Uz árâbîschem golde vil gesteines scein.
der frouwen unmuoze diu newas niht klein:
inre siben wochen bereiten si diu kleit.
dô was ouch ir gewæsen den guoten réckén bereit.»

(362)

«Ein wâfenhemde sîdîn dáz leit' án diu meit,
daz in deheinem strîte wâfen nie versneit,
von pfellel ûzer Lybîâ. ez was vil wol getân.
von porten lieht gewürhte daz sach man schînén dar an.»

(429)

«Vernemt noch von ir wæete : der hete si genuoc.
von Azagouc der sîden einen wâfenroc si truoc,
edel unde rîche; ab des varwe schein
von der küneginne vil manic hêrlîcher stein.»

(439)

«Si truogen rîche pfellel, die besten die man vant,
vor den vremden recken, sô manic guot gewant,
daz ir genuoge schoene ze rehte wol gezam.
er wære in swachem muote, der ir deheiner wære gram.

Von zobel unt von harme vil kleider man dâ vant.
dâ wart vil wol gezieret manic arm unt hant
mit bougen ob den sîden, di si dâ solden tragen.
in enkúnde diz vilîzen ze ende niemén gesagen.

Vil manigen gürtel spæhen, rích únde lanc,
über liehtiu kleider vil manic hant dô swanc
ûf edel röcke ferrans von pfelle ûz Arabî.
den edeln juncvrouwen was vil hôher freuden bî.»

(574-576)

«Von Ninnivê der sîden si den porten truoc,
mit edelem gesteine. jâ was er guot genuoc.

«Li reis Marsilie la tient, ki Deu nen aimet.
Mahumet sert e Apollin recleimet:
Nes poet guarder que mals ne l'i ateignet.»
(7 - 9*)

So ist es also ein Mann, der nicht an Gott glaubt, sondern an Muhamad:

«Li reis Marsilie i fist mult que traitre.»
(201)

Er ist ein Verräter, ein Listiger, ein Betrüger und desgleichen mehr.

Der Orient ist eine Quelle des Reichtums, der Pracht. Gold, Silber, Edelsteine, Samt, Seide, Felle kommen aus dem Orient. Die Ortsnamen werden oft angeführt, damit die Wirkung von Reichtum und Pracht gestärkt wird. Im Nibelungenlied[6] kommen z.B. Arâbîn, Azagonc, Lybîâ, Marroch, Ninnîvê und Zazamanc vor:

«Die árâbîschen sîden wîz alsô der snê
unt von Zàzamanc der guoten grüen' alsam der klê,
dar in si leiten steine; des wurden guotiu kleit.
selbe sneit si Kriemhilt, diu vil hêrlîche meit.»

Von vremder visce hiuten bezóc wól getân
ze sehene vremde'n liuten, swaz man der gewan,
die dahten si mit sîden, sô si si solden tragen.
nu hœret michel wunder von der liehten wæte sagen.

Von Márroch ûz dem lande und ouch von Lybîân
die aller besten sîden die ie mêr gewan
deheines küneges künne, der heten si genuoc.
wol lie daz scînen Kriemhilt daz si in holden willen truoc.

Sît si der hôhen verte heten nu gegert,
hârmîne vederen di dûhten si únwért.

* Siehe Fußnote Nr. 8.
6) Das Nibelungenlied, hrsg. v. H. de Boor, Wiesbaden 1961.

rois Haste von Alligues
vrâgt den marcrâven des,
waz er wolde an sînen wec.
rois Embrons von Alimec.
rois Joswê von Alahôz.»

Oft handelt es sich um allgemeine Angaben, denen die geographische Lage der gemeinten Länder kaum abzulesen wäre. Es kommt aber vor, daß der Dichter Gelehrsamkeit oder Orienterfahrungen einflicht und sich genauer ausdrückt. Hartmann weiß z.B., daß Conne (die mittelanatolische Stadt Konja) zwar unter islamischen Herrschern steht, doch nicht zur arabischen Welt (heiden) gehört, und daß sie auf dem Weg zwischen Griechenland und der Levante liegt.

«des landes phliget der soldân,
wan ez ist im undertân:
ez ist lanc unde wît.
Conne beslozzen lît
den Kriechen und den heiden.»
zwischen den landen beiden.»

(Erec 2004 - 2009)

Mit der geographischen Größe geht die Größe der Macht parallel. Das Kalifenreich ist das größte der Erde, und der Kalif[5] ist auch der mächtigste Herrscher. Seine Macht ist so groß, daß sich viele Könige geehrt fühlen, in seinen Diensten zu stehen.

Das überaus positive Kalifenbild, das Wolfram malt, kommt nicht häufig in den Dichtungen eines Zeitalters vor, das durch die «Reconquista» und die Kreuzzüge geprägt ist. Oft fügen die Dichter einige negative Züge hinzu, um die leuchtenden Farben zu dämpfen. Besonders klare Beispiele dafür finden wir in der «Chanson de Roland». Hier heißt es über «Marsilie», den islamischen Herrscher in Spanien:

---

5) Das Wort «Soldan» kommt auch vor (Erec 2004).

(daz was al ir vordern ê) :
si tâten wer mit kreften schîn. [3]

Wenn sich der edle Gahmuret weigert, in der Gefolgschaft eines anderen Königs zu sein, nimmt er den muslimischen Kalifen aus, der über das gröβte Reich der Erde herrschte. Dem mächtigen Kalifen in Baldac (wohl Bagdad), den man «bâruc» (wohl «farûq», Ehrenname des 2. Kalifen Omar) ehrend nennt, steht er gern zu Diensten. Mit vielen Orstnamen wird die Gröβe des Kalifenreiches bekräftigt : Baldac, Ninivê, Marroch, Persîâ, Dâmasc, Hâlap, Arâbîe, Alaxandrie.

In Willehalm[4] erstreckt sich der Orient bis Indien.

«sîn klage mit jâmer wart bekant
unz an die ûzern Indîâ.»

Sogar weiter :

«Ich wil die künege nennen gar.
rois Mattahel von Tafar.
rois Gastablê von Comîs.
dô sah der marcrâve wîs,
der strît wolt in dâ niht vergên.
rois Tampastê von Tabrastên.
rois Goriax von Cordubin:
der truoc manheit unde sin.
rois Haukanus von Nubîâ
streit ouch vil manlîche dâ.
Oursaus von Barberîe,
von untât der frîe.
rois Bûr von Siglimessâ,
und rois Corsublê von Dannjatâ.
rois Corsudê von Saygastîn :
wênic was dâ sîn gewin.
rois Vrabel von Corâsen:
des helm enpfienc dâ mâsen.

---

3) Karl Lachmann, Wolfram von Eschenbach, Parzival, Berlin und Leipzing 1926, S. 18/19.

4) Karl Lachmann, Willehalm, Berlin und Leipzig 1926.

Für die Größe bot der Orient mancherlei Motive. Zunächst die geographische Größe. Für Wolfram von Eschenbach bildet das islamische Reich zwei Drittel der Erde. In «Parzival» lesen wir:

«Gahmuret der site plac,
den rehtiu mâze widerwac,
und ander schanze enkeine.
sîn rüemen daz was kleine,
grôz êre er lîdenlîchen leit,
der lôse wille in gar vermeit.
doch wânde der gefüege,
daz niemen krône trüege,
künec, keiser, keiserîn,
des messenîe er wolde sîn,
wan eines der die hoehsten hant
trüege ûf erde übr elliu lant.
der wille in sînem herzen lac.
im wart gesagt, ze Baldac
waere ein sô gewaltic man,
daz im der erde untertân
diu zwei teil waeren oder mêr.
sîn name heidensch was sô hêr
daz man in hiez den bâruc.
er hete an krefte alsolhen zuc,
vil künege wâren sîne man,
mit krôntem lîbe undertân.
dez bâruc-ambet hiute stêt.
seht wie man kristen ê begêt
ze Rôme, als uns der touf vergiht.
heidensch orden man dort siht :
ze Baldac nement se ir bâbestreht
(daz dunket se âne krümbe sleht),
der bâruc in für sünde
gît wandels urkünde.

Zwên bruoder von Babilòn,
Pompeius und Ipomidôn,
den nam der bâruc Ninivê

sî dir nû nâchen ode bî
kunt umb selhe wâge iht,
daz verswîc mich niht,
unde wîse mich dar,
wand ich nâch anders nihte envar.'» [1]

Eine sehr wertvolle Interpretation dieser Zeilen gibt de Boor in seinem Buch über die höfische Literatur:[2]

> «Was Aventiure ist, hat Hartmann von Aue im Eingang seines Iwein in dem Gespräch des Artushelden Kalogreant mit dem Waldmann programmatisch ausgesprochen. Aventiure ist eine Lebensform, die nur dem ritterlichen Menschen begreiflich ist. Sie ist zweckentkleidete Tat, ihr Sinn ist die Leistung als solche, die den Wert des Mannes erhöht. Diese Aventiure führt immer wieder ins Wunderbare und Märchenhafte. Auch darin wiederholt sich der Zug der Entwirklichung, zur Verlagerung des Geschehens in eine nicht unirdische, aber unwirkliche Atmosphäre, um eine bestimmte Idealität in voller Freiheit verwirklichen zu können. Wieder finden wir hier einen grundsätzlichen Gegensatz zur frühhöfischen Dichtung. Diese war ideal erhöhende Steigerung von Wirklichkeit, während Artusdichtung Lösung aus der Wirklichkeit ist. Sie ist damit bald der Gefahr erlegen, sich ins Wurzellose, Windige und Willkürliche zu verflüchtigen, wo die hohe Spannung der Idealität erschlaffte.»

Die Methode des Dichters besteht also darin, mit der Wirklichkeit anzufangen, die wohl als Wirklichkeit dargestellt wird. Der Dichter geht dann Schritt für Schritt von der Wirklichkeit ab. Das Geschilderte erhält ungewöhnliche Ausmaße, die nur in eine Zauberwelt passen.

Daß der islamische Orient in der deutschen mittelaterlichen Dichtung oft mit der Zauberwelt identisch ist, ist eine Tatsache, die auch wohl verständlich ist. Soviel Phantasie konnten die abendländischen Dichter nicht auf einmal aufbringen, um den Durst der Leser oder Hörer nach den wunderbaren Erfindungen zu stillen.

---

1) Iwein : Hartmann von Aue, Walter De Gruyter & Co., Berlin 1959.
2) Helmut de Boor, Geschichte der deutschen Literatur, Band II, München, MCMLX, S. 65.

Der große, mächtige, reiche, prächtige Orient in der mittelaterlichen, höfischen Dichtung

Ein Beitrag zur Erforschung orientalischer Motive in der deutschen Dichtung

von

Moustafa Maher

Man müßte sich bei der Erforschung aller Motive, die in der deutschen mittelaterlichen Dichtung in jener Zeitspanne vorkommen, in der der Ritterstand alles nach seinen Vorstellungen geprägt hat, stets vergegenwärtigen, daß es sich um eine Welt handelt, die sich der Wirklichkeit nahzuhalten versucht, sich aber in Raum und Zeit davon loslöst, um in phantastischen Sphären zu schweben. Das bedeutet, daß wir bei unserer Beschäftigung mit dem Orient und mit den orientalischen Motiven auf eine Mischung von Wirklichkeit und Phantasie stoßen werden, die wir voneinander zu trennen haben, damit falsche Schlußfolgerungen vermieden werden.

Die Loslösung von der Wirklichkeit zugunsten des Überreellen, Wunderbaren, Phantastischen, Märchenhaften liegt bereits im Kern des mittelaterlichen höfischen Lebensstils: in der Aventiure. In «Iwein» haben wir im Gespräch zwischen Kalogreant und dem Waldmann die bekannte Definition der «âventiure» :

«'âventiure? waz ist daz?'
'daz wil ich dir bescheiden baz.
nû sich wie ich gewâfent bin:
ich heize ein rîtr und hân den sin
daz ich suochende rîte
einen man der mit mir strîte,
der gewâfent sî als ich.
daz prîset in, ersleht er mich:
gesige ich aber im an,
sô hât man mich vür einen man,
und wirde werder danne ich sî.

Sa politique fit couler beaucoup d'encre et souleva bien des controverses. Certains se représentent le célèbre Florentin comme le fondateur d'une école exécrable fondée sur le meurtre, le parjure, la trahison et la terreur, ayant pour but unique l'asservissement des peuples et la toute puissance des rois. D'autres au contraire, ont vu en lui un ami dissimulé de la liberté qui, sous prétexte de donner des conseils au despotisme, ne songe qu'à dénoncer ses iniquités, qu'à livrer ses secrets, pour le rendre du même coup odieux et impuissant. Enfin un troisième groupe, beaucoup plus modéré, trouve que les deux opinions précédentes sont outrées et que Machiavel est le type du politicien réaliste et franc qui, ne s'embarrassant d'aucun précepte ni d'aucun préjugé, dit tout avec netteté et franchise.

Quoi qu'il en soit, le nom de Machiavel a été et sera toujours une source de discussions, d'approbation et de réprobation, car un coeur honnête ne peut pas soutenir un homme qui ne croit pas (même dans l'ordre politique) à la distinction entre le bien et le mal, le juste et l'injuste, un homme qui ne se préoccupe pas de régler sa conduite sur des principes de morale sociale.

Si les préceptes de Machiavel nous choquent au XXe siècle, siècle de civilisation, de justice et de dignité, où l'Etat est soumis à bien des règles et des lois et où le pouvoir du souverain est limité par la volonté du peuple et par son droit à la liberté, ce sentiment de réprobation est tempéré lorsqu'on prend en considération cette fin si belle à laquelle tendait l'auteur du **Prince** : la libération de l'Italie; et lorsqu'on tient compte de ce sentiment nationaliste si admirable qui enflammait ce grand patriote.

A. S. WASSEF

immoral sous peine d'échouer. Pour réussir, il doit savoir être hypocrite, cruel et menteur.» Cette pensée qui, mal comprise, a été censurée au nom de la morale prend toute sa valeur quand on la replace dans son contexte historique: c'est-à-dire dans cette Italie de la fin du XVe siècle, déchirée par les luttes intestines et par l'occupation étrangère.

Le machiavélisme est un système choquant qui ne se préoccupe d'aucun précepte de morale, qui fait table-rase de toute conscience, de toute bonne foi et de toute justice. Pour le juger sainement il ne faut pas perdre de vue que Machiavel ne prétend pas donner des préceptes absolus, mais seulement des règles valables pour son époque et pour son pays. Malgré son apparence abjecte, la pensée de Machiavel se revêt d'un certain idéalisme qui transparaît à travers la conclusion de son œuvre, dans cet appel véhément et passionné qu'il adresse à Laurent II de Médicis, futur libérateur du pays.

La pensée de Machiavel, qui a eu ses détracteurs acharnées[16] et en même temps ses admirateurs enthousiastes[17], en fait le premier artisan de cette unité italienne qui ne se réalisa complètement que près de trois siècles plus tard si bien qu'en 1869, pour commémorer l'anniversaire du cinquième centenaire de sa naissance, on scella à la porte de sa maison natale à Florence, une plaque de marbre portant cette inscription:

> **«A Machiavel, précurseur audacieux, inspiré de l'unité nationale, à celui qui, le premier apprit en maître à son pays à se servir d'armes qui lui fussent propres.»**

---

15) Dans une préface du *Prince*, AMELOT DE LA HOUSSAYE écrit : «Comme Machiavel est un auteur qui n'est ni à l'usage, ni à la portée de beaucoup de gens, il ne faut pas s'étonner si le vulgaire est si prévenu contre lui. Je dis prévenu car de tous ceux qui le censurent, vous trouverez que les uns ne l'ont jamais lu; et que les autres qui disent l'avoir lu, ne l'ont jamais entendu comme il paraît bien par le sens littéral qu'ils donnent à divers passages que les politiques savent bien interpréter autrement.»

16) Frédéric II de Prusse a fortement stigmatisé le machiavélisme et composé *l'Anti Machiavel.*

17) Henri IV et Richelieu en France, ont eté de fervents admirateurs de Machiavel. Parmi les souverains italiens, Mussolini se considérait comme le fils spirituel de Machiavel.

Le machiavélisme n'étudie pas la meilleure forme de gouvernement mais le moyen le plus facile et le plus sûr d'arriver au pouvoir et de le conserver. Oeuvre de combat, **le Prince** ne prend tout son sens que si on le replace dans son cadre historique. Son idéal politique, basé sur un réalisme sans illusion est très simple et peut se résumer en ces mots : «Un patriotisme poussé à outrance, l'unification et la libération de l'Italie...» tout le reste ce sont les moyens pour y parvenir. L'espoir du Ministre florentin est placé dans son Prince qui pourra mettre un terme aux luttes intestines et à l'ingérence étrangère. Cet homme sera bon, les moyens qu'il emploiera seront aussi bons pourvu qu'il réussisse. Il en découle que le devoir du Prince envers son pays prime tout autre devoir et que toute décision majeure dont dépend la destinée du pays ou visant l'intérêt de la nation ne doit en aucune manière être influencée par des sentiments humains. Le seul devoir qui incombe en ce cas au souverain est de se poser une seule et unique question: «Quel est le meilleur chemin qui mènera à la délivrance du pays?», de trouver ce chemin et de s'y engager coûte que coûte.

Le machiavélisme ne s'encombre donc d'aucun précepte de morale; tout ce système politique avec ce qu'il comporte d'amoralité et d'immoralité n'a qu'un seul objectif «**le bien national**». Machiavel devient ainsi le théoricien de «**la raison d'Etat**», cet Etat étant incarné dans un individu: Le Prince.

Bien qu'immoral, ce système de philosophie politique se caractérise par la profondeur de l'analyse. Il survivra par son côté pragmatique et par les enseignements permanents qui en découlent dans le domaine de la politique.

En un mot, le machiavélisme a le mérite de ne plus pouvoir être oublié des politiciens qui se penchent sur les problèmes internationaux.

CONCLUSION

Machiavel est une des intelligences les plus vives, une des plus grandes figures de l'histoire et un des plus grands artisans de l'unité italienne. Sa pensée politique peut se résumer en ces mots: «Puisque l'immoralité règne dans la politique, le prince doit savoir être

ment de cette conduite prudente et équivoque sera le succès[14]. Tous ces conseils s'expliquent du moment que la pensée politique de Machiavel peut se résumer en cette formule demeurée célèbre:

LA FIN JUSTIFIE LES MOYENS

De ce qui précède on peut inférer que la conduite du prince ne doit être réglée sur aucun précepte de morale. Qu'elle soit bonne ou mauvaise, cruelle ou clémente, fourbe ou franche, elle est toujours bonne et bien qu'elle choque parfois, elle n'en est pas moins admirable et indispensable à la bonne gestion de l'Etat. C'est cet esprit fortement nationaliste qui pousse Machiavel à pousser au dernier chapitre de son ouvrage un puissant appel au souverain. Après le Machiavel froid, calculateur et pessimiste des chapitres précédents, on découvre à la fin de l'ouvrage un nouvel aspect de l'auteur qui emploie un style oratoire pour inciter Laurent II de Médicis à se préparer pour la grande mission qui lui incombe: La délivrance de l'Italie. Un souffle d'optimisme se dégage de ce chapitre, l'auteur encourage le Prince en lui promettant la gratitude de tout le pays. Il lui dit en substance: «L'Italie recevra son libérateur avec des sentiments de reconnaissance, les villes gémissantes lui ouvriront leurs portes et les rivaux seront réduits à l'impuissance» ... du moment que l'entreprise est bonne, le Prince n'a rien à craindre «La justice étant de votre côté, leur cause ne pouvait être plus légitime que la vôtre: ni Dieu être plus près de vous.»

Machiavel termine enfin ce fameux chapitre par ce beau passage plein de lyrisme: «Le bon droit s'armera pour repousser l'outrage. Le combat sera court. Descendants des Romains réveillez-vous. Prouvez que l'antique courage enflamme encore nos citoyens.»

VALEUR DU MACHIAVELISME

Il est difficile de trouver au machiavélisme un fondement moral, mais on peut toujours l'apprécier du point de vue pratique ou humain.

---

14) Machiavel est un nostalgique de la réussite car il a vécu une periode pleine de *faillites: faillite personnelle* puisque de Premier Ministre, il est tombe au rang de suspect et d'indésirable; *faillite du régime républicain* qu'il a servi avec zèle et enfin *faillite de l'Italie* déchirée par les dissensions intestines et les ambitions étrangères.

que douceur et religion. Mais cette dernière qualité est celle qu'il t'importe d'avoir extérieurement.»[13]

On voit bien que Machiavel conseille l'hypocrisie mais non l'impiété parce que tout le monde remarque l'impiété, mais très peu l'hypocrisie; et l'auteur termine son passage par cette phrase très significative: «Tous les hommes ont la liberté de voir, mais très peu ont celle de toucher; chacun voit ce que le prince paraît être, mais personne ne connaît ce qu'il est en effet.»

De même la force est la qualité indispensable au prince et celui-ci gagnerait beaucoup à être craint qu'à être aimé car la perversité humaine amène nécessairement une grande mobilité dans les sentiments et la reconnaissance des sujets est un lien très faible en comparaison de la crainte du châtiment qui est toujours efficace: «Le Prince, observe-t-il, doit se faire craindre sans se faire haïr»; et il nous dit encore: «Comme tous les hommes sont méchants et prêts à manquer à leur parole, le prince ne doit pas se piquer d'être fidèle à la sienne.»

Aussi bien que la droiture, la bonté n'est pas une qualité du prince. Dans le chapitre XV, il nous dit : «L'homme (il entend ici le prince) qui voudra faire profession d'être bon parmi tant d'autres qui ne le sont pas, ne manquera jamais de périr. C'est donc une nécessité que le prince qui veut se maintenir apprenne à pouvoir n'être pas bon quand il ne le faut pas être.»

Enfin une dernière qualité du prince consistera à faire table-rase de tout scrupule et à apprendre à se diriger habilement dans l'arène politique où le guettent toutes les difficultés. La valeur du prince sera fonction de sa capacité de pouvoir se prémunir contre les embûches qui se dressent sur son trajet périlleux, «Guetté par la fortune toute prête à renverser ses plans, il ne pourra se tirer d'affaire que grâce à sa connaissance des hommes, à son audace, à sa prudence et à sa facilité d'adaption immédiate.» Le Couronne-

13) On a accusé Machiavel de prêcher l'irréligion, ce qui n'est pas vrai. Il ne conseille pas au prince — comme on l'a prétendu — de ne pas avoir de religion, mais seulement que si le prince n'en a point, comme il peut arriver quelquefois, il doit bien se garder de le montrer; la religion étant le plus fort lien qu'il y ait entre lui et ses sujets et le manque de religion le plus juste ou du moins le plus spécieux prétexte qu'ils puissent avoir de lui refuser l'obéissance.

du peuple, simple et bon, est incapable de diriger un gouvernement. Par contre ceux qui sont appelés à participer à la politique d'un pays, c'est-à-dire ceux avec lesquels le prince doit compter sont généralement fourbes et intéressés: d'où la formule désespérée de Machiavel : «Les hommes sont tous méchants, ingrats, inconstants et menteurs...» Le seul remède à cette nature portée au mal est un prince clairvoyant et fort, capable d'inculquer à ses sujets les vertus civiques tout en les tenant à l'écart de la direction politique du pays.

LES IDEES DE MACHIAVEL SUR LES QUALITES DU PRINCE

Pour réussir, un prince doit comprendre la psychologie de ses sujets. Il doit donc étudier à fond la nature humaine et en connaître les replis les plus cachés. D'autre part, la force et la duperie doivent être les deux qualités maîtresses du souverain. Celui-ci aura le droit d'être retors, violent; il peut aussi manquer à sa parole à condition que tous ces moyens détournés ne l'éloignent pas du but suprême qui est le bien de l'Etat[12] Dans le chapitre XVIII, après avoir concédé au prince le droit de ne pas tenir sa parole lorsqu'elle fait tort à son intérêt, l'auteur avoue franchement : «Ce précepte ne serait pas bon à donner si tous les hommes étaient bons, mais qu'étant tous méchants et trompeurs, il est de la sûreté du prince de le savoir être aussi sans quoi il perdrait son Etat et par conséquent sa réputation; étant impossible que le prince qui a perdu l'un conserve l'autre ...». En d'autres termes, il doit paraître bon sans l'être en réalité, il doit conserver une réputation de sincérité et de loyauté alors que toute sa conduite est réglée sur le mensonge et la mauvaise foi. Au chapitre XVIII, l'auteur s'adresse au prince en ces termes: «Il n'est pas besoin, lui dit-il, que tu aies toutes les qualités que j'ai dites, mais seulement que tu paraisses les avoir. Tu dois paraître clément, fidèle, affable, intègre et religieux en sorte qu'à te voir et à t'entendre l'on croie que tu n'es que bonté, que fidélité, qu'intégrité,

---

12) D'après cette conception Machiavel devient le théoricien de la *raison d'Etat;* cet Etat étant incarné dans un individu fort: le prince.
On remarque aussi la ressemblance entre cette conception de Machiavel et le nationalisme fasciste et stalinien d'après lesquels tout est subordonné aux intérêts majeurs de l'Etat et les générations présentes doivent être sacrifiées en vue de procurer une vie meilleure à celles qui leur succéderont.

Cette attitude catégorique a amené certains critiques comme A.D. FRANCK à accuser Machiavel de parti-pris. D'après celui-ci, l'auteur du **Prince** impute à l'église des maux dont elle n'est pas entièrement responsable et si la politique du Vatican a affaibli l'esprit civique des citoyens, l'ambition des grandes familles ainsi que leurs luttes constantes eurent aussi leur part dans la perte du sentiment de fraternité et d'amour entre les citoyens et contribua par le fait même à l'affaiblissement de la politique italienne.

Le point de vue de A.D. FRANCK se justifie. D'ailleurs Machiavel lui-même reconnaît tacitement la part de responsabilité qui retombe sur les grands seigneurs et c'est ce qui explique sa rancune contre le noblesse italienne. Cette rancune est tellement violente qu'elle le pousse à conseiller aux divers gouvernements de supprimer cette classe afin de se prémunir contre ses dangers, de mettre un terme aux luttes intestines et de répandre par le fait même l'esprit de solidarité et de fraternité entre les citoyens.

MACHIAVEL ET LE PEUPLE

L'origine républicaine de Machiavel a fait de lui le champion de la souveraineté du peuple. Son esprit démocratique lui a permis de constater qu'un prince ne peut rien entreprendre de grandiose sans l'assentiment du peuple car la force diffuse de la masse populaire est si violente qu'elle est pratiquement insurmontable; aussi conseille-t-il aux dirigeants une politique nettement plébéienne car la bonté, l'attachement, la loyauté et le désintéressement se rencontrent plus aisément chez les pauvres que chez les riches ... Il appert de ce conseil que c'est par réalisme que Machiavel désigne la classe inférieure comme le plus sûr fondement de la principauté. «Un prince, dit-il, ne se repentira jamais d'avoir fait fond sur l'affection du peuple»; et ailleurs : «Dans nos Etats modernes, c'est au peuple qu'il importe de mériter l'affection car il est le plus fort et le plus puissant».

Pourtant si le prince doit flatter le peuple, ce n'est pas pour partager avec lui le gouvernement du pays, c'est plutôt pour mieux le dompter; et la recherche de son affection, éloignée de toute sincérité, ne peut revêtir qu'un aspect purement pratique.

Machiavel croit en la bonté populaire et trouve qu'elle est la seule consolation du souverain. Il convient cependant que l'homme

tique du peuple achèverait sa maturité et l'amènerait à adopter le régime républicain.

LES IDEES DE MACHIAVEL SUR LA RELIGION

Ennemi acharné de la religion, Machiavel impute à l'église la désunion de l'Italie et sa décadence. Par son esprit de soumission, d'amour, de pardon et de charité, le catholicisme est une cause de déchéance politique car il affaiblit l'homme et le réduit à une docilité passive entre les mains du Créateur.

Il remarque d'autre part, qu'un grand nombre de souverains ecclésiastiques qui ont gouverné l'Italie ne se sont guère souciés des intérêts de leurs Etats et il cite comme exemple les Papes. En signant des accords avec les pays étrangers, ils ont permis aux souverains européens de s'ingérer dans les affaires intérieures de l'Italie.[11]

Comme le catholicisme n'est pas apte à renforcer le sentiment national, l'auteur se tourne vers les religions de l'Antiquité. Il trouve que l'adoration des dieux paiens avait permis de former des hommes forts et des peuples unis. Son admiration pour le paganisme antique nous explique sa grande estime pour l'Empire romain. Selon lui, la civilisation romaine devait sa force et sa puissance à une série de vertus civiques telles que l'esprit belliqueux, le stoicisme, l'amour de la patrie, le courage ... toutes ces vertus trouvaient leur source dans le culte des divinités de la mythologie. En orientant le culte des dieux vers des fins politiques, les souverains de l'Antiquité avaient placé l'Etat au premier rang des préoccupations nationales et c'est ce qui inspira à Machiavel la maxime fondamentale de sa conception politique: **«L'Etat doit être au dessus de tout et peut disposer de tout en vue de l'intérêt général.»** ... Et comme l'autorité de la religion sur les masses est infinie, l'Etat pourrait éventuellement s'en servir pour atteindre ses objectifs.

En étudiant les institutions de la Rome antique, Machiavel ne se lasse pas de les comparer à celles de Florence à la fin du XVe siècle et au début du XVIe siècle et il saisit toujours l'occasion pour souligner la supériorité de celles-là.

---

11) Bien qu'il admire l'oeuvre d'Alexandre VI et de Jules II, Machiavel, anticlérical convaincu, ne compte pas sur le Vatican pour trouver une solution nationale et tourne les yeux vers sa patrie toscane.

L'étude des rouages des Etats l'amène à parler de leur organisation militaire. Machiavel remarque que les Etats italiens n'avaient pas toujours de forces régulières et qu'ils comptaient dans leurs interventions armées, le plus souvent, sur les mercenaires. Machiavel condamne ces troupes de fortune recrutées au hasard car il estime — et avec raison d'ailleurs — qu'elles sont dénuées de probité et qu'elles se vendent généralement au plus offrant.

En temps de paix, ces soldats avides de lucre et de brigandage ne font que semer la panique et la terreur parmi les citoyens; par contre, en temps de guerre, ces troupes, dépourvues de tout sentiment patriotique, sont incapables d'affronter des armées nationales organisées ...

Si Machiavel condamne les troupes de mercenaires il se montre par contre fervent partisan des milices nationales unies par une origine et une croyance communes. «Un prince qui ne peut défendre ses Etats qu'avec des «troupes étrangères se trouve donc à la merci de la fortune, dit-il». Le Prince doit donc enseigner l'art de la guerre à ses sujets et compter sur eux en temps de troubles. : «Oui je le répète, dit-il, c'est en négligeant cet art qu'on perd ses Etats, et c'est en le cultivant qu'on les conquiert.» Seule une armée nationale, bien organisée, une armée dont les soldats seraient unis par l'amour commun de la patrie, par le courage et la force, est donc l'unique espoir de sauver l'Italie de l'occupation étrangère.

En ce qui concerne le régime politique, Machiavel se montre fervent partisan de la République. Le long stage par lequel il est passé à Florence a laissé des souvenirs dans sa conscience. Dans le chapitre V du **Prince**, il compare les villes soumises à des princes et les villes républicaines et en conclut que celles-ci ont plus de vitalité et de personnalité que les autres. «Les républiques, dit-il, ont plus de ressort, plus de haine; le désir de vengeance y est plus animé, et le souvenir de leur ancienne liberté ne leur laisse ni ne peut leur laisser un seul instant de repos.»

Si Machiavel a sacrifié momentanément la république et s'est rallié au pouvoir personnel du souverain, ce revirement est transitoire. Il n'acceptait la monarchie que pour la période de conquête et d'unification; mais une fois cette étape franchie, l'évolution poli-

qu'elles ne convenaient pas à un chef d'Etat, le souverain ne pouvant pas toujours gouverner le chapelet à la main et la bonté dans le coeur.

De ces méditations sur la conduite de Ferdinand le Catholique, de César Borgia et de Pierre Soderini, découlera le précepte sur lequel Machiavel fondera toute sa philosophie politique. Ce précepte qu'il a exposé dans «**Le Prince**» peut être résumé en ces mots : «**La force et la violence, la duperie et la mauvaise foi sont le fondement de tout bon gouvernement**.

Le Prince est donc l'œuvre de Machiavel où s'expriment nettement ses tendances nationalistes. Composé en 1514, pendant sa disgrâce, cet ouvrage dédié à Laurent II de Médicis, ne fut publié qu'en 1531[9]. C'est un traité de vingt-six chapitres où l'auteur étudie les diverses formes de gouvernement, les moyens par lesquels le prince peut acquérir le pouvoir, comment il le conserve et pourquoi il le perd. Enfin cette étude se termine par une exhortation adressée au souverain où l'auteur supplie ce dernier de créer une puissante armée nationale[10] et de libérer l'Italie de toute ingérence étrangère.

Cet ouvrage peut être divisé en deux parties. Dans la première, l'auteur cite des exemples d'hommes qui ont su profiter des diverses circonstances pour s'accaparer du pouvoir. Dans la seconde, il étudie la nature humaine avec ses mobiles et ses passions, en dégage les principaux caractères et finit par donner des préceptes et des conseils sur l'art de gouverner les peuples et de conduire les masses.

LES IDEES DE MACHIAVEL SUR L'ORGANISATION DES ETATS

Machiavel commence par classer les régimes politiques en deux catégories : Les **Républiques** et les **Principautés**. Il divise ensuite celles-ci en principats héréditaires mixtes et en principats nouveaux.

Il examine ensuite les principats nouveaux c'est-à-dire ceux qui ont été fondés soit par la force et l'habileté politique soit par la violence et l'usurpation.

---

9) Il se présente comme une démonstration de compétence personnelle destinée à faciliter sa rentrée en grâce.

10) L'unique pensée de Machiavel homme d'Etat, fut l'armée. La puissance militaire est, d'après lui, le fondement de tout gouvernement fort et de toute souveraineté politique. «Sans justice et sans force armée, écrit-il, il n'y a point d'Etat de quelque nature qu'il soit.»

Espagne[5], de **César Borgia** à Rome[6] et de **Pierre Soderini** à Florence[7].

Ferdinand sera plusieurs fois cité par Machiavel comme un modèle de réussite réfléchie, domptant les peuples par des actions éclatantes, ne s'embarrassant d'aucun scrupule et profitant de toutes les faiblesses de l'adversaire.

Machiavel connut aussi César Borgia auprès de qui Florence l'avait accrédité ... Il crut discerner chez cet homme, à travers la violence et la mauvaise foi ... l'étoffe des conducteurs des peuples. César Borgia a échoué, il est vrai, mais en quelques années il avait cumulé presque toutes les chances de succès[8]; aussi Machiavel, en admiration devant le génie politique de ce souverain, qui, ne s'embarrassant d'aucune morale ni d'aucune vertu pour arriver à ses fins, va-t-il méditer son exemple unique dans cette Italie en pleine décadence.

Quant à Pierre Soderini, Machiavel admire ses belles qualités morales mais il trouve qu'elles ont été la cause de sa perte parce

---

5) Ou cours de sa brillante carrière, Ferdinand le catholique fut un grand ammasseur de terres. Il s'adjoignit la Castille par son mariage, soumit la Grenade et acheva la conquête de l'Espagne par l'annexion de la Navarre. Il reconstitua enfin le Royaume des Deux siciles en chassant les Français de Naples.

6) César Borgia avait su profiter des heures tragiques que vivait le pays. Déjà son père Alexandre VI, après s'être déclaré contre la présence des Français avait su exploiter la présence de Louis XII en Italie. Il le gagna en lui permettant de répudier sa femme Jeanne de France et obtint en échange sa complicité dans ses projets d'extension territoriale. Grâce à son sens politique, César Borgia reçut de Louis XII Le duché de Valentinois et essaya d'unifier certaines parties de son Etat en dressant les grandes familles italiennes les unes contre les autres et en profitant de leurs rivalités.

7) A Florence, Pierre Soderini réglait sa conduite sur les principes de la douceur et de la bonté. Il réussit et fit prospérer sa patrie tant que les circonstances se prêtèrent à ce régime modéré. Mais il fut bientôt en butte aux menées du Pape Jules II et dans cette époque difficile, sa patience et sa modestie ne pouvaient convenir à une politique faite de ruse et de perfidie. Comme il ne sut point changer de caractère, il se perdit et perdit son pays.

8) La mort d'Alexandre VI et l'élection de Jules II — qui continua d'ailleurs sa politique temporelle en conquérant Bologne et Ferrare — mirent un terme à la puissance politique de ce prince. Pourtant la courte carrière de César Borgia offre à peu près toute la gamme des difficultés qui attendent un prince nouveau et des solutions lucidement proposées. Qu'il ait finalement échoué, peu importe ! C'est tout de même en suivant l'exemple de sa politique que l'on doit rationnellement réussir.

MACHIAVEL SUR LA SCENE POLITIQUE

Telle était en quelques mots la situation politique de l'Italie à l'aube du XVe siècle. Pourtant la destinée de ce pays changea complètement par l'apparition d'une grande figure sur la scène politique: Nicolas **MACHIAVEL**. Cet homme qui jeta lespremiers fondements de l'unité italienne peut être considéré à juste titre comme l'ancêtre de Cavour et de Garibaldi[3]. Sa mémoire qui demeure vivante jusqu'à nos jours, non seulement chez les Italiens mais chez un grand nombre d'hommes d'Etat et de politiciens européens, est due non seulement à son nationalisme désintéressé, mais aussi au profond amour qu'il voua à sa patrie. Son système de philosophie politique qui eut autant d'admirateurs que de détracteurs prit le nom de «**machiavélisme**».

Porté par nature aux intrigues politiques, Nicolas MACHIAVEL occupa la charge de secrétaire de la République de Florence. Il se mit à méditer sur les destinées de l'Italie et sur la politique à suivre pour réaliser l'unité de ce pays déchiré par l'occupation étrangère.

De ses longues méditations il arriva à certaines conclusions très judicieuses. Il posa comme fondement de son système un principe dont l'avenir devait donner la formule : **«L'Italia fara da se»** ce qui veut dire : «L'Italie se fera d'elle-même». D'après ce principe il devait fermer l'accès du pays à tout ce qui était étranger ... Il pensa ensuite à chercher et à trouver un meneur politique, un chef italien assez fort et habile, capable de grouper autour de lui toutes les forces nationales, à lui montrer la voie à suivre et à lui faciliter l'accession au pouvoir. Tel fut le motif qui le poussa à composer ses ouvrages de philosophie politique[4] où sont nettement exposées ses vues nationalistes et ses tendances patriotiques ... L'amour de Machiavel pour sa patrie l'amena à étudier les causes de la grandeur et de la déchéance des Etats. Dans cette étude, Machiavel avait devant lui plusieurs exemples, surtout celui de **Ferdinand le catholique** en

---

3) Cavour et Garibaldi sont les champions de l'unité italienne au XIXe siècle.

4) Ces ouvrages sont : «*Les Discours*» et «*Le Prince*» mais c'est surtout dans *le Prince* que sont exposées la plupart des idées de l'auteur et que nous pouvons lire sa véritable pensée.

LA SITUATION POLITIQUE DE L'ITALIE AU XVe SIECLE

Tel était l'état général des pays d'Europe vers la fin du Moyen-Age. Pourtant si pendant cette période le monde occidental était plongé dans un état de semi barbarie, l'Italie au contraire passait pour une nation civilisée possédant une administration très policée et bénéficiant du gouvernement de monarques éclairés, protecteurs des sciences et des arts. Les Pitti à Rome et les Médicis à Florence qui passaient pour de grands mécènes, étaient renommés par leur raffinement et entretenaient des cours très brillantes.

Cet éclat ne fut pourtant que très éphémère et ces dÿnasties qui perdirent peu à peu leurs vertus morales et leurs sens civique, ne gouvernaient plus le pays d'après de saines normes politiques; leur autorité tyrannique et violente fit alors sombrer le pays dans l'anarchie et permit l'ingérence des nations voisines. Mais avant ces invasions étrangères, l'Italie qui faisait figure de pays fortement uni par la communauté de langue et de croyance fut divisée en cinq petits Etats, cinq tronçons inorganiques, gouvernés par des souverains tyranniques, esclaves de leurs passions, peu soucieux de l'intérêt de leurs sujets. Ces cinq principautés étaient: Naples Florence, Venise, Milan et le Vatican.[1]

Après ce morcellement, les gouvernants des nouveaux Etats, dénués de patriotisme, ont été soit assez insensés pour favoriser l'entrée des Français soit assez lâches pour leur tenir tête. C'est pour cette cause que le pays fut en quelque sorte cédé aux troupes de Charles VIII.

Cependant si certains souverains se désintéressaient totalement des problèmes de leurs pays, un sursaut d'énergie chez le peuple chassa les Français du territoire italien. Mais comme aucun de ces cinq Etats ne possédait une armée assez puissante lui permettant de chasser l'occupant, la lutte fut engagée avec l'aide des pays voisins. Ainsi entre 1499 et 1512, l'Italie fut la scène d'une série d'invasions étrangères (française, espagnole et germanique).[2]

---

1) C'est ainsi que MACHIAVEL présente les principautés au Chapitre IX du «*Prince*»

2) On sait que Charles VIII, revendiquant l'héritage des ducs d'Anjou voulut s'emparer de Naples et que le roi d'Aragon Ferdinand le Catholique, l'ayant d'abord laissé faire, intervint ensuite pour le jeter hors d'Italie grâce à la coalition qui, outre l'Aragon, comprit les troupes du Pape, du Doge de Venise et même de Maximilien Ier, empereur du Saint Empire romain germanique.

tout pouvoir spirituel, le clergé vit s'étendre son influence et devint la première classe dans la nation à cause de ses fonctions sacrées. Exploitant leur autorité sur les masses, les grands prélats envoûtèrent l'autorité temporelle des souverains. Le pouvoir de l'Eglise était tel, qu'à l'idée de nationalité basée sur la communauté de race se substituait l'idée de collectivité basée sur le communauté de croyance.

Cette absence du sens national dura jusqu'à la fin du Moyen-Age. Mais dès les débuts des **Temps Modernes**, deux grands événements propagèrent en Europe un esprit nouveau et favorisèrent le développement de la pensée politique : **La Renaissance et la Réforme.**

La Renaissance qui naquit en Italie dès le XIVe siècle, permit aux esprits cultivés d'étudier les institutions de l'Antiquité caractérisées par un sens civique très poussé et par de grandes vertus politiques et sociales.

La Réforme, en détruisant le pouvoir de l'église, renforça le pouvoir temporel des monarques et contribua à l'éveil des nationalités.

D'autre part, le développement de la pensée politique fut la conséquence inévitable de trois facteurs sociaux.

1) La faillite des troupes féodales et l'apparition des armées de métier. Cette évolution permit aux rois d'assumer seuls la défense de leurs pays sans avoir recours aux troupes de leurs seigneurs.

2) Pour entretenir ces armées permanentes, les rois durent créer des impôts. Or ces impôts contribuèrent à unifier les royaumes en soumettant tous les sujets à la souveraineté du monarque.

3) L'invention des armes à feu et surtout des canons porta atteinte à la puissance d'un grand nombre de seigneurs féodaux car les rois furent les seuls à pouvoir payer et entretenir ces engins coûteux capables de démolir à distance les châteaux féodaux les plus forts.

LA PENSEE POLITIQUE
DANS LE PRINCE DE MACHIAVEL

Par
Dr. Amin Sami Wassef·
Professeur a la Section de Francais

INTRODUCTION

Si le Moyen-Age se caractérise par l'absence totale de tout esprit civique, c'est que le système politico-social qui a dominé la majeure partie de l'Europe à cette époque n'était pas fait pour favoriser l'éveil des nationalités.

Née au lendemain de l'effondrement de l'Empire romain au Ve siècle, la féodalité fragmenta tout le monde occidental. Ayant pour cause les invasions, la chute de l'administration romaine et le désordre social, ce système, en hiérarchisant fortement la société finit par faire perdre à ses membres toute idée de collectivité. Loin de tout pouvoir fort, repliés sur eux-mêmes, paysans et bourgeois se sont groupés autour du protecteur le plus voisin après avoir perdu ce sentiment noble et merveilleux où l'individu sent qu'il appartient à un grand groupement et où l'intérêt de tous passe avant l'intérêt immédiat de chacun.

Les monarques qui d'une part n'avaient pas d'armées assez fortes pour maintenir l'ordre dans leur royaume et qui d'autre part se désintéressaient complètement de la formation politique de leurs sujets durent accepter malgré eux le démembrement de leur pays.

Un autre facteur qui entrava l'éclosion de toute conception nationale, c'est l'autorité grandissante de la religion. Au milieu de cet assaut de barbarie, l'Eglise demeura la seule puissance morale. Par ses institutions, le christianisme adoucit considérablement les moeurs et améliora sensiblement les relations humaines par la diffusion de ses principes de justice, de pitié et de charité. Seul dépositaire de

CONTENTS



SAHIFAT AL-ALSUN

* * *

No. 1

* * *

ZU AL-KAADA 1392
DECEMBER 1972

ATLAS PRESS
11-13, Souk-El-Tewfikiah